ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ - جمادى الاولى ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest December '89 N° 133

أعتق الكنوز البحرية ١٧
عين أوسترالية تسبر الكون ٢٤
ألعاب الاطفال: أين حدود الامان؟ ٣١
سيماؤهم في وجوههم ٤٥
كيف تضمن سلامة سيارتك (تقرير خاص) ٥٧
صوت حر يحارب الفقر ٦٥
المشاعر أفضل دواء ٧٠
محفظة الاصوات ٧٤
صرخة الحياة ٨٠
لقاح ضد الايدز ٣٧
المملكة المنسية ٨٤
أسير الكلاب البرية (مأساة واقعية) ٩٠
عودة طب الاعشاب ٩٧
قطار البحيرة الهندية ١٠٤
كتاب الشهر: أيام من عهد هتلر ١١٥
السندويش الكبير ٤
تأملات معاصرة ٣ - أصداء من عالم الطب ٢٣
صور من الحياة ٤٩
أخبار العلم ٧٩ - دائرة المعارف ١١٣ - حديقة أفكار ١٤٤

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

عربي يتحدى مافيا المخدرات
(ص ٧)

الصداقة روح الزواج
(ص ١٣)

أنطوني كوين
(ص ٥٠)

فندق الشام

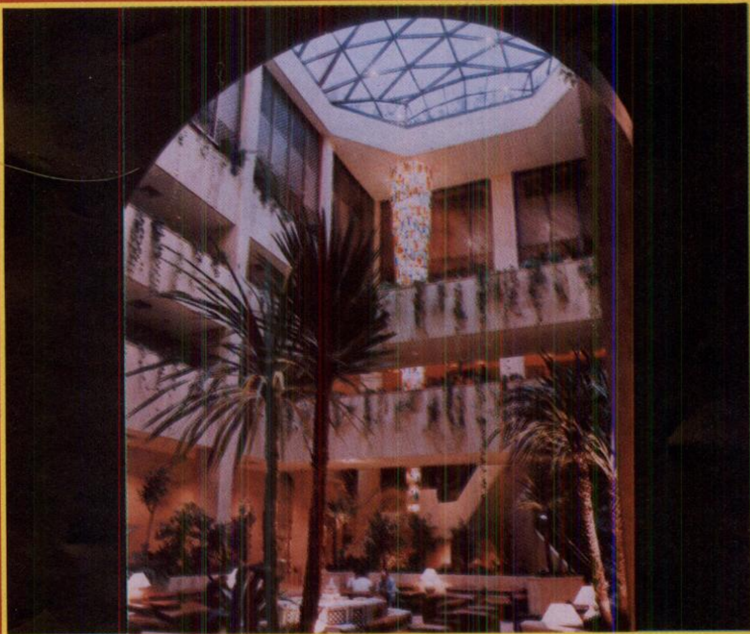

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار
من ريدرز دايجست

مجـلة شهـريـّة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس، MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1989 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

December '89 N° 133 (New Series) Vol. 12

ريـدرز دايجسـت
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعاتُ الدوليّة
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٧ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب –
تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

إن لم يكن نظرك سَليمًا، من المستحسَن زيارة فلوكس أحدث مستشفى عائم لعلاج العيون في العالم. الآن في دول مجلس التعاون الخليجي حتى نهاية شهر مارس ١٩٩٠م.

حتى الآن تمّ علاج أكثر من مليون شخص بنجاح من خلال عمَليّة متطوّرة تؤمّن التصحيح الدائم "لقصر النظر"، "بُعد النظر"، "الاستيغما" (ASTIGMATISM)، و"الغلوكوما" (GLAUCOMA).

يعتبر هذا العلاج أكثر أنواع جراحة العيون تطوّرًا في العالم، ويمكن علاج كافة مشاكل وأمراض العيون تقريبًا على متن الباخرة في جوّ من الراحة والاسترخاء.

مستشفى فلوكس: يعمَل من المنطقة الحرّة بجبل علي في دبي حتى نهاية مارس ١٩٩٠، يضيء المستقبل المشرق أمام مستخدمي النظارات الطبيّة أو كل من يعاني من مشاكل في العيون..

دع فلوكس تمنح عينيك متعة البصر الكامل.

فلوكس رؤيا جديدة

فلوكس، مستشفى العيون العائم

الآن في مرفأ جبل علي - دبي
الإمارات العربية المتحدة
من اكتوبر ١٩٨٩ وحتى نهاية
مارس ١٩٩٠

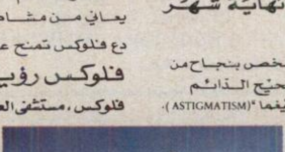

فلوكس
مستشفى العيون

للمزيد من المعلومات وللحصول على كتيّب مفصّل عن مستشفى فلوكس العائم، إتصل بمندوب فلوكس في منطقتك على العناوين التالية:

شرف للسفريات
ص. ب ٥٥٦١
دبي - الامارات العربية المتحدة
هاتف: ٥٢٦٦٣٦/٥٢٠٥٥٥
فاكس: ٥٢٠٥٣١
تلكس: ٤٦٦٠٨ شرف إي إم

شركة الشرق للتجارة والملاحة المحدودة
ص. ب ١٦٠
جدة ٢١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٦٤٨١٥٤٨
فاكس: ٦٤٧٦٧٧٥
تلكس: ٦٠١٢٠٣ بوكاري اس جي

شركة الشرق للتجارة والملاحة المحدودة
ص. ب ٢٠٦٢٨
الرياض ١١٤٦٥
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٧٦٨١٠٨
فاكس: ٤٧٦٠٩٨٧
تلكس: ٤٠٤٤٦١ بوكاري اس جي

شركة الشرق للتجارة والملاحة المحدودة
ص. ب ١٠٦٠
الدمام ٣١٤٣١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٣٤٦٣٤٢
فاكس: ٨٣٣١٥٧١
تلكس: ٨٠١٢٥٣ بوكاري اس جي

شركة وكالات الراشد للملاحة
ص. ب ٢٣٣٢٠
الصفاة ١٣٠٣٤
الكويت
هاتف: ٢٤٢٢٠٢٦
فاكس: ٢٤١٠٥١٤
تلكس: ٢٢٢٢٠

وكالة البحر الاحمر للملاحة
عمان، الاردن
هاتف: ٦٠٣٧٠٢
فاكس: ٩٦٢-٦-٦٧٢١٧٠
تلكس: ٢١٩١٢ ريدشيب جي او

سفريات البحرين العالمية
ص. ب ١٠٤٤
المنامة - البحرين
هاتف: ٢٥٣٣١٥
فاكس: ٢١٠١٧٥

مركز عبر الشرق للسفر والسياحة
ص. ب ٩٢ - دوحة - قطر
هاتف: ٤٥٨٤٥٨/٤٢٦٠٩٠
فاكس: ٤٣٢٦٩٨ -
تلكس: ٤٥٣٨ دي اتش

سفريات الفضاء
ص. ب ١٤٩٢٠
دوحة - قطر
هاتف: ٤١٢١٠٠ فاكس: ٤١١٩٨٢
تلكس: ٤٢٠٩ مناي دي اتش

سفريات ايهاب ش.م.م
ص. ب ٨٨٩
مسقط - عمان
هاتف: ٧٩٦٩٨٩
فاكس: ٧٠٣٨٦٢
تلكس: ٣٥٧٥ ايهاب اون

وكالات الفيحاء للملاحة
ص. ب ٧٣٩٥
موتيره - عمان
هاتف: ٧٩٣٤١٥/٧٩٧٠١٠
فاكس: ٧٩٨٠٢٩
تلكس: ٣٣٨٣ الناي اون

تأملات معاصرة

جذور المجتمع

خلال جولتنا في غابات كاليفورنيا أشار الدليل الى أن جذور شجرة السيكويا العملاقة غير عميقة في الارض. فقلت متعجباً: "هذا مستحيل، فأنا ابن الريف وأعلم أن الريح تقتلع الاشجار اذا لم تنغرز جذورها عميقاً." فأجاب الدليل: "هذا لا ينطبق على شجرة السيكويا، فهي لا تنمو الا في غياض، وتتشابك جذورها تحت سطح الارض، حتى اذا هبّت ريح قوية تماسكت ودعم بعضها بعضاً."

وفي هذا عبرة. فالناس يشبهون أشجار السيكويا العملاقة. فالعائلة والاصدقاء والجيران والجماعات الاخرى يجب أن تكون ملاجىء، حتى اذا ما هبّت رياح الحياة العاصفة عمل هؤلاء الافراد على تعزيز بعضهم بعضاً وكافحوا معاً في سبيل الصمود.

ل.ت.

السينما المذنبة

هناك موضوع يتكرر باستمرار في الافلام المعاصرة وهو أن الصناعيين العمالقة يسيطر عليهم المكر والطمع وحب السلطة. والصناعيون الكبار الذين تصورهم أفلام هوليوود مثيرون للكراهية على نحو متشابه.

إن كراهية من هذا النوع لا يمكن تفسيرها الا بحسب مبدأ "الانعكاس" الفرويدي القائل بأن المرء يرى عيوبه في غيره. فما هو قطاع الاعمال الأقل اخلاقاً والأكثر استعداداً لتقديم الاعتبارات المادية على المصلحة العامة؟ انه بالطبع قطاع الصناعة الترفيهية الذي يفسد أولادنا ويشجع العنف واللامسؤولية والانفلات الاخلاقي في سبيل تحقيق الارباح.

ان مبالغات هوليوود في تصوير عالم الاعمال ليس سوى انعكاس لضميرها المثقل بالذنوب.

د.ف.

اعالة البطالة

الاعالة الحكومية للعاطلين عن العمل مبدأ سيىء، ليس بسبب كلفتها الباهظة ولا لأنها تقوّض أخلاقية العمل، بل لأنها تتعارض والسبل التي اتبعها الانسان لتحقيق العيش الكريم.

"وول ستريت جورنال"

ضباب الحنين

الحنين يشبه المخدّر: فأنت لا تشعر بالألم بل بغموض ذهني جميل. عندما نتقدم في العمر لا تهمنا الاشياء كما كانت بل كما نتذكرها.

ر.ن.و.

كيف يمكن تحضير غداء سنة لخمسة أولاد؟

السندويش الكبير

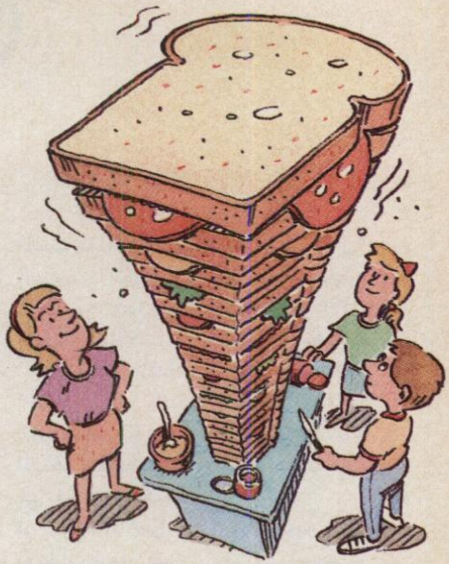

لا يمكنك اختصار الطريق مع الأطعمة المثلجة

صباح يوم سبت، والسنة الدراسية على وشك أن تبدأ، دعت والدتي خمسة من أولادها السبعة الذين هم في عمر الدراسة. وواكبتنا الى المطبخ. هناك ووجهنا بـ٧٤ رغيفاً كبيراً، وثلاثة دلاء ملأى بالزبدة والمربى والمايونيز، وقدر كبيرة من سلطة البيض، وبرميل من سمك التن، وقصعة عظيمة من الجبن، وطبق من النقانق المشرحة.

كانت والدتي سئمت توضيب الغداء لخمسة أولاد كل مساء على مدى خمسة أيام في الأسبوع وتسعة أشهر من السنة. ومن حظنا أننا وقعنا على ثلاجة تستوعب ٩٢٥ شطيرة او نحوها تكفي الأولاد الخمسة خلال العام الدراسي.

باشرنا العمل في العاشرة صباحاً. مرت عملية التصنيع بهدوء لبعض الوقت. كان كل واحد منا يعمل مستلهماً قناعة أننا نبتكر الشطائر التي سنأكلها نحن. لذلك جاءت النتائج شطائر رطبة سمينة والتوابل معيَّرة بدقة لترضي أذواقنا الشخصية.

نحتنا الشطائر على هذا المنوال لمدة ثلاث ساعات بمعدل أربعة للشخص الواحد في الساعة الواحدة. وبعيد الظهر أدركنا أننا اذا تابعنا على هذه الوتيرة فلن تنتهي قبل أسبوع. فتدخلت الوالدة وأصدرت حكماً نافذاً يقضي بابدال التصور المثالي الرأسمالي للمبادرة الفردية الرامية الى الربح الشخصي، بنظام الحصص النسبية.

وهكذا أُممت الكدسات الخاصة بكل واحد منا. ستكون الشطائر كلها ملكاً

© 1987 BY CULLEN MURPHY. CONDENSED FROM THE ATLANTIC (NOVEMBER '87), BOSTON, MASS.
ILLUSTRATION: PHILIP A. SCHEUER

للمجموعة. وتابعنا عملنا بهمم مثبطة.
ضُربت نوعية انتاجنا بتراجع حاد مفاجىء. شطائر كثيرة وجدت طريقها الى الثلاجة خالية من المايونيز أو التوابل. وتصاعدت روح الشر على نحو تعذر اجتنابه. أخذ بعض عناصر الفريق يتعمدون مرغ الهلام فوق سمك التن أو مزج الزبدة بسلطة البيض.

وعندما اقترب المساء بدأنا نتجادل حول حصصنا التي وجدناها كبيرة جداً. وبدا محتملا أننا سنمضي بين ٣٥ و٤٠ يوماً مرضى تلك السنة. وكنا متهيئين فعلا لضمان حدوث ذلك.

وعندما اقتربت ساعة العشاء خفضت والدتي كمية العمل الى عدد الشطائر التي أنجزناها والتي تجاوزت الثمانمئة.

في ذكرياتي عن ذلك الخريف وذاك الشتاء صورة الخبز الأبيض في حالاته الثلاث: الجامدة والسائلة والغازية. لقد تعلمنا أنه عندما يذوب الثلج عن شطيرة

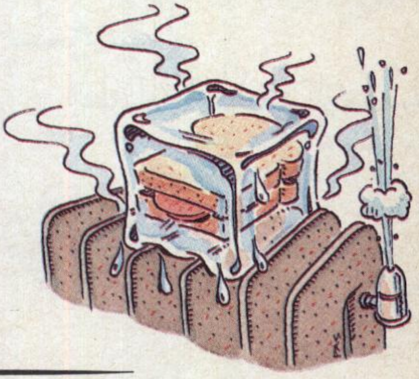

فان سمك التن وسلطة البيض يكسبان الخبز طراوة لزجة. كما تبين لنا أن النقانق والجبن تتسبب في اختفاء عناصر المايونيز.

في الاسابيع الاولى من السنة الدراسية كنا ننسى سحب الشطائر من الثلاجة في الوقت المناسب لتذويب الثلج عنها، فنضعها في الفرن في غرفة الغداء بالمدرسة ونقلّبها. وكانت حبال البخار تنبعث من الورق المشمع. وحين ينفد صبرنا كنا نحاول التهـام الشطيرة الذائبة، فنقضم الأطراف اللينة حتى نصل الى قلب المنطقة القطبية حيث كان الاستكشاف البشري مستحيلا.

وحلّت النهاية من دون أن نتوقعها في شهر مارس (آذار). فلمدة أيام حاولنا لفت الانتباه الى نوع من البقع على وجه شطائرنا. وبعد فترة وجيزة أظهرت الاختبارات في ملعب المدرسة قدرة التلاميذ المعصوبي الأعين على تحديد مكان شطائرنا الذائبة من مسافة أربعة أمتار.

وذات يوم تبعنا الوالدة الى القبو حيث تفحصت الشطائر وأرسلت تنهدة طويلة ثم قررت ببساطة: "لقد أتلفها الصقيع."

انتظرنا هناك برهة واقفين بذهول أمام الثلاجة الضخمة ننظر الى الكدسات الأنيقة من الغداء الذي انتهت مدة صلاحه. ورقص قلبي بهجة.

كالن مورفي ■

المتشائم يشكو من الريح. والمتفائل ينتظر تغيُّر اتجاهها. والواقعي يضبط الاشرعة.

و.أ.و.

دَعي طِفلكِ ينمو مَعَ سِيريلاك
سيريلاك
Cérélac
Infant milk cereal
Wheat-Banana
بالقمح والموز
Rice
بالأرز
Gluten-free
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Wheat- قمح
Nestlé
نستله
سيريلاك
الطعامُ الأول لِطفلكِ بالمِلعقة
عندما يبلغ طفلكِ شهره الرابع
لايعودُ الحليبُ وحدهُ يكفيه.
عليكِ بوجبةٍ مِن سيريلاك.
سيريلاك متوفر بعدّةِ أنواع تُلائم مَذاق
طفلك. سيريلاك يحتوي على العناصِر
الغِذائية الأساسِية التي تؤمّن
لِطفلكِ نموًّا متناسقًا
وسَليمًا.
Nestlé
تضمنه
نستله
PI 3686 A

Reader's Digest
المختار
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩
جمادى الاولى ١٤١٠
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

أطلق صرخة في وجه تجار المخدرات وشن حرباً كادت تكلفه حياته

عربي يتحدّى تجّار المُخدّرات

حين رن جرس الهاتف في الثالثة صباحاً رفع الدكتور غبريال نحاس السماعة وأصغى الى صوت يقول: "نحاس، ما لم تتوقف عن العمل لمؤتمر الماريوانا فستجد نفسك غارقاً في قاع نهر الهدسون منتعلا حذاء من إسمنت."

أقفل الدكتور نحاس السماعة بهدوء. وتململت زوجته ماريلين في فراشها ثم سألته بصوت يغالبه النعاس: "من المتكلم؟"

أجابها بلا مبالاة: "الرقم خطأ."

لم يكن من اليسير إفزاع الدكتور نحاس حتى إن كانت المكالمة موجهة الى رقمه غير المدرج في دليل الهاتف. فهو تلقى سابقاً تهديدات بالقتل وغدا معتاداً آنذاك، في العام ١٩٧٨، الكثير من أشكال الازعاج.

وكان منها، على سبيل المثال، تحطيم سيارته الفولكسفاكن الخضراء المتوقفة في أحد شوارع مانهتن بمطرقة ثقيلة، وادراج اسمه على لائحة أعداء مجلة "بلايبوي" للعام ١٩٧٨، وبيع محلات العقاقير المخدرة والمقوية لعباً تشبهه، مع دبابيس معدَّة للغرز في بدن اللعبة،

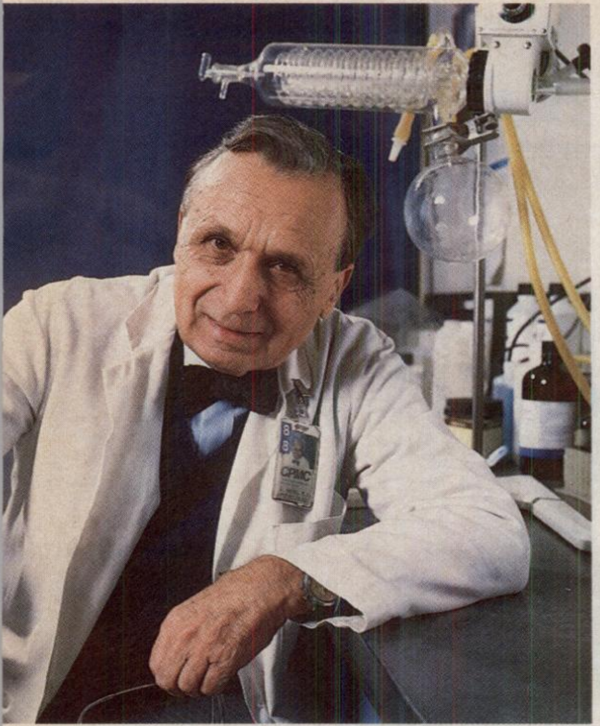

كي يُطلق مدخنو الماريوانا العنان لمشاعر الكراهية ضد هذا الرجل.

اما لماذا كان هذا العالِم البحاثة هدفاً لمثل هذه الكراهية الحادة، فلأنه الوحيد الذي سمى الماريوانا مخدراً خطراً، وعرَّفها بأنها ضارة جسدياً ونفسياً واجتماعياً، الأمر الذي لم تستسغه أسماع كثير من الأمريكيين، كما عمل أكثر من أي شخص آخر على نشر هذه المعلومات في الاوساط العلمية.

إباحة المخدر. باشر الدكتور نحاس حملته وحيداً في العام ١٩٦٩. وشنّ على مدى عقد من الزمن حرباً شعواء ضد جبابرة عملوا بقوة المال والنفوذ على إقناع الامريكيين بأن الماريوانا مخدر غير ضار بتاتاً، بل مفيد لقضاء أوقات ممتعة. وخلصوا الى وجوب إلغاء العقوبات الجنائية المتعلقة بالماريوانا، وابدالها بغرامات مدنية تماثل غرامات مخالفات السير، الى أن يصار الى تشريع استعمال المخدر.

وشاع تعاطي المخدرات في أواسط الستينات مروراً بالسبعينات بفعل موسيقى "الروك" وأفلام التلفزيون والسينما التي صورته متعة جذابة ومقبولة. في تلك الاثناء كان الاتجار بالمخدرات مشروعاً تماماً وبلغت أرقام مبيعاتها ملايين الدولارات.

كما حظي أنصار الماريوانا خلال هذه الفترة بدعم بعض أكثر شخصيات المجتمع الأمريكي احتراماً ونفوذاً، بدءاً بالبيت الابيض ونزولا الى جميع القطاعات الفاعلة. وطاولت الحملة الداعية الى إباحة المخدر جميع شرائح المجتمع الأمريكي وبقيت متغلغلة فيه الى يومنا. وحتى البرامج المدرسية المعدَّة لتوعية الطلاب الى مخاطر المخدر استكانت لهذه الحملة.

وكانت "المنظمة الوطنية لتعديل قوانين الماريوانا" في طليعة العاملين على تشريع هذا المخدر. وقد حظي أعضاء المنظمة في عهد الرئيس كارتر بعلاقات

PHOTO: © SAL DIMARCO, JR.

ممتازة مع البيت الابيض. وفي ٢ اغسطس (آب) ١٩٧٧ ألقى كارتر خطاباً أيد فيه رفع العقوبات الجنائية عن الماريوانا، وليس تشريعها.

أما القوة الأكثر دهاء وفاعلية في الحملة الداعية الى إباحة المخدر فكانت "هيئة سوء استعمال المخدرات" التي أوجدتها مؤسسة "فورد" عام ١٩٧٢ "لتقديم دراسة مستقلة عن الأنظمة العامة المتعلقة بالمخدرات." وبفضل علاقاتها البارزة تمكنت هذه الهيئة من نشر مفهومها الداعي الى استعمال المخدر "بمسؤولية" في الدوائر الحكومية والهيئات الخاصة.

ذكريات أليمة. وسط هذه الحال من القبول والاعلام الموجّه، تصاعدت نسبة تعاطي المخدرات في بداية السبعينات الى درجة أصبح معها الشعب الأمريكي أكثر شعوب الارض استعمالا للمخدرات، وفي طليعتها الماريوانا. وقد كانت نسبة التعاطي هذه لا تتعدى ٤ في المئة في بداية الستينات.

وذات أمسية من شهر أبريل (نيسان) ١٩٦٩ بدأ غبريال نحاس حملته وحيداً. كان في التاسعة والاربعين من عمره أستاذاً لعلم العقاقير في كلية الاطباء والجراحين بجامعة كولومبيا في نيويورك. حضر نحاس وزوجته في هذه الامسية اجتماعاً للأهلين في مدرسة ابنته البالغة ١٤ سنة. وكم كان ذهوله شديداً حين سمع المتكلم، وهو رقيب في مكتب مكافحة المخدرات المحلي، يقول: "قد لا تصدقون أن اولادكم يتعاطون الماريوانا يومياً."

وفيما تابع الرقيب عرض الحقائق والارقام عاد الدكتور نحاس بالذاكرة الى حادثة أليمة صادفته يوم كان يتمشى مع والده في شوارع الاسكندرية، مسقط رأسه. سأل والده آنذاك: "أبي، قل لي ممَّ يشكو هؤلاء الحشاشون؟" وكلمة "حشاش" كانت تُطلق على المتسوِّلين في شوارع المدينة.

أجابه والده: "آفة هؤلاء الحشيشة."

وعاد يسأل: "ولكن، لماذا تجعلهم الحشيشة هكذا؟"

هز والده كتفيه غير مبال وقال: "لا أحد يدري."

تلك الذكريات، وحرص نحاس على مستقبل أولاده الثلاثة، ووفاء لذكرى والده، دفعته لاحقاً الى دراسة الماريوانا. وقد بدأ مساره يتحدد في التاسعة من عمره عندما أصيب والده بشاره بمرض تصلب الشرايين وانتقلت العائلة من القاهرة الى باريس طلباً للعلاج على أيدي أختصاصيين. لكن هؤلاء لم يقدروا على شفاء الوالد الذي توفي بعد عامين. وتقهقرت العائلة من البحبوحة الى الفقر. غير ان الوالدة مضت في تدبير شؤون العائلة بشجاعة وحزم، ودفعت أولادها دوماً الى تحقيق الافضل.

وحين بدأت الحرب العالمية الثانية كان غبريال في منتصف تحصيله العلمي في كلية الطب. اذ ذاك انضم الى صفوف المقاومة واقتصرت مهمته في البداية على توزيع الرسائل والمنشورات. وذات صباح دهمت الشرطة السرية في حكومة "فيشي" غرفته وقبضت عليه بجرم حيازة منشورات. وأخضع لتعذيب قاس اذ أجلس

الى كرسيّ لطب الأسنان، وبدأ ضابط يدق مسماراً في مؤخر رأسه، وكان يسأله مع كل دقة عن مصدر المنشورات. لكنه رفض الادلاء بأي معلومات، ثم غاب عن الوعي تحت وطأة التعذيب. ولما أفاق من الغيبوبة وجد نفسه ملقى في غياهب السجن.

وبعد ثلاثة أشهر ونصف شهر من الاعتقال، أُطلق. فما كان منه الا أن عاود الانضمام الى صفوف المقاومة. وفي العام ١٩٤٣ أسندت اليه ادارة شبكة سرية مهمتها تهريب طياري الحلفاء وعملائهم. فنجح بتهريب أكثر من ٢٠٠ شخص، بينهم جنرالان بريطانيان، عبر فرنسا المحتلة وجبال البيرينه الى اسبانيا المحايدة.

وعندما وضعت الحرب أوزارها أنهى نحاس دراسة الطب وانتقل الى الولايات المتحدة على أثر حصوله على منحة. وهو نال ثلاثة أوسمة للبطولة هي الارفع في فرنسا وجُعل عضواً فخرياً في "رتبة الامبراطورية البريطانية"، كما مُنح وسام الحرية من الرئيس الامريكي آنذاك هاري ترومان.

هذا هو باختصار البطل القومي الذي نعته مروّجو المخدرات في ما بعد بـ"الفاشيّ" على أثر حملته ضدهم.

هراء خداع. حين بدأ الدكتور نحاس أبحاثه في العام ١٩٦٩ أدرك صعوبة الحصول على التمويل اللازم لدراسة أخطار المخدر. والسبب في ذلك حدّده أحد العلماء لاحقاً في أحدى جلسات التحقيق الاولي في الكونغرس: "أن الطريق الوحيد المضمون للحصول على أي تمويل لأبحاث الماريوانا هو الاعلان أنها مخدر غير ضار نسبياً وأن توقعات البحث ستؤيد هذا المنحى."

واذ تحقق نحاس من أن لا سبيل الى أي مساعدة رجع الى ما تجمع لديه من مال خاص واستحصل على مبلغ آخر من عائلته وزملائه وبدأ تحقيقاته.

وفي العام ١٩٧٣ نشر دراسة تتضمن ملاحظاته حول موضوع اكتساب المقاومة للحشيش (القنّب) معززاً اكتشافات سابقة لباحثين آخرين. وقد قلب هذا الاكتشاف المفهوم السائد ان الاكثار من تدخين الماريوانا يخفف الحاجة اليها. وفي العام نفسه أكمل مُؤلّفه "الماريوانا - النبتة الخداعة" الذي يضم ٣٣٤ صفحة وفيه عرض شامل للاخطار البيولوجية والاجتماعية التي ينطوي عليها الحشيش والتي لوحظت خلال مئتي عام.

ولم يلقَ نحاس سوى التشهير بشخصه وبكتابه. وكان أول الغيث مراجعة للكتاب أجراها لستر غرينسبون، وهو عالم نفساني بجامعة هارفرد وعضو الهيئة الاستشارية في "المنظمة الوطنية لتعديل قوانين الماريوانا." وقد نشر غرينسبون مراجعته في مجلة "نيو إنغلند" الطبية ووصف ما ورد في الكتاب بأنه "اتهامات بلا أساس هدفها الاثارة." واتهم نحاس بالعمل على تأخير قبول الماريوانا اجتماعياً. كما راجع الكتاب نورمان زنبرغ وهو أيضاً عالم نفساني وعضو في الهيئة ذاتها، ووصفه في مقال الى مجلة "مشاكل المخدرات المعاصرة" بأنه "هراء خدّاع كتبه رجل يسعى بوسائل

وَصفة قاسيَة

كثيراً ما يُسأل الدكتور نحاس عن أفضل السبل للحد من العرض والطلب للمخدرات غير المشروعة: يقول: أولا، يجب مقاضاة تجار المخدرات بمثل عقوبة القتل المتعمد، أي العقوبة القصوى. ثانياً، يجب ان تركّز وسائل الاعلام في المدارس وكل مكان آخر على شرح النتائج الضارة لتعاطي المخدرات، وتشدد على "الكف قطعاً عن استعمال المخدرات غير المشروعة." وينبغي ان ترافق الاعلام برامج ارشادية حول ضمان الصحة العقلية والجسدية. لكن الدكتور نحاس يحذر من "صعوبة ارشاد الاولاد الى العادات الصحية الحسنة في غياب الارشاد الأخلاقي." فلقد وصلت بعض البلدان، والولايات المتحدة في طليعتها، الى حد الاعتقاد أنه "من غير الاخلاقي فرض الدروس الاخلاقية." ثالثاً، وأخيراً، يجب خفض عدد الملايين من المدمنين، وإن تطلب ذلك الاحالة الاجبارية على برامج التأهيل والمعالجة.

واللافت ان دولا، بينها اليابان، نجحت في دحر "أوبئة" المخدرات فيها باتباع هذا البرنامج المثلث.

معيبة الى كسب حفنة من المال باستغلال قلق الناس المتزايد من سوء استعمال المخدر."

ولكن بدلا من "كسب حفنة من المال" راح نحاس ينفق من أمواله الخاصة للسفر الى أنحاء الولايات المتحدة، لافتاً الرأي العام الى أخطار الماريوانا. في تلك الاثناء كانت "الهيئة الوطنية لتعديل قوانين الماريوانا" تمارس الضغوط خلال الفترة الممتدة بين ١٩٧١ و١٩٧٩ لحث المجالس التشريعية في الولايات على "رفع العقوبات الجنائية" عن الماريوانا. وحده نحاس خرج من برج العلم العاجيّ وتجرأ على ان يشهد ضد أخطار المخدر.

وفي ٧ مارس (آذار) ١٩٧٣ تلقى مكالمة هاتفية دعته الى حضور جلسة تحقيق أولي في مدينة بوسطن حول رفع العقوبات عن المخدر. كان الوقت قصيراً والمسافة طويلة، وعليه الحضور الى بوسطن في اليوم نفسه. ترك أعماله وسارع الى المطار ووصل الى مبنى الـ"كابيتول"(١) في الوقت المحدد لشهادته، متحدياً الاضداد.

وفيما كان يدلي بأقواله عن إدمان المخدر، قاطعه رئيس اللجنة بقوله: "علمنا هذا الصباح من الدكتورين غرينسبون وزنبرغ أن ليس ثمة خطر في ادمان المخدر."

هزّ الدكتور نحاس كتفيه بلا مبالاة واستدار مواجهاً الجمهور ويداه ممدودتان وقال: "حسناً، يبدو أن بوسطن هي الوحيدة التي يؤثر فيها المخدر هكذا. ولكن في انحاء العالم يسبب المخدر الادمان." وفي نهاية المطاف استجابت

(١) الكابيتول هو مبنى الكونغرس الامريكي، كذلك مبنى الهيئة التشريعية في كل ولاية.

ولايات مساتشوستس ونيوجرزي وكانساس وتكساس وكونيتيكت لآراء الدكتور نحاس ورفضت رفع العقوبات الجنائية عن الماريوانا.

تابع الدكتور نحاس حربه ونشر في العامين ١٩٧٣ و١٩٧٤ ٣٠ دراسة بينها ٢٣ عن الماريوانا. وقد نشرت مجلة "ساينس" (العلم) المرموقة احدى هذه الدراسات الحاسمة في تبيان المضار الصحية للماريوانا وأثرها في جهاز المناعة. وشجَّعت الحملة الاعلامية الدكتور نحاس على مساعدة صديقه ديفيد مارتان، المحلل لدى اللجنة التشريعية في مجلس الشيوخ، في تنظيم جلسات التحقيق حول مخاطر الماريوانا عام ١٩٧٤. وظنَّ الاثنان ان الرأي العام سينبّه أخيراً الى مضار الماريوانا، وسيصار الى وضع حد نهائي لهذا الوباء. لكن الحدث مضى من دون تغطية اعلامية، كما مضت الأيام الستة التي استغرقتها التحقيقات من دون أن يسمع بها أحد."

قاعدة متينة. تابع الدكتور نحاس أبحاثه بعناد وأصدر مجموعة من ٩٩ دراسة عن الماريوانا و١٢ دراسة عن الكوكايين في الفترة الممتدة بين ١٩٧٣ و١٩٨٧. كما كتب أو اشترك في تحرير ١١ كتاباً، ستة منها حول الماريوانا وواحد حول الكوكايين وأربعة حول الإدمان. من هذه "حروب الكوكايين" و"كيف تنقذ طفلك من المخدرات" (٢).

بدأت القرائن والاثباتات التي جمعها الدكتور غبريال نحاس خلال جهاده الطويل تغيِّر الاوضاع والمواقف. وهو وجد حوله أخيراً حلفاء جدداً يساندونه.

وقد وصف الدكتور دونالد ماكدونالد، مساعد وزير الصحة الامريكي، زميله الدكتور نحاس بقوله: "غابي بطل حقيقي. ولا شك في أن بصيرته وتصميمه على اتخاذ موقف ثابت، على رغم الاخطار الشخصية، ساهما الى حد بعيد في تغيير مفاهيم الامريكيين ومواقفهم من المخدرات."

وطوال عمله الدؤوب ناصرته جمعيات الآباء المناهضين للمخدرات واعتبرته بطلا. وبفضل أبحاثه ومحاضراته ومقالاته وكتبه تزوَّد هؤلاء الآباء قرائن وإثباتات علمية تدعم حسهم الفطري بأن الماريوانا تؤذي أولادهم. وبوضع هذه القاعدة المتينة من المعلومات ساهم هذا الرجل الباسل في منع المخدرات من تحطيم حياة كثيرين.

بيغي مان ■

(٢) Cocaine Wars; How to Save Your Child from Drugs

عجباً!

قال رب العمل للموظف الجديد: "كان يجب أن تكون حاضراً في التاسعة صباحاً."
فرد الشاب: "لماذا؟ ماذا جرى؟"

ب.م.

الصداقة روح الزواج

إذا كانت ثمة أمنية واحدة لأي زوجين فهي أن يكونا رفيقين حميمين مدى الحياة. ومع أن معظم الرجال والنساء يدركون أن الحب أساسي لرباط كهذا يستمر مدى الحياة، فهم عادة لا يعون أن الحب من دون صداقة حميمة ليس سوى "وهم هورموني." لا يستطيع المرء اشتهاء شخص آخر على المدى الطويل من دون أن تربطه به أمتن علاقات الصداقة.

الرومنسية
"تحكي" الحب
لكن الصداقة تضعه على المحك

ان غياب الصداقة يؤدي الى تضارب في التوقعات مما يولّد الارتياب والارتباك وفي النهاية التباعد.

يقول ميشال الذي مضت على زواجه ١٣ سنة: "كانت زوجتي صديقتي المفضلة. ولكن مع مرور السنين تباعدنا. لم نعد نضحك كما كنا نفعل سابقاً... ونادراً ما نمارس الجنس. أشعر بجوع عاطفي، لكنني لا أعلم كيف أغير واقعي. وقد بدأت أتصور نفسي مع نساء أخريات، وهذا يخيفني."

وتشكو راشيل المتزوجة منذ ١٦ سنة أنها عندما تحاول التقرب من زوجها يستنتج فوراً أنها تحاول أن ترتب "فصلا" رومنسياً. تقول: "انه يعرف أنني رومنطيقية، لكنني أيضاً أريد أن أكون صديقة له. وهو يخلط بين الامرين. يعتقد أنني اذا أردت قضاء عطلة نهاية أسبوع هادئة بعيداً فذلك يعني رغبتي في أن نجلس الى مائدة تنيرها الشموع ويحدق واحدنا في عيني الآخر. وهذا ليس صحيحاً."

ان الصداقات الناجحة بين الازواج تمزج مشاعر الحنان والرفقة مع الجنس والعاطفة، وهذه مهمة شاقة. وفي حقل مهنتنا كعلماء نفس سريريين، توصلنا الى تحديد خمسة عوائق للصداقة في الزواج هي الآتية:

١ الافتراضات الخاطئة. أحد الاسباب التي تضعف حسن المعشر بين الازواج هو أنهم يفترضون، من دون وعي منهم، أن الشريك يختلف عن الصديق. هؤلاء الافراد قد يصفون شريكهم بالعاشق، أو بالمعشوق، او بالشخص الذي يحمونه بشراسة. ويغيب عن بالهم مفهوم الشريك كنظير ورفيق وصديق.

مثل هؤلاء يملكون نظرة عتيقة للزواج ترى فيه تشابكاً للوظائف والحاجات وليس صداقة. ويبحثون خارج نطاق علاقتهم الزوجية عن أمر بسيط وعادي كالصداقة. انهم عادة أكثر كرماً مع الآخرين منهم مع شركائهم.

٢ فقدان المشاركة. خلال الفترة الرومنطيقية للعلاقة تسيطر مشاعر الاثارة والسعادة والنشوة. لكن مشاركة المخاوف والاهتمامات هي التي تجعل الالفة ممكنة. تحكي الرومنسية الحب، لكن الصداقة هي التي تضع الحب في قمة الاختبار. ان الاحساس بأن هناك انساناً يمكنك الاعتماد عليه في السراء والضراء أمر أساسي للصداقة.

جينا المتزوجة منذ ثلاث سنوات قلقة لما أصاب العلاقة بين والديها، وهي تقول: "انني قلقة جداً لأن أبي بدأ يتعاطى الكحول، لكنني لا أقوى على مفاتحة زوجي ريتشي بالموضوع، وهذا ما يشعرني بالغربة عنه."

وهي في الواقع لا يمكنها مناقشة الامور مع زوجها الا إذا توافرت لهما فسحة كبيرة من الوقت، "لكن ذلك هو الوقت الذي يحب أن يكون فيه رومنطيقياً خالياً من الهموم ومن الكلام عن أمر جدي قد يزعجه."

هكذا يعمل ريتشي على ايذاء علاقته

CONDENSED FROM «HUSBANDS AND WIVES: EXPLODING MARITAL MYTHS / DEEPENING LOVE AND COMMITMENT,»
COPYRIGHT © 1989 BY MELVYN KINDER AND CONNELL O'BRIEN COWAN, PUBLISHED BY
CLARKSON N. POTTER, INC., NEW YORK, N.Y. PHOTO: © STOCK IMAGERY / DICK LURIA

الزوجية. ان انشغاله بالرومنسية يمنع عنه وعن زوجته الالفة الحقيقية والصداقة. وعلى جينا أن تقول له: "أفهم أهمية الاسترخاء بالنسبة اليك عندما نتمكن من الاختلاء معاً. لكنني أرغب أيضاً في التحدث اليك عن أمور تقلقني، وفي هذه اللحظة أخشى أن يكون والدي في ورطة حقيقية."

ان صراحتها وصدقها في ما يختص بمشاعرها، واقرارها في الوقت ذاته بانزعاج ريتشي من المشاعر القلقة، يمكن أن تؤدي الى مزيد من الانفتاح في علاقتهما.

٣ تبادل غير متكافىء. تحصل الصداقة فقط عندما نتقرب من شريكنا على أسس المساواة. وعوض البحث عن الأخذ والعطاء في علاقة متكافئة، قد نفرض آمالاً غير واقعية على شريكنا تمنع تحقيق الصداقة بيننا.

جون المتزوج منذ ١٢ سنة يصر على أن زوجته كاثرين ليست صديقة جيدة كما يريدها أن تكون. أما المشكلة فتكمن في أنه ينتظر من زوجته مقداراً مفرطاً من الاستحسان والاطراء، والسبب في ذلك يعود جزئياً الى ذكائها ودهائها. وهاتان هما الصفتان اللتان جذبتاه اليها بالدرجة الاولى. ولكن عندما تحاول كاثرين انتقاده فانه ينفر منها ويبتعد.

الاصدقاء يقدمون تشجيعاً صادقاً، وينتقدون بصدق أيضاً. وعدم سماح جون لزوجته بذلك يوقف وسائل الاتصال بينهما ويمنع الصداقة من أن تزهر. انه يرغب في صورة أم تمنحه الحب غير المشروط والاطراء الدائم. لكن ما يحتاج اليه هو صديق مخلص.

٤ عدم القبول. نشعر، كأزواج وزوجات، بأن لنا حقاً في أن نطلب من شريكنا أن يغير هذه الصفة أو تلك، وفي الوقت عينه نريده أن يكون صديقنا. وننسى أن الاصدقاء يحتملون الفوارق.

ان التقبل والتفهم الذي نحصل عليهما من خلال الصداقة هما ما يجعل هذه العلاقة حيوية ومريحة. نحن لا نتوقع أن يكون أصدقاؤنا على شاكلتنا وكأنهم مرآة لنا. لكن كثيرين منا يتوقعون أن يكون شركاء حياتهم كذلك.

٥ تغذية الضغائن. للتوصل الى صداقة حقيقية في الزواج يجب ان نطرح الضغائن القديمة والامتعاضات. لاحظوا: لا ذكر هنا لضرورة العمل على ايجاد حلول. فمعظم العقد القديمة لن تحل أبداً، ومحاولات حلها نهائياً هي غالباً محاولات مبطنة لتحقيق انتصار نهائي. يجب أن نصرف مثل هذه العقد عن بالنا ونتابع حياتنا.

ان الازواج الذين يريدون التقرب من شركاء حياتهم ينجحون في ذلك عندما يغيرون تصرفهم لا كلامهم. عندما يتصرفون بطريقة جذابة مفعمة بالحياة تَعِد برفقة دافئة. عندئذ يتجاوب الشريك.

مضى على زواج جايسون وليليان ٢٣ سنة. ومرت عليهما أيام سعيدة وأخرى تعيسة. وشعر جايسون بميل الى امرأة أخرى، وعرفت زوجته بالامر مما ادى الى

سنوات من الالم وفقدان الثقة. والى ذلك كان جايسون نزّاعاً الى انتقاد ليليان مما أبعدها عنه أكثر. وبعدما كبر أولادهما وغادروا المنزل صعب عليهما مواجهة "العش الفارغ." وهذا ما جعلهما قلقين. عند هذه النقطة اتفقا على التسليم بالبقاء معاً.

في البداية لام جايسون ليليان لأنها لم تكن تبدي حماسة عندما كان يعرض عليها نشاطات جديدة تناسب ذوقه. وكانت ليليان تحب السفر في رحلات ترفيهية وكان هو يكره هذه الفكرة. وأخيراً قرر جايسون التوقف عن التصرف بسلبية وأنانية وتدبر رحلة كان يعرف ان زوجته ستحبها. كانت هذه نقطة التحول في حياتهما، فهي التصرف الوحيد غير الاناني الذي عبر عن اهتمامه بزوجته أكثر من أي تأكيد كلامي.

بعض الازواج أنانيون أكثر كثيراً مما يدركون. الناس يهبون أنفسهم للاصدقاء، ويبحثون معهم عن اهتمامات مشتركة، ويتنبهون الى الحوادث التي تحصل في حياتهم. لكن الامور تتبدل مع شريك الحياة.

الصداقة حركة. انها تحدث عندما نفعل شيئاً يشجعها، عندما نخطو خطوة في اتجاه شريكنا، عندما نضع أنفسنا في عالم اهتماماته وحاجاته. كلنا وحيدون أساساً في هذه الحياة، لكن الصداقة تغني الزواج اذ تشعرنا بأننا مقبولون ومفهومون ومحبوبون.

ملفين كندر وكونيل كوان ■

مثله تماماً!

أصرت احدى الامهات على أستاذ موسيقى أن يستمع الى تسجيل لعزف ابنها الموهوب على الكمان. فوافق الرجل أخيراً على الاستماع. فأدارت المرأة شريط المسجلة.

يا لروعة هذه الموسيقى، قال العازف في نفسه. فالقطعة صعبة لكنها عزفت بعبقرية أغرقت عينيه بالدموع. وأصغى مسحوراً الى التسجيل بكامله.

ثم همس: "هل هذا ابنك، يا سيدتي؟"

أجابت: "كلا، لكن ابني يعزف مثله تماماً."

ج.س.

مخطوطة ولد

كنت أعمل بالاجرة ضاربةً على الآلة الكاتبة. ومرة كنت أطبع تقريراً حضّره تلميذ في المرحلة المتوسطة، فتوقّفتُ لدى وصولي الى ١٥ صفحة مصورة من احدى الموسوعات ولا من تعليمات ترافقها. فسألت زبوني الفتى ماذا يريدني أن أفعل بهذه المادة، فأجاب: "اذا كنت تستطيعين صوغها بأسلوبك فيما أنت تطبعين، فسيكون ذلك عوناً كبيراً."

د.ب.

طوال ستة وعشرين قرناً احتفظت أعماق البحر المتوسط بسرها الى أن أتاها عالم آثار شاب

ذات يوم من صيف العام ٦٠٠ قبل الميلاد في جزيرة جيغليو التوسكانية الواقعة بين ساحل ايطاليا الغربي وجزيرة كورسيكا، توقف صرار الليل فجأة عن الغناء، ثم هبت ريح عاصفة من البحر. وأحدق خطر حقيقي بالسفينة المحملة الراسية قرب حاجز الماء قبالة جرف صخري عال. "اقطعوا حبال المرساة وأسرعوا الى المجاذيف!" لكن السفينة التي يبلغ طولها عشرين متراً والملأى بحمولة تجارية أصبحت في حكم الهالكة. فقد رمتها الرياح العاتية فوق سلسلة

أعتق الكُنوز البَحريّة

مانسن باوند وريغ فالنتين ينفضان الرمل عن قعر السفينة.

صخور تبعد ٢٠٠ متر عن الشاطىء، فتمزق قعرها وقفز الرجال الى اللجة بعدما تدفقت المياه الى الداخل. وما هي الا لحظات حتى ابتلعت الامواج السفينة فاختفت في أعماق البحر... ولكن ليس الى الابد.

عام ١٩٨١ كان مانسن باوند في منطقة ساحل بريطانيا الجنوبي في منزل كاتب مولع بالتاريخ البحري. وفيما الرجلان مستغرقان في حديث حول السفن الشراعية القديمة وقع نظر مانسن على قطع فخار قديمة معروضة على أحد الرفوف. لقد جمعت هذه القطع خلال رحلات غوص، وكانت غالبيتها عائدة الى العصور الرومانية. لكن إحداها، وهي أذن جرّة صغيرة، استحوذت على اهتمام عالم الآثار البريطاني البالغ من العمر ٤٨ سنة وجعلته شديد الاهتمام والانفعال.

كان الشكل الانيق لهذه القطعة بمثابة توقيع بالنسبة الى عينيه الخبيرتين. وبات شبه واثق بأنها من صنع أتروريا، تلك الحضارة التي تمركزت في بقعة تدعى توسكانا اليوم وكانت رائدة روما القديمة.

كان الشعب الاتروري موهوباً ومحباً للموسيقى، لكنه بقي مجهولا إذ لم نحصل على أي نتاج أدبي له كما لم يُعثر الا على ثلاثة رسوم تخطيطية للسفن التي كان يستعملها، على رغم أنه ظل قوة بحرية نحو أربعة قرون وحتى قرابة العام ٥٠٠ قبل الميلاد. اما المعلومات حول حياة هذا الشعب وأسفاره في البحار والسلع التي تاجر بها فتكاد تكون معدومة.

قال الكاتب انه وجد أذن الجرة قبل عشرين سنة في قاع البحر في جيغليو. في ذلك الوقت كان يصطاد بالحربة ومعه انكليزي يدعى ريغ فالنتين يعمل مديراً لمدرسة غوص في الجزيرة، فعثرا على بقايا قديمة مبعثرة في سفح جرف تحت الماء.

وذاعت أخبار الاكتشاف. وحين عجز فالنتين عن ردع الغطاسين عن نهب هذه البقايا، على رغم تحذيره اياهم من لا شرعية عملهم، غطس الى القعر وطمر ما تبقى من القطع بعدما التقط صوراً لقسم منها.

قضية مقنعة. عثر مانسن باوند على فالنتين في لندن. وكان هذا في منتهى الدقة، إذ أرَّخ اكتشافه واحتفظ بالصور. ولحظة رأى مانسن الصور أدرك أنه امام اكتشاف عظيم. فقد حملت قطع الفخار سمة كورنثيا (في اليونان اليوم) وفينيقيا وأتروريا وكلها ترقى الى قرابة العام ٦٠٠ قبل الميلاد عندما كان الاتروريون في ذروة نفوذهم. لكن الصور وحدها لا تقدم حجة قاطعة للحصول على تمويل لبعثة غطس. لذلك تعيَّن اقتفاء آثار هذا الاكتشاف الذي سلب قبل عقدين.

مانسن القوي الطويل القامة ذو الشعر الاشقر الاشعث لا تثني عزيمته المصاعب والتحديات. لقد شبّ في جزر فوكلند في جنوب الاطلسي واشتغل كعامل تزييت على سفينة تدور حول كيب هورن، الطرف الاقصى في أمريكا الجنوبية. ثم قصد الولايات المتحدة متنقلا مجاناً من سيارة

PHOTOS: M.A.R.E

الى أخرى. وحط رحاله في جامعة نيوجرزي والتحق ببعثات غطس بحثاً عن حطام السفن في البحر المتوسط. وها هو الآن يوقف أبحاثه في جامعة أوكسفورد حول تلوين الاواني الاغريقية ويباشر حملة بحث عن حطام سفينة تخص حضارة غير معروفة.

باستثناء أسماء الغطاسين الواردة في مذكرات فالنتين، يمكن القول ان مانسن بدأ من الصفر. وبمساعدة جوانا يلويز، وهي زميلة له تزوجها لاحقاً، لاحق الآثار المنهوبة في أنحاء أوروبا. وبين القطع التي استرجعاها أولا إناء صنع في كورنثيا كانا اقتفياه حتى وصلا الى غرفة جلوس في مونت كارلو بامارة موناكو. كما عثرا على خابية من صنع جزيرة ساموس اليونانية.

ولم يعد هناك شك في أن حطام السفينة سيزيد العلماء معرفة جلى. ولكن هل ستسمح مصلحة الآثار الايطالية بالحفر في موقع قيم كهذا؟ لحسن الحظ، دعمت باولا رنديني الفكرة وهي موظفة في مصلحة علم الآثار الخاصة بتوسكانا في فلورنسا. تقول: "كانت قضية مانسن مقنعة وحجته لا تقاوم. فباستثناء بعض القطع، لم يعثر ابداً على حطام سفينة يعود الى تلك الحقبة الغابرة."

أربع كسر. وصل مانسن وجوانا وفريقهما المؤلف من أربعة عشر غطاساً متطوعاً الى الجزيرة قبل أيام من اصدار

خوذة برونزية اغريقية كما عثر عليها ثم (تحت) بعد معالجتها.

سلطات روما اذناً بالتنقيب. في ذلك اليوم، الثاني من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢، كان الزوجان يقفان على المنحدر يحدقان الى سلسلة الصخور. فشعرا بالاحباط. لقد كرسا أشهراً من الجهد في سبيل جمع المال. وباعا كل ما يملكان باستثناء بيانو جوانا وكتب مانسن. وها هما الآن يريان عند الصخور خمسة عشر مركباً يقفز منها غطاسون مزودون أجهزة للتنفس. أيعقل أن يبقى شيء من الحطام بعد واحد وعشرين عاماً؟

في اليوم التالي غطس مانسن برفقة ريغ فالنتين الذي اصطحبه الى حيث وجد الآثار سابقاً. وكانت نتيجة المحاولات الثلاث الاولى إخفاقاً ذريعاً. وفي المحاولة الرابعة رأى مانسن أربع

كسر من الفخار مبعثرة على الرمل فوثب قلبه بين ضلوعه. كان واضحاً أن القطع أترورية. وسجل هذا الاكتشاف بدء خمسة مواسم من الحفريات المثيرة، قام بها فريق مانسن الذي سمي رسمياً في ما بعد "وحدة جامعة أوكسفورد للابحاث الاثرية البحرية." وكان أعضاء الفريق "ينخلون" قاع البحر، فينفضون الرمل بأيديهـم وبمكانس صغيرة ويقطعون الاعشاب البحرية ويحفرون تحت الصخور.

وظهرت الاسباب التي حفظت الحطام من الناهبين. فبعدما اصطدمت السفينة بالصخور انزلقت على سفـح الجـرف وتبعثرت محتوياتها الى أن همدت في القعر. وفي الاعماق الضحلة لم يبق شيء. لكن هيكل السفينة دفن في الرمل على عمق خمسين متراً، وهو الحد الذي يستطيع الغطاسون بلوغـه من دون التعرض للمتاعب.

أقدم سفينة. لم يكن في امكان غطاسي الفريق العمل في الاعماق أكثر من ثماني عشرة دقيقة. وتوجب عليهم وهم عائدون الى سطح الماء التوقف على مراحل، فترات تصل الى ثلاثين دقيقة، لكي "يذوب" النيتروجين الذي امتصته أجسامهم والا كون فقاقيع في الدم وسبب انسدادات قد تؤدي الى الشلل أو الموت.

هذه المخاطر كانت بمثابة تحد للفريق المؤلف من نحو مئة وعشرين غطاساً هاوياً قدموا من بريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة وأوستراليا وغيرها. وكانوا يأتون لمدة أسبوعين او ثلاثة أسابيع في كل صيف على نفقتهم الخاصة ويغطسون بحثاً عن الحطام." ما من مغامرة في العالم تقارن بالاثارة الناجمة عن كشف قطعة مدفونة منذ ٢٦٠٠ عام في الاعماق." هكذا قال جيان لويجي ساكو (٥١ عاماً) وهو مهندس نووي من تورينو.

تم تصوير كل قطعة في موضعها الاصلي وفي موقعها المعين على الخريطة قبل نقلها الى مقر الفريق في منزل مهجور. وكانت كل قطعة جديدة - قارورة عطر صغيرة منفوخة من كورنثيا أو كوز للشرب من اسبرطة أو قنديل زيت استعمله البحارة - تنقع في الماء العذب لازالة الملح عنها ثم تصور ثانية وتقاس بدقة. بعد ذلك يرسم الخطاط صورة تقنية كاملة التفاصيل تدون في ذاكرة الدماغ الالكتروني وأكب مانسون على دراسة المنبوشات.

أثبت الحطام أنه يعود الى عصور غابرة ويخص أقدم سفينة تجارية عبرت المحيط وتم العثور عليها حتى الآن. وحدد مصدر الاواني الفخارية في ستة أماكن على الاقل من شرق المتوسط، ويبدو أنها جمعت على فترات مختلفة. ويشرح مانسن: "يبدو أن السفينة كانت تتبع برنامجاً معيناً في سفرها. وتبين لنا من

قارورة عطر.

رؤوس السهام التي وجدناها في القعر أنها كانت مجهزة لمواجهة القراصنة. وتقفينا خوذة محارب رائعة هربت من المكان الى هامبورغ في ألمانيا الغربية بعيد اكتشاف فالنتين، واستغرق العثور عليها نحو ثلاث سنوات. لقد صنعت هذه الخوذة بتطريق لوح برونزي واحد ومهارة حرفي يوناني. ومما لا شك فيه أنها كانت تخص رجلا وافر الثراء، نافذاً، قد يكون مالك السفينة."

٧٠٠٠ قطعة. سرعان ما برزت الحاجة الى تضليل الناهبين المزودين أكمل التجهيزات. فأزيل اسم البعثة عن الشاحنات لضرورات أمنية. وعمل على "تهريب" التحف المكتشفة عبر حشود المتفرجين الذين زرعوا الشاطىء.

ولاحباط صائد التحف الاثرية وجهت جوانا آثار حبال زائفة الى بقعة من قاع البحر زرعت كسراً من بلاط الحمامات.

لكن التعب لم يجد. فعندما عثرت جوانا في يونيو (حزيران) ١٩٨٣ على ثلاث قوارير عطر ملونة وسليمة أبقت عليها في مكانها ريثما يتم تصويرها. فساءت حال الطقس ولم يتمكن الفريق من العودة الى الموقع الا بعد ثلاثة أيام. وعندما وصل مانسن وجوانا الى القعر لم يجدا سوى حفرة أحدثتها قنبلة بعثرت الموجودات. لقد جاء مركب "قراصنة" الآثار ليلا ومعه أنبوب امتصاص، فشرق في لحظات ما حفره الفريق بأيديه خلال أيام طويلة. واختفت القطع الثمينة. يقول مانسن: "هؤلاء القراصنة هم بالنسبة الى علم الآثار كخنفساء الموت بالنسبة الى التحف الاثرية. انهم أكبر المدمرين."

وشيئاً فشيئاً توضحت التجارة التي تعاطتها السفينة. ومن المنحدر الصخري اكتشفت باولا رنديني حاجز الماء الذي ربطت اليه السفينة، وقد غمرته المياه الآن بعدما ارتفع منسوبها مترين على ما كان في العصور القديمة. وعثر على قطع حجرية طويلة في القعر تبين أنها عوارض مراس صنعت من الصوان الذي ربما اقتلع من الجزيرة. وبات شبه مؤكد أن السفينة كانت محملة بهذه العوارض.

ووجدت جوانا لوح كتابة من جلد لعله ذلك الذي استعمله القيم على سجل السفينة عندما حلت الكارثة. وفي غضون ذلك دب النشاط في مركز الترميم التابع لمتحف الآثار في فلورنسا. فأفرغت الرفوف من محتوياتها وخصصت لعرض سبعة آلاف تحفة أثرية انتشلت من جيغليو.

والقطع الاتروريه المنبوشة من قبل تالفة بفعل الحمض (الأسيد) أو العفن الناجم عن رطوبة القبور. أما القطع المنبوشة في جيغليو فبدت كأنها صنعت بالامس.

بعد نقع الاواني الفخارية في الماء العذب مدة أشهر كانت تجفف ببطء تفادياً لتحطمها. أما القطع الخشبية المشغولة والفريدة من نوعها في علم الآثار الاتروري - بينها قائمة أريكة مرصعة وآلات نفخ موسيقية ومسماكان من خشب الزيتون تعلوهما كتابة يونانية وكان نجار السفينة يستعملهما - فقد تتفتت وتتحول غباراً اذا ما جف الخشب.

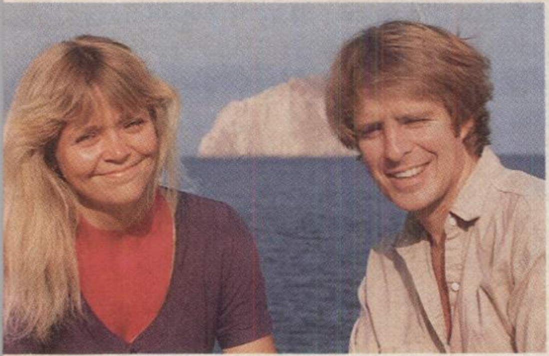

مانسن وجوانا.

لذا ابتكر خبراء الصيانة تقنية جديدة تبدل الماء بشمع يستخرج من صمغ شجرة الدراق.

الانتشال الكبير. في ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٤ اكتشف غطاس من فريق مانسن قطعة من قعر السفينة يبلغ طولها ثلاثة أمتار وما زالت عالقة فيها ثلاث قطع من ألواح خشبية. وفي السنة التالية جمع فتات الالواح الخشبية المهترئة في صناديق وانتشل بتأن الى سطح الماء. وتبين من رمم الحبال العالقة بها أن هذه الالواح أوثق بعضها ببعض على طريقة شمال المتوسط، مما أثبت أن السفينة أترورية. وقد دعم قعر السفينة الخشبي بصندوق في شكل تابوت طويل.

حدد موعد عملية الانتشال الكبرى في السابع من يوليو (تموز) ١٩٨٥، فتوافد مئات المتفرجين الى الجزيرة. وتم تصوير هذا الانجاز بكاميرات تلفزيونية تعمل تحت الماء. ونفذت العملية بدقة كلية. وبين زورقين مطاطين سحبت أقدم قطعة لسفينة تجارية تم انتشالها، وأدخلت مرفأ كامبيسي في جزيرة جيغليو وسط تهليل الحشود التي ساعدت على حملها الى اليابسة.

بالنسبة الى العلماء في الميادين المختلفة – الاسلحة القديمة والفن والتاريخ الاقتصادي وبناء السفن والعلم الاتروري – حمل وصول قطعة السفينة الى اليابسة آمالا كبيرة.

"كان ذلك بلا شك أحد أعظم الاكتشافات الاثرية التي تحققت تحت الماء،" يقول باتريس بومي مدير الابحاث الاثرية البحرية في فرنسا.

وفيما يعمل الخبراء على صيانة الحطام والآثار المكتشفة في جيغليو، تدرس مشاريع أخرى لترميم قلعة من القرون الوسطى قائمة على أحدى قمم الجزيرة.

هنا، في متحف خاص، ستعرض البقايا الاثرية. وفي هذه الاثناء ما زال مانسن وجوانا متقدمين على قراصنة الآثار ومستمرين في التنقيب عن السفن التاريخية الغريقة.

جون دايسون ■

الحب الحقيقي نادر، والصداقة الحقيقية أندر.

لاروشفوكو، كاتب فرنسي

أصداء من عالم الطب

احزموا اطفالكم جيدا

وَقَتْ مقاعد الامان في السيارات، في العام ١٩٨٧، ٢٨٠٠٠ طفل دون الرابعة من العمر من الاصابة بجروح. لكن الحكومة الامريكية تعتبر انه كان في الامكان مضاعفة هذا الرقم لو ان كل الاهل استخدموا هذه المقاعد على نحو صحيح.

من اهم الاخطاء الشائعة ما يأتي:

● عدم شد الاحزمة حول الطفل او شدها على شكل مهلهل رخو.

● اهمال تثبيت القضبان او التروس او الاطواق وفقا لتعليمات الصانع.

● تمرير حزام مقعد السيارة بشكل خاطىء خلال اطار كرسي الامان، مما يعرض الكرسي الى الاندفاع بقوة نحو الامام.

● توجيه مقاعد الاطفال دون ٩ كيلوغرامات وزنا الى الامام بدل توجيهها نحو مؤخر السيارة.

يقول تقرير كتبه كارن ستروب وزملاؤه في معهد الطب الجامعي بولاية انديانا ان ٧٧ في المئة من مقاعد الامان في الولاية اعدت على نحو خاطىء في العام ١٩٨٤. وفي العام ١٩٨٦ نقصت نسبة سوء الاستعمال الى ٣٨ في المئة. ويقول ستروب: "ما زال هناك عدد كبير من الناس يرتكبون الاخطاء ذاتها."

ب. ك. ه.

الانفلونزا تؤثر عقلياً

بيّنت دراسات العالم النفساني أندرو سميث من "وحدة الزكام" في مجلس الابحاث الطبية في سالزبوري ببريطانيا، أن الاصابة بالزكام أو الانفلونزا تؤثر في المرء عقلياً وجسدياً. في احدى دراسات الانفلونزا تدنى وقت الارتكاس(★) لاهداف الفيديو التي تظهر في فترات عشوائية، بمعدل ٥٧ في المئة لدى المصابين بألم في العضلات وبالحمى وبارتفاع معدل نبض القلب. وبالمقارنة، فان تناول كأس أو كأسين من الكحول يضعف هذا الوقت بما يراوح بين ٥ و١٠ في المئة. وبظهور علامات الزكام يتأذى الترابط بين العين واليد. فالقدرة على تعقب الاهداف المتحركة، كأهداف ألعاب الفيديو، تدنت بصورة ملحوظة في المرضى الذين يعانون الانفلونزا. وللتخفيف من هذه العوامل المؤثرة، على المرء أن يتجنب النشاطات التي تقتضي التفكير الفوري حين يكون مصاباً بالانفلونزا. وفي ما يختص بالزكام، يجب عدم المراهنة على قدرة المرء على التجاوب بسرعة مع نشاطات كألعاب الفيديو أو ما هو أهم منها كثيراً، كقيادة السيارة.

مجلة "سيلف"

(★) Reaction time

عَين أوستراليّة

التلسكوب الأوسترالي يكلف ٥٠ مليون دولار ويعيد الى اوستراليا

في غرفة ضيقة للمراقبة في بلدة كلفورا الواقعة في عمق مقاطعة نيو ساوث ويلز الاوسترالية، انحنى المهندس الكهربائي ورويك ويلسون والفلكي ريك فورستر فوق شاشة دماغ الكتروني وراحا يلقِّمان الجهاز سلسلة معقدة من الاحداثيات. وبدا من نافذة المراقبة هوائيّ ضخم مقعَّر يرتفع الى علو ست طبقات فوق المكان. وما هي الا لحظات حتى راح يدور ببطء باحثاً عن إشارة لاسلكية بالغة الصغر من الفضاء الخارجي.

حدَّق ويلسون وفورستر الى الخط الأخضر المترجرج على الشاشة. ولثوان، ظل الخط مستقراً، ثم علا فجأة مكوناً شكلا سنبلياً مثيراً. "ها هي! لقد حصلنا عليها!" شهقة حماسة أطلقها الاثنان اذ أحدق التلسكوب(١) الاوسترالي بغيمة من الجزيئات في مجرة درب اللبانة(٢) على موجة البث «NGC 6334» . وكانت تلك المرة الاولى يتلقى هذا التلسكوب اشارة من الفضاء الخارجي.

يعتبر التلسكوب الأوسترالي من الاكثر تطوراً في العالم، وهو الأفعل في مجالات الفضاء الجنوبي. فلقد استغرق بناؤه زهاء

(١) التلسكوب، أو المقراب، آلة تقرِّب صورة الاجسام البعيدة.

(٢) Milky Way وهي المجرة التي تضم نظامنا الشمسي.

صورة ليلية للهوائيات في كلفورا.

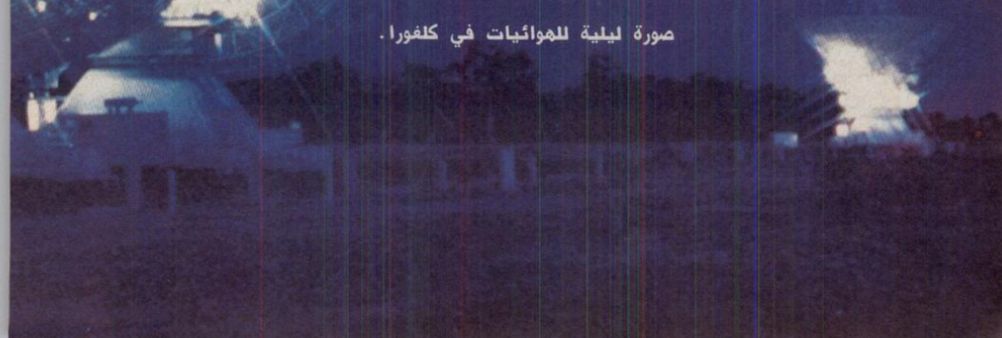

تسبر الكون

دورها الرائد في الفلكيات اللاسلكية

سبع سنوات وبلغت كلفته ٥٠ مليون دولار. يقول مديره رون إكرز: "من المتوقع أن ينجز هذا التلسكوب اكتشافات هي أبعد من حدود التصور. ولسوف يقود الى حقبة جديدة في علم الفلك."

فكرة عظيمة. افتتح مركز التلسكوب رسمياً في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ وشمل مجموعة من ستة هوائيات شُيِّدت في بلدة كلغورا الواقعة على مسافة ٤٠٠ كيلومتر الى الشمال الغربي من مدينة سيدني. ومن المتعارف عليه علمياً أن الهوائيات تزيد من وضوح الصورة حين تتواصل على مسافات بعيدة. لذلك وُصلت هوائيات كلغورا بهوائيّ آخر أُقيم في بلدة موبرا على بعد ١٢٠ كيلومتراً الى الجنوب. كما تم وصل هذه جميعها الى هوائيّ آخر في بلدة باركس يبلغ ارتفاعه ٦٤ متراً وهو أحد أضخم الهوائيات في العالم. وبذلك تكونت عين الكترونية عملاقة تتسع ٣٢٠ كيلومتراً.

يحتاج الفلكيون، لاستقبال الاشارات الكهربائية البالغة الدقة، الى معدات كبيرة الحجم ودقيقة جداً في آن. فالهوائيات الستة القائمة في كلغورا، مثلا، يزيد كل منها ثلثاً على مساحة ملعب لكرة المضرب، لكن سطوحها مصممة على نحو بالغ الدقة في درجات التقعُّر. وعلى أجهزة المراقبة أن تتمتع بالقدرة على تصويب الهوائي بدقة متناهية تخل بأجزاء في الألف من الدرجة. يقول نيكولاس غوث من شركة "ماكدونالد واغنر" المكلفة بالاستشارات الهندسية: "قد يؤدي أدنى خطأ الى تعذر تحديد مصادر الاشارات اللاسلكية وتفسيرها."

ان إنشاء التلكسوب اللاسلكي في باركس عام ١٩٦٠ وضع أوستراليا في مقدم دول العالم في تقنية الكشف الفضائي. ولكن في منتصف السبعينات كُسفت منشآت باركس باقامة تلسكوبين متطورين في أوروبا ونيومكسيكو، مما أدى الى هجرة الادمغة المختصة بعلم الفلك والفيزياء. اذذاك باشرت "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية" بحثها عن مشروع يعيد الأمور الى نصابها. ووجد بريان روبنسون، الباحث الرئيسيّ في فرع الراديوفيزياء(٣) التابع للمنظمة، ان الحصول على المساعدات الحكومية اللازمة يتطلب مخططاً لا يستهدف فقط ايجاد وظائف جديدة وتنشيط الصادرات، بل يستحوذ على مخيلة الناس. وهو قال في أحد الاجتماعات: "تفكرون في صغائر الامور، بينما المطلوب فكرة عظيمة."

أخيراً ولد مشروع التلسكوب الاوسترالي في العام ١٩٨١. وفي العام ١٩٨٢ أنجزت التصاميم النهائية لجهاز يضاهي أفضل ما ابتكره العلم في هذا المضمار. ونال المشروع موافقة الحكومة الاوسترالية في العام ١٩٨٣. غير ان علماء "منظمة الكومنولث للابحاث العلمية والصناعية" بقوا يواجهون طائفة من التحديات الصعبة. اذ كان عليهم تصميم غالبية المعدات الالكترونية والاجهزة الفائقة التعقيد وانتاجها لكون المشروع خاصاً بأوستراليا. والى ذلك رغبت الحكومة الاوسترالية في انجاز

(٣) Radiophysics

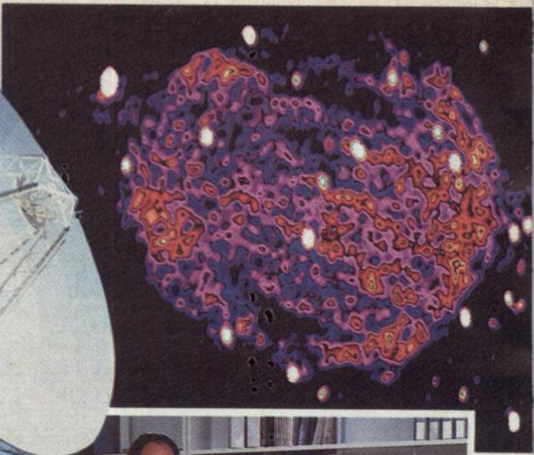

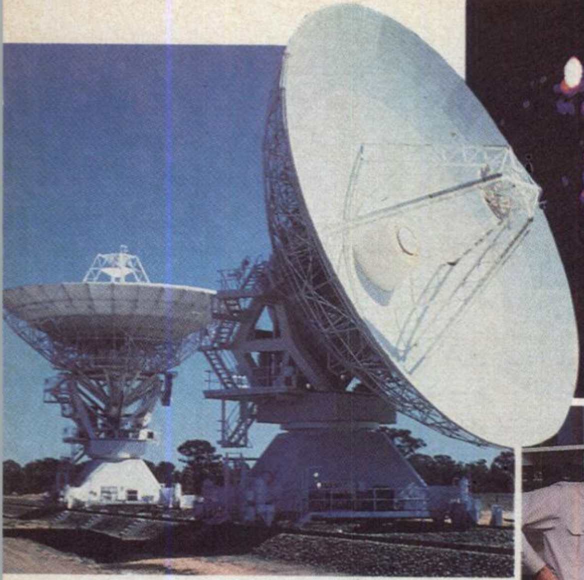

(أعلى اليمين) صورة بالراديو لبقايا نجمة كبيرة منفجرة. (الى اليسار) سطح أحد الهوائيات العملاقة الخمسة في كلفورا. (تحت من اليمين) مدير التلسكوب الاوسترالي الدكتور رون إكرز والفلكي غرايم وايت والعالم بالادمغة الالكترونية الدكتور ورويك ويلسون في مقرهم في ايبنغ.

المشروع عام ١٩٨٨ قُبيل الذكرى المئوية الثانية للاستقلال. لذا كان لزاماً على هؤلاء الارتجال، خصوصاً لأن الموازنة لم تتعدَّ مبلغ ٥٠ مليون دولار.

رقائق خارقة. تحتاج اللوحات المئة والستون اللازمة لكل هوائيّ الى ستة قوالب ممكنة تبلغ كلفتها ٣٦٠ ألف دولار. غير أن فريق التطوير اخترع "قاعدة مسامير" مؤلفة من مئات البراغي الفولاذية القابلة للتعديل والملولبة في قاعدة معدنية بحيث يتم تحديد ارتفاع كل منها بواسطة الدماغ الالكتروني. بعد ذلك وُضعت لوحات الألمنيوم فوق القاعدة وقولبت بالشكل المطلوب. وبذلك لم تتجاوز التكاليف ٢٠ ألف دولار.

نجحت هذه الطريقة تماماً. ولكن، أفاد المهندس باري بارسونز، "علينا الآن تثبيت اللوحات الصلبة في أطرها متوخين مزيداً من الدقة مع مراعاة الكلفة كالسابق." إلا أن الخطى تعثرت لأسابيع، الى أن لمعت في خاطر بارسونز فكرة وهو يستحم ذات صباح: لو تمكن من إحداث

فراغ هوائيّ في الفسحة المقفلة تحت كل لوحة، لأمكن تثبيتها بفعل ضغط الهواء ريثما يجف الغراء. اذذاك سارع الى العمل ونفض الغبار عن مضخة قديمة لتفريغ الهواء، ثم وصلها مع بعض زملائه الى جهاز تجريبي، وأدارها. وكم كان فرحه عظيماً حين نجحت الآلة المبتكرة في العمل.

وصادف المصممون معضلة صعبة أخرى تتعلق بجهاز التنسيق، وهو دماغ الكتروني فعال مختص بدمج الاشارات من جميع منصات الاستقبال ليصار لاحقاً الى تحويلها صوراً ملونة للاجرام الفضائية. وبما ان العالم يفتقر الى رقاقة الكترونية(٤) تنجز منفردة مثل هذه الحسابات المعقدة، عمد مهندسا الكهرباء ورويك ويلسون وديفيد براون من "منظمة الكومنولث للابحاث العلمية والصناعية" الى ابتكار "رقاقة مدمَّجة ذات نطاق كبير، VLSI "(٥) وتركز القسم الأكبر من عملهما على محاكاة عمل الرقائق الالكترونية، وهي عملية معقدة جداً. يقول ويلسون: "المسألة الاساسية هي قدرة الرقاقة على تحقيق السرعة الفائقة البالغة ٦٤٠ مليون عملية في الثانية. لذلك يتوجب تصميمها لتعمل بسرعة تفوق هذا الرقم، كاحتياط للخطأ المحتمل."

استغرق إنجاز المشروع ١٢ شهراً قضى الرجلان ثلثها مكبّين على شاشات الدماغ الالكتروني، الى أن أثمرت مثابرتهما في نهاية المطاف. وتحقق الهدف في ابتكار رقائق في حجم الابهام تتضمن كل منها ٥٠ ألف ترانزيستور وتعمل بسرعة تتجاوز الهدف الاساسي المحدد لها بستة أعشار. أما المنسق، وهو جهاز ينجز مليوني عملية ضرب في الثانية، فيشمل ٤٠٠٠ رقاقة من هذه.

همسات من الفضاء. في هذه الاثناء كانت الحاجة الى تحقيق أقصى درجات الدقة تسبب حالا من الاحباط الحاد لدى عمال البناء في كلغورا. حتى محطات الهوائيات، وعددها خمس وثلاثون، لم تتقدم أكثر من خمسة مليمترات عبر ممرها البالغ ثلاثة كيلومترات. وغالباً ما كان ديك هاغرت، وهو اسكوتلندي صارم، يدفع العمال بقسوة كلّفته شعبيته. وذات مرة تفحص مجموعة من أعمدة الاسمنت بعمق ثمانية أمتار أنجزها العمال لتوهم. ولما لم تعجبه أمرهم وهم يرتعدون: "انبشوا هذه الركائز وابنوها من جديد." لكنه عاد لاحقاً وكسب مودتهم في مقهى البلدة اذ دعاهم الى الشرب على حسابه. وهو يقول: "من الطبيعي أن يتبخر ضغط العمل في ذلك المكان. وكنت واثقاً بأننا سنمتلىء فخراً حين يتكلل عملنا بالنجاح."

تعتبر كلغورا الواقعة في السهول الشمالية الغربية من مقاطعة نيو ساوث ويلز موقعاً مثالياً للتلسكوب اللاسلكي. فهي تقع في واد مسطّح، وهذا شرط اساسيّ تحتمه ضرورة صف الهوائيات في خط مستقيم توخياً للدقة في العمل. كما أنها ضمن وقاء طبيعيّ جيد يحميها من التشويش اللاسلكي الذي قد يعطل أداء

(٤) Microchip

(٥) Very — large — scale integrated chip

التلسكوب. وعلى رغم افتتاح موقع كلغورا رسمياً في العام ١٩٨٨، فلن يبدأ العمل فيه كلياً قبل إنجاز جميع المنشآت الالكترونية في ثلاثة مواقع هي كلغورا وموبرا وباركس، وإتمام ما يسميه الفلكيون "ترتيب الخط القاعدي الطويل"(٦). يقول غرايم وايت العالم والبحاثة لدى "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية": "مثل أي جهاز بصري، تزداد قدرة التلسكوب على رؤية التفاصيل مع كل زيادة في حجمه."

ويعمل التلسكوب الاوسترالي كأي جهاز لاسلكي لاقط، باستثناء قدرته الفائقة على التقاط اشارات بثّت قبل ١٠ مليارات سنة من أقاصي الكون القابلة للمراقبة. وحين تتحول الهمسات الفضائية صوراً على شاشات المراقبة، يستطيع الفلكيون والفيزيائيون تحليل الالوان بالمرسم الطيفيّ(٧) و"رؤية" أشياء كالغاز والكحول والماء في الفضاء، وهي لو نظرنا اليها بواسطة التلسكوب البصري لبدت سوداء فارغة.

يقول دنيس كوبر رئيس قسم الفيزياء اللاسلكية في "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية": "في قدرة هذه الأشياء ان تنبئنا بالكثير عن تكوّن المجرات والنجوم." أما المعلومات المتجمعة على الأشرطة الممغنطة في كلغورا فيجرى فرزها وتحليلها في المقر العام، الكائن في بلدة إيبنغ قرب سيدني، بواسطة دماغ الكتروني خارق محدَّب الشكل بلغت كلفته مليوناً ونصف مليون دولار. وهو في حجم خزانة صغيرة ويتولى "تنظيف المعلومات" أي تصحيحها من الشوائب الناتجة من مرور الاشارات اللاسلكية في جو الارض، ثم يحولها صوراً.

ثقب أسود! يضغط غرايم وايت في إيبنغ أزرار لوحة مفاتيح، ثم يقول: "أنظر." فتتشكل صورة تماثل كرة ثلجية ساطعة الألوان. ويضيف: "هذه غيمة ماجيلان الكبرى، المجرة الأقرب الى درب اللبّانة. لقد قطعت هذه الاشارة ١٧٥ ألف سنة ضوئية(٨) لتصل الينا."

وتحدد الألوان قوة البث اللاسلكي. فالازرق الغامق هو الاضعف، ويزداد مع قوة الاشارة متدرجاً الى الازرق الفاتح، فالأخضر، فالأصفر، فالبرتقالي، وأخيراً الأحمر. ويتابع وايت شرحه قائلا: "هل ترى تلك النقطة الساطعة باللونين الأحمر والاصفر الى شمال الشاشة؟ إنه السديم العنكبوتي" (٩). والسديم، كما يقول، بقعة هائلة من غيوم غاز الهيدروجين الشديد الحرارة ممتزجة ببقايا النجوم المتفجرة على مر ألف سنة ضوئية. ففي العام ١٩٨٧، مثلا، ظهر في هذه المجرة نجم يتفجر بقوة تكاد تعادل انفجار مليارات مليارات القنابل الهيدروجينية.

ويوحي سيل من غاز الهيدروجين المنبثق من هذه المنطقة ان "غيوم ماجيلان" تتجاذب و"درب اللبانة" في "رقصة الموت." ويعتقد العلماء أنه خلال

(٦) Long Baseline Array

(٧) Spectrographically

(٨) السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في الفراغ في سنة وتبلغ حوالى ٩،٦ مليار مليار كيلومتر.

(٩) Tarantula Nebula

بضعة مليارات من السنين ستبتلع احدى المجرتين الكبريين، أو كلتاهما، الغيمة الصغيرة. ويضيف وايت بابتسامة عريضة: "لا يتمكن فلكيو النصف الشمالي من الكرة الارضية من رؤية غيوم ماجيلان. لذلك سيتجه اليها التلسكوب الأوسترالي كهدف رئيسي."

كذلك سيتولى التلسكوب دراسة البث اللاسلكي المنبعث من مركز مجرتنا الكائن على بعد ٣٠ ألف سنة ضوئية والسهل الرؤية من نصف الكرة الجنوبي، لتبيان مكوِّنات نواته. ويعتقد كثير من العلماء بوجود "ثقب أسود" صغير نسبياً هناك، والثقب الاسود نجم منهار ذو كثافة خارقة بحيث أن شيئاً، حتى الضوء، لا يستطيع الهروب من جاذبيته.

على المحك. في بداية التسعينات سيوصل التلسكوب الاوسترالي بهوائيات أخرى في أوستراليا وخارجها، بما في ذلك الاقمار الاصطناعية، بهدف تكوين شبه تلسكوب ينتشر على مساحة عشرات ألوف الكيلومترات. وتعرف هذه التقنية بـ"علم القياس الضوئي القاعدي المديد" (١٠). وسيتسنى لهذه الشبكات أن تتبين تفاصيل في مصادر اللاسلكيات الكونية هي أصغر بمئات ألوف المرات مما يستطيعه كل جهاز بمفرده. وفي العام ١٩٩٢ سيعمل التلسكوب الاوسترالي كجزء من مشروع "راديو أستروم" السوفييتي للقياس الضوئي القاعدي المديد الذي سيشكل شبه تلسكوب تتسع مساحته أكثر من خمسة أضعاف مساحة الارض.

وقد حقق التلسكوب فوائد عملية لاوستراليا. يقول بريان روبنسن: "ان احد العوامل التي أدت الى قبول الحكومة الاوسترالية بفكرة المشروع هو مساهمته في تطوير صناعة الاتصال عبر الاقمار الاصطناعية. ولقد نجحنا في ذلك. وتم بناء عدة هوائيات أرضية في برث وسيدني. وتصدر أوستراليا حالياً هوائيات للمحطات الارضية الى فيتنام. وهي تتفاوض وبلدان المحيط الهادىء للغاية ذاتها."

كذلك حظيت صناعة الالكترونيات بفوائد أخرى، اذ أسس كريغ مادج، وهو عالم في حقل الادمغة الالكترونية عمل سابقاً لدى "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية"، شركة "أوستيك ميكروسيستمز في مدينة أديلايد لتصميم رقائق مدمَّجة للادمغة الالكترونية من نوع «VLSI» . وكان من اول ما أنتجته هذه الشركة رقائق اعتمدت التصميم الذي ابتكره المهندسان ويسلون وبراون. ويقول مادج ان عمل شركته في التلسكوب الاوسترالي ساعدها على تنمية تجارة ناجحة في مضمار الالكترونيات الدقيقة.

غير ان المحك النهائي الذي سيواجهه التلسكوب الأوسترالي هو ما سيكشفه من أسرار الكون المغلقة. يقول بريان روبنسون: "لقد حقق علم الفلك الراديو فيزياء منجزات رائعة في السنوات الخمس والثلاثين المنصرمة، لكن هذا الجهاز المبتكر يعد بما هو أعظم وأكثر تشويقاً."

بروس هايلبوث ■

(١٠) Very Long Baseline Interferometry

أطفالنا يلعبون فأين حدود الأمان؟

كل سنة يشوه ألوف الاطفال ويموت آخرون بسبب ألعاب غير مأمونة ومنتجات صناعية أخرى. والحاجة ملحَّة الى دعم الجهود الرامية الى وضع حد لهذه الكارثة

□ في ليدز ببريطانيا كانت كارولين، وهي طفلة في شهرها العاشر، تلهو قرب والدتها بلعبتها الجديدة، وهي فرس محشوة ذات عرف أبيض لماع من النايلون. وعندما تفقدتها والدتها بعد حين وجدتها ميتة اختناقاً بفعل التقيؤ والشعر من عرف الفرس.

□ في تولوز بفرنسا كانت آن ماري ذات الاعوام الثلاثة تحاول الجلوس في كرسي لعبتها عندما انهار الكرسي القابل للطي والرديء الصنع تحت وطأة وزنها، فحُشرت يدها اليمنى في الطية المعدنية التي تشبه المقص. وعلى الفور بتر خنصرها.

□ في بيزا بايطاليا وقع نظر لوكا، وهو في الخامسة من العمر، على زجاجة زيت

ILLUSTRATION: DAVE HENDERSON

للمصابيح تفوح منها رائحة الليمون، وكانت والدته استعملتها لتعبئة قنديل للزينة. حلّ غطاءها بسهولة وشرب منها. ونقل على الفور الى المستشفى حيث فارق الحياة بعد يومين نتيجة اصابته بذات الرئة السمية.

ان الحوادث التي تحصل في المنزل وأثناء اللعب تعتبر القاتل الاول للاطفال الذين تراوح أعمارهم بين عام وأربعة عشر عاماً في بلدان المجموعة الاوروبية، مسببة وفيات أكثر من تلك الناتجة من المرض وحوادث السيارات. وخلال هذه السنة سيحتاج نحو ٤٠ مليون طفل الى معالجات طبية للاذى الذي يلحقهم داخل بيوتهم وحولها. وسيموت منهم عدد يراوح بين ١٠ آلاف و٤٠ ألفاً، وسيبقى نحو ٣٠ الفاً معاقين دائمين أو ذوي ندب.

أما أسباب هذه "الجزية" الرهيبة فتعود اما الى جهل الاهل واما الى لامبالاتهم. وفي امكان أي طبيب أطفال أن يقص حكايات رهيبة عن أطفال غرقوا في مغاطس الحمامات أو وقعوا من نوافذ مشرعة. الدكتور جان لافو، وهو طبيب أطفال في قسم الطوارىء الناشط بمستشفى جامعة نيكر في باريس بفرنسا، يشاهد حالات احتراق مروعة كل يوم. يتشوه الاطفال طوال حياتهم لانهم يلعبون بعيدان الكبريت أو يسحبون صينية تحتوي على سائل غال من فرن المطبخ. يقول الدكتور لافو متأسفاً: "ان المشكلة تكمن في عدم تقدير الاولاد، والاهل أيضاً، للمخاطر المتأصلة في المنزل."

لكن ٦٠ الى ٧٠ في المئة من الحوادث المنزلية التي يتعرض لها الاطفال مرتبطة مباشرة بالتصاميم السيئة والصناعة الرديئة للمنتجات. ولن ينسى الدكتور خوسيه غارسيا - سيسيليا من مستشفى لاباز في مدريد ذينك الوالدين الشابين اللذين ناشداه بألم انقاذ ابنهما ذي السنتين الذي اختنق عندما أطبق عليه سريره الرخيص القابل للطي. وفي السويد يتذكر الدكتور هربرت إنيل حادثاً حصل لفتاة في الرابعة عشرة أحضرت اليه وهي تجاهد لتتنفس وقد أصيبت بنوبة حساسية كادت تكون قاتلة. كان والدها أعطاها لعبة ذات كساء قطني محشوة بقشور جوز مسحوقة، سببت لها نوبة حساسية عنيفة. وفي بريطانيا وُضع جيك، وعمره ١٨ شهراً في "قفص" للعب محاط بشباك منخلية. فسقط على ساق القفص ذات الشكل "٧" وحشرت رقبته في الزاوية فمات خنقاً.

أدوية وسموم. تقول باربرا سوندرز الخبيرة بسلامة الطفل والتي كتبت تقريراً عام ١٩٨٧ لـ"المكتب الاوروبي لاتحادات المستهلكين" ومقره بروكسل: "الاطفال مستهلكون هم أيضاً، مثل الراشدين، ومثلهم لهم حق الحماية من المنتجات غير المأمونة. وهذا هو عمل لجنة المجموعة الاوروبية وحكومات دولها الاعضاء."

ويشرح فرنسوا لامي، منسق شؤون السلامة في "المكتب الاوروبي" في بروكسل، الخيبات التي تواجهها محاولات الضغط من أجل تعزيز قوانين سلامة

الاطفال والتي يبذلها ثمانية عشر اتحاداً للمستهلكين ينضوون تحت لواء "المكتب الاوروبي." حتى الآن ليست في المجموعة الاوروبية أي منظمة تتولى مهمات الاشراف، مثل "لجنة سلامة السلع المستهلكة في الولايات المتحدة" ذات القدرة على وضع المقاييس والايعاز بسحب المصنوعات غير المأمونة. لقد مضت ١٧ سنة منذ طالبت الولايات المتحدة بأوعية تضمن سلامة الاطفال لاحتواء بعض الادوية والمواد السامة. فخُفضت بذلك حوادث تسمم الاطفال بنسبة ٧٠ في المئة. ولكن ليس من قانون كهذا يشمل بلدان المجموعة الاوروبية "على رغم أننا حاولنا الضغط لوضع قانون من هذا النوع في السنين العشر الماضية،" كما يقول لامي. وهكذا فان قرابة ١٧٥ الف طفل أوروبي دون الخامسة يبتلعون سنوياً مواد سامة أو محتملة السمية.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٨، بعد عشر سنين من الجدل والضغوط التي مارسها "المكتب الاوروبي"، أصدرت اللجنة الاوروبية أخيراً تعليمات تتعلق بسلامة ألعاب الاطفال. يقول لامي: "لكن هذه التوجيهات لم تكن متكاملة، إذ انها لم تأت على ذكر أي شيء عن المواد السامة والادوات الكهربائية." ولم يكن هناك ذكر للمواد الملتهبة أيضاً.

ويضيف ويم روغمنز مدير "معهد سلامة المستهلك" في هولندا: "ان فقرة التوجيهات التي تشترط حصول الصناعيين على شهادات مخبرية هي فقرة جيدة. الا أن كثيراً من الالعاب التي تباع في أوروبا هي من صنع آسيا، والمختبرات التي تتولى فحصها هي أيضاً آسيوية. فكيف للاوروبيين أن يضمنوا نوعية المراقبة المخبرية؟"

الاطفال يعانون. ان سجل السلامة لدى صانعي الالعاب الآسيوية يترك مجالا واسعاً لمخاوف مرعبة. ففي الاسواق حلقات مطاطية يعض عليها الاطفال النامية أسنانهم، وهي معبأة بسوائل تحتوي على جراثيم خطرة. وهناك أقنعة للاولاد مقاومة للنار لكنها تلتهب اذا أدنيت من سيجارة مشتعلة أو عود ثقاب. وهنالك بيض من البلاستيك يتمدد ١٣٠ مرة أكثر من حجمه متى وضع في الماء، فاذا ابتلع طفل بيضة فقد تسد أمعاءه مما قد يتطلب جراحة.

لقد وُضع برنامجان لسلامة الاطفال يدعمهما "المكتب الاوروبي"، لكنهما منيا باخفاق ذريع. كان الاول "المخطط الاوروبي لمراقبة الحوادث المنزلية وحوادث اللعب" وهو برنامج طليعي لخمس سنوات أطلقته "اللجنة الاوروبية" عام ١٩٨٦ ومهمته جمع المعلومات الحالية من ٩٠ مستشفى في بلدان المجموعة الاوروبية والتي قد تكون مفيدة في تحديد أسباب الحوادث المنزلية. يقول لامي: "نحن في حاجة الى معرفة السلع المعنيَّة لنضع أسساً للسلامة. وقدرت تكاليف البرنامج بسبعة ملايين وحدة نقدية أوروبية (ECU) فقط في السنوات الثلاث الاولى، وهي ضئيلة اذا ما قورنت بمبلغ ٦٠ مليون وحدة هي تكاليف المعالجات الطبية لتلك الحوادث."

كان عمر هذا البرنامج سنتين ونصف سنة عندما تحول كارثة. خفض عدد الموظفين، وكان التمويل يتأخر ويجمَّد أحياناً، وأخيراً توقف المشروع كله. يقول بيتر برندرغاست المدير الايرلندي في مكتب "خدمات سياسة المستهلك" في "اللجنة الاوروبية" المسؤول عن هذا البرنامج: "كانت هناك صعوبات ادارية قاسية." ويرد لامي عليه قائلا: "كان اجهاض هذا المشروع اجراء وحشياً. كان لدينا كل ما هو ضروري لاطلاق حملة سلامة على الصعيد الاوروبي."

كذلك كان مصير حملة التوعية والتوجيه التي اطلقتها لجنة المجموعة الاوروبية لشؤون سلامة الطفل المعلنة عام ١٩٨٧ والتي هدفت الى تخفيض حوادث الاطفال بين ١٠ و٤٠ في المئة بحلول العام ١٩٩٥. وقد تركزت الحملة في "البيت العملاق" وهو بيت نموذجي صمم أثاثه بأحجام مضخمة جداً بغية تنبيه الراشدين الى المخاطر التي تواجه الاطفال. وقبل بدء "البيت العملاق" رحلته الى البلدان الاثنتي عشرة التي تضمها المجموعة الاوروبية في أواسط ١٩٨٨، انهار وتحول كسارة. أما السبب، كما يقول برندرغاست، فهو أن المصمم الفرنسي رفض توقيع التنازل عن حقوقه لمصلحة اللجنة (وهي تهمة أنكرها المصمم باستهجان). فأعيد القسم الاكبر من المليوني وحدة نقدية أوروبية المرصدة للمشروع الى الصندوق العام للمجموعة الاوروبية.

يقول لامي: "لقد أجهض برنامجان يتعلقان بسلامة الطفل. كيف يحصل هذا الامر؟ السياسيون ماضون في ألعابهم السخيفة والاطفال يعانون."

أصابع مبتورة. ان تراخي المجموعة الاوروبية فرض مسؤولية سلامة الطفل على الدول الاعضاء. فجاءت النتيجة خليطاً من القوانين الجيدة والسيئة، أو لا قوانين البتة. ليس في ايطاليا واليونان والبرتغال تشريع وطني محدد يتعلق بسلامة الطفل. وفي ألمانيا الغربية يكاد يتعذر ارغام صانعي المنتجات الاستهلاكية على أن يسحبوا من السوق أي سلعة يتبين عدم سلامتها. ومسؤولية سلامة الطفل في اسبانيا وزعت بين الحكومة المركزية والاقاليم السبعة عشر ذات الاستقلال الذاتي والتي يستطيع كل منها أن يطبق نظرية تختلف عن الأخرى في معالجة المشاكل.

ولدى كل من بريطانيا وهولندا أنظمة مراقبة للحوادث المنزلية مصممة لتحديد المنتجات الخطرة. وفي بريطانيا حدثت سلسلة متلاحقة من سقطات الاطفال ألقي اللوم بنتيجتها على الأسرة الهزازة الضخمة التي تنزلق عن مناضد المطابخ أو طاولات العمل. كما أحصيت مجموعة من حوادث الاختناق القاتلة ردت أسبابها الى رؤوس الاقلام اللبادية التي تلتصق بالرغامى (القصبة الهوائية) اذا ما ابتلعها طفل. وفي الحالتين أصدرت تنبيهات عامة وأقنع المنتجون بوجوب اعادة تصميم منتجاتهم. وفي هولندا حمل ارتفاع حوادث التسمم السلطات على فرض سدادات واقية لمواد التنظيف المنزلية.

عام ١٩٨٣ سنت فرنسا قانوناً جديداً قاسياً يتعلق بالسلع الاستهلاكية حمّل المنتجين، شرعاً، مسؤولية السلع الخطرة والناقصة وخوَّل السلطة سحب المنتجات من السوق أو منع الانتاج. ولكن عندما نُبهت السلطات الفرنسية في مارس (آذار) ١٩٨٦ الى اصابات حدثت بسبب كرسي لعبة تدفع باليد وقد أنزلت الى مخازن الالعاب منذ ثلاثة أشهر، لم تعمل هذه السلطات على سحبها من السوق. الا أن جمعية نسائية فرنسية شنت حملة تحقيقات وتوصلت الى جمع ١٠٨ حوادث خطيرة: بتر ٧٦ اصبعاً وكسر ٣٢ أخرى.

في تلك الاثناء وتحت الضغوط الممارسة وافق المنتج الفرنسي على اضافة ماسكة معدنية واقية قليلة الكلفة، ولكن بعد بيع أكثر من ٤٠ ألف كرسي خارج فرنسا. وخلال العام ١٩٨٧ بترت أصابع مئة طفل بسبب هذا الكرسي في ألمانيا الغربية وحدها.

أبواب الافران. ان قليلا من الحماية من هذه السلع الخطرة يقدمه "الانتربول" التابع لـ"المكتب الاوروبي لاتحادات المستهلكين"، وهو منظمة متطوعة حرة تنتشر في أنحاء أوروبا وتضم مدنيين مهتمين ينبهون المكتب الرئيسي في بروكسيل الى حوادث الاطفال التي تقع في مناطقهم والمتعلقة بالسلع الاستهلاكية. فيصدر المكتب تحذيرات لاعضائه وللجنة المجموعة الاوروبية وللصحافة. واحد تحذيرات "الانتربول" طاول مماحي يابانية لها شكل قطعة حلوى ورائحتها.

يقول لامي ان هذه المماحي "نموذج لمشكلتنا. انها خطرة لان الاطفال يخلطون بينها وبين الحلوى فيبتلعونها ويختنقون. لكن هذه السلع منعت في بعض دول المجموعة الاوروبية وليس في كلها، وهذا عمل سخيف، فاذا ثبت خطر السلعة على الاطفال في أي من دول المجموعة، فهي بالتالي خطرة في جميع الدول الاعضاء، ويجب منعها هناك ايضاً."

وفي انحاء دول المجموعة الاوروبية يصنف نحو ٤٥ سلعة استهلاكية سنوياً على أنها غير مأمونة، ولكن ليس من منظمة في المجموعة لها سلطة سحب هذه السلع في الاسواق.

يقول سوندرز: "أوروبا هي في حاجة ماسة الى معايير الزامية تتعلق بسلامة السلع الاستهلاكية التي تسبب حوادث الاطفال المؤذية والمميتة. وكخطوة أولى، يجب أن يكون الاثاث المنزلي وجميع ألبسة الاطفال مقاومة النار (حالياً ليس من تدبير كهذا في دول المجموعة الاوروبية). كما يجب فرض تعليب واق للاطفال للادوية والمستحضرات الكيميائية المنزلية."

ثم هناك أبواب الافران ومواقد المطبخ. يقول لامي: "طوال عشرين سنة كنا نحاول الحصول على درجة حرارة قياسية موحَّدة لابواب الافران تعمَّم في دول المجموعة. ولدينا معطيات تثبت أن حرارة ٦٠ درجة مئوية لباب الفرن لا تسبب للطفل حروقاً خطرة. لكن كثيراً من المنتجين لا يصنعون الفرن على أساس هذا المقياس، وخصوصاً في أوروبا

الجنوبية. وكل عام يصاب أكثر من ١٠ آلاف طفل بحروق خطيرة من الدرجة الثالثة نتيجة لمسهم أبواب الافران."

ان الافتقار الى وكالة مراقبة مركزية يعود بفائدة مباشرة الى المنتجين العديمي الضمير. يقول لامي: "انهم يتمنون ان تترك مقاييس السلامة لكل بلد بمفرده فاذا وضع بلد حظراً على سلعة باعتبارها تفتقر الى شروط السلامة، أخذوها ببساطة الى بلد آخر وسوّقوها هناك."

بحلول العام ١٩٩٣ ستزول الحواجز التجارية الداخلية الباقية بين دول المجموعة الاوروبية. ويحذّر ويم روغمنز: "ستتنقل السلع الاستهلاكية التي تفتقر الى شروط السلامة من بلد الى آخر بسرعة، لا نملك سلطة مركزية للتحكم بانتقالها وللتأكد من أن المعلومات المتعلقة بها تنتقل بسرعة أيضاً من بلد الى آخر."

ان الامر الذي نحتاج اليه، يقول روغمنز، هو لجنة لمراقبة سلامة الانتاج الاوروبي، تتمتع بسلطة تشريع مقاييس للسلامة وتطبيقها داخل المجموعة الاوروبية كلها، ومنع بيع البضائع التي تفتقر الى شروط السلامة، وسحب أي من السلع الخطرة المعروضة في السوق. عندئذ فقط سيكون الاطفال في ظل حماية كافية.

تشارلز بارميتر ■

حديقة منزلية

أردت يوماً أن آخذ أولادي الى حديقة الحيوان، فأدرت قرص الهاتف لاستعلم متى تفتح. وبعدما رن الجرس طويلا على الطرف الآخر أجاب صوت نسائي وسط ضوضاء أطفال: "هالو!"

سألت: "هل هنا حديقة الحيوان؟"

وبعد لحظات صمت تلتها ضحكة خافتة قالت المتكلمة: "نعم، لكنها ليست الحديقة التي تبحثين عنها!"

م.ب.

ماذا تسألين مليونيراً؟

خلال أحد المقررات الجامعية حاضر فينا رجل مليونير هو مؤسس شركة صيدلة رائدة. وبعدما احتللنا مقاعدنا انبرى أستاذ المقرَّر يسوق ملاحظات تمهيدية ويضيف: "آمل ان تكون عندكم بعض الاسئلة لضيفنا. ولكن ماذا عساكم تسألون مليونيراً؟"

خيَّم صمت ثقيل على القاعة ثم علا صوت أنثوي من المقاعد الخلفية: "هل هو متزوج؟"

أ.ب.

تجارب على لقاح ضد الايدز

هناك تقدم يثلج الصدر في الكفاح المستمر ضد هذا الوباء القاتل

في المقر الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف عُلّقت خرائط ترسم مسار انتشار مرض الايدز(١) في العالم، وهي تزداد سواداً على نحو مخيف. ففي أوائل ١٩٨٦ كانت معظم المناطق بيضاء تدل على خلوّها من الوباء. واليوم يعم انتشاره بلا هوادة كل منطقة في العالم.

يقول الدكتور جوناثان مان الامريكي الذي يدير "برنامج الايدز" في منظمة الصحة العالمية: "أينما تطلعت تجد ما ينذر بالخطر في ما يتعلق بهذا الوباء." ومع ذلك فهناك أسباب تحمل على التفاؤل. فقد ثبت أن المخاوف السابقة من أن الفيروس قادر على تغيير تركيبته الوراثية فيصبح نقله أكثر سهولة لا أساس لها من الصحة. فالتماس الجنسي والمشاركة في الابر كما يحصل بين مدمني المخدرات والنقل من الأم الى الجنين والعدوى من طريق الدم ومنتجات الدم ما زالت الوسائل الوحيدة لانتشار لانتشار الفيروس.

ولكن هناك الكثير مما لا يزال يقلق خبراء الايدز:

■ بحسب منظمة الصحة العالمية، قد يكون نحو ستة ملايين شخص في العالم أصيبوا بفيروس فقدان المناعة البشرية «HIV» (٢) الذي يسبب الايدز. والتقديرات المتحفظة هي أن بين ١٥ و٢٠ مليون شخص سيكونون مصابين في السنة ٢٠٠٠. وليس من الضروري أن يحمل المرء اعراض الايدز كي يكون معدياً، إنما يكفي أن يكون مصاباً بفيروس «HIV» .

■ هناك دليل قوي على أن كل شخص مصاب بفيروس «HIV» سيصاب عاجلا ام

(١) هو داء فقدان المناعة المكتسبة Acquired immune deficiency syndrome «AIDS»

(٢) Human immunodeficiency virus

آجلا بالإيدز. والى الآن ليس ثمة دواء شاف للمرض.

■ تقدّر منظمة الصحة العالمية عدد الناس الذين نكبوا بالإيدز في انحاء العالم بنحو ٦٠٠ ألف. وخلال التسعينات قد يلتقطه ما بين ٥ و٦ ملايين شخص.

■ ما زال الوباء يشتد سوءاً في افريقيا. وفي مدن افريقية رئيسية كثيرة هناك بين ١٠ الى ١٥ في المئة من البالغين مصابون به وهو يصيب الرجال كما يصيب النساء.

■ في تايلاند حالياً وباء جامح. ففي أواخر العام ١٩٨٧ كان واحد في المئة من مدمني المخدرات التي تحقن وريدياً في بانكوك يحمل فيروس «HIV». وحالياً ارتفع الرقم الى أكثر من ٤٠ في المئة. ان التلوث بهذا الفيروس امتد الى معظم أقاليم تايلاند، وفي السنوات الاخيرة ارتفع أكثر من ضعفين لدى متعاطيات البغاء.

■ في الهند اكتُشف فيروس «HIV» بين النساء في بومباي وكلكوتا وجنوب شرق البلاد. ويبدو أنه آخذ في الانتشار.

■ هناك دليل على ازدياد التلوّث بين النساء والرجال غير الشاذين في أمريكا الشمالية وامريكا الجنوبية حيث كان في السابق يصيب غالباً الرجال الشاذين ومتعاطي المخدرات من طريق الحقن.

■ في هندوراس وغيانا الفرنسية وجمهورية الدومينيك وجزر البهاما وترينيداد ما زال الوباء يصيب الرجال غالباً، لكنه ينتقل بسرعة الى أعداد أكبر من النساء. وفي هاييتي، البلد الذي عرف أعنف الاصابات في النصف الغربي من الكرة الارضية، نجد ١٠ في المئة من النساء الحوامل مصابات بالداء، وهي النسبة ذاتها في بعض أنحاء افريقيا.

■ في الولايات المتحدة أفيدت "مراكز ضبط المرض" بنحو ١٠٦ آلاف اصابة بالأيدز مات فيها ٦١ ألفاً. ويتوقع تقرير حديث لمكتب الاحصاءات أنه في نهاية السنة ١٩٩١ سيكون هناك ٤٨٠ الف امريكي التقطوا المرض. وتقدر مصلحة الصحة العامة ان ما بين مليون و١،٥ مليون أمريكي مصابون حالياً بالفيروس. وبحسب منظمة الصحة العالمية يقدر أن هناك ١٠٠ ألف في آسيا وأوقيانيا و٥٠٠ ألف في أوروبا ومليوناً في أمريكا اللاتينية و٢،٥ مليون في افريقيا.

■ يواجه الاولاد الذين هم الضحايا البريئة لهذا الداء مآسي مخيفة. ففي البرازيل اكتشفت اصابات بالإيدز وبفيروس «HIV» بين أولاد الشوارع في ريو دو جانيرو وسان باولو. وبما أن بنوك الدم ظلت حتى العام ١٩٨٨ من دون ادارة منتظمة، فقد تسببت عمليات نقل الدم في عشرة في المئة من الاصابات المعلنة بالمرض. والاولاد المصابون يتوفون بالنسبة ذاتها كما الراشدون.

المرض المستتر. أحد مظاهر الإيدز المرعبة انتقاله من أفراد الجماعات ذات التعرض الشديد للخطر (٣) الى شركائهم في الممارسة الجنسية.

(٣) أي الرجال الشاذين ومتعاطي المخدرات المحقونة عبر الاوردة.

في السويد (اسوج) نقل بحّار العدوى من احدى البغايا في هاييتي الى خمس نساء سويديات، منهن اثنتان نقلتا العدوى الى رجلين واثنتان نقلتاها الى طفليهما الوليدين.

وفي مدينة إليستا السوفييتية نقل رجل فيروس الإيدز الى زوجته التي وضعت طفلا مصاباً. ومرض الطفل فأدخل المستشفى حيث نُقل الفيروس الى اكثر من ٥٠ ولداً آخر من طريق اعادة استخدام الإبر والمحاقن.

يقول الدكتور جايمس تشن المسؤول عن مراقبة انتشار فيروس «HIV» عالمياً في منظمة الصحة العالمية: "ان معظم الناس الملوّثين بفيروس «HIV» في العالم هم من غير الشاذين جنسياً. وفي كل مكان يزداد عدد الاشخاص الطبيعيين المصابين بالإيدز." وتضيف ماتيلد كريم، احدى مؤسسي "الوكالة الامريكية لأبحاث الإيدز" الممولة بتوظيفات خاصة: "تنشر وسائل الاعلام أخباراً مفادها أن الممارسة الجنسية الطبيعية العابرة تنطوي على خطر قليل جداً. ان هذه الفكرة خطرة."

منذ ٣١ أغسطس (آب) ١٩٨٩ أفادت مراكز ضبط المرض أن في الولايات المتحدة ٣٣٣٠ اصابة بالإيدز انتقلت بالممارسات الجنسية الطبيعية، باستثناء تلك التي مني بها الاشخاص المولودون في هاييتي أو افريقيا الوسطى حيث يعتقد أن الممارسات الجنسية الطبيعية هي السبيل الرئيسي لنقل المرض. ان هذه الاصابات تعادل ٣ في المئة من كل الاصابات المعلنة حتى ذلك التاريخ في الولايات المتحدة، وقد تضاعف عددها في الاشهر الخمسة عشر الماضية.

احدى المشاكل التي تعسّر الحصول على أرقام صحيحة هي فترة استتار المرض التي قد تطول بين ٨ سنوات و١٠ سنين بعد العدوى الاولية، قبل أن تنشأ اعراض المرض. والى ذلك فان فترة الاستتار تبدو غالباً الاطول حين ينتقل الإيدز جنسياً، خصوصاً من طريق الممارسات الطبيعية، لان هذا السبيل لا ينقل عدداً كبيراً من الفيروسات. والأشخاص الملوّثون بكميات كبيرة من الفيروس، كما يحدث في بعض عمليات نقل الدم، يصابون بالإيدز في وقت أسرع.

تقول ستيفاني ساندرز المديرة المساعدة لمعهد كينسي للابحاث الجنسية والتناسلية في جامعة إنديانا: "من المهم للطبيعيين جنسياً ألا يشعروا أنهم في أمان من الجماعات المعرضة لنسبة عالية من الخطر. وتدل أبحاثنا على مستوى مدهش من التفاعل بين الطبيعيين والشاذين جنسياً."

وفي مراجعة حديثة للكتابات العلمية تشير ساندرز، ومعها باحثو المعهد، الى دراسات بينت أن ٧٠ في المئة من الرجال البيض الشاذين أقاموا علاقات مع رجال متزوجين، وان بين ٦٢ و٧٩ في المئة أقاموا علاقات مع نساء. وقياساً على معلومات أخرى يقدر الباحثون أن ٣٧ في المئة من الازواج و٤٩ في المئة من الزوجات أقاموا علاقات خارج الرباط الزوجي مرة واحدة على الأقل.

تقدم بطيء. جيم عامل بريدي في العشرينات من عمره. وها هو جالس بعصبية على طاولة فحص فيما تقيس احدى الممرضات مؤشراته الحيوية. ثم تسحب دماً من ذراعه. وهذه عملية يخضع لها جيم كل أسبوعين في وحدة التجارب السريرية في المركز الطبي التابع لجامعة كورنيل ومستشفى نيويورك.

ان جيم جزء من "البروتوكول ١٩." وهي دراسة واسعة النطاق للعقار "زيدوفودين"(٤) يرعاها المعهد الوطني للحساسية والامراض المعدية. قال جيم انه طبيعي جنسياً وانه لم يتعاط المخدرات قط، لكنه يقيم علاقات مع عدة نساء. وهو صُعق حين كشفت الفحوص التي أجراها لدى تبرعه بالدم أنه ملوّث بفيروس «HIV» .

وخلافاً للمرضى السابقين الذين تناولوا العقار "زيدوفودين"، فان جيم والمشاركين الآخرين في الدراسة ليسوا مرضى بعد. وفي بداية تجربة العقار لم يعرفوا، لا هم ولا الباحثون، من يُعطى "زيدوفودين" ومن يُعطى دواء مموهاً.

في شهر أغسطس (آب) ١٩٨٩ طرأ تعديل على الدراسة بفضل اكتشاف مذهل مفاده أن العقار يمكنه تأخير الاصابة بالإيدز لدى الاشخاص الخالين من أعراضه ولديهم عدد متدن من خلايا «T4». فالمشاركون الذين يكون احصاء خلايا «T4» لديهم أدنى من ٥٠٠، وهو الحد الذي يكون فيه جهاز المناعة أشد تعرضاً للخطر، باتت تؤمن لهم معالجة بالعقار "زيدوفودين."

والى ذلك هناك خبر سار من "البروتوكول ١٩." مفاده أن السُّمية لدى المرضى الخالين من الاعراض كانت في حدّها الأدنى. والجرعات المخفوضة من "زيدوفودين" تبدو مفيدة مثل الجرعات الأقوى، مما يخفف مفاعيله الجانبية الخطيرة كالغثيان وهبوط عدد خلايا الدم الحمراء والبيضاء.

بدأت أول دراسة أوروبية مماثلة للعقار "زيدوفودين" على نطاق واسع في أواخر ١٩٨٨، وينتظر أن تستمر الى نهاية ١٩٩١. والدراسة بعنوان "كونكورد ١" وترعاها المجالس الوطنية للابحاث الطبية في بريطانيا وفرنسا وتشمل ألف مريض فرنسي وألف مريض بريطاني ملوّثين بفيروس «HIV».

والمرتقب أن العقار "زيدوفودين" يستطيع تأخير بروز أعراض الأيدز وليس منعها. ويجرى الآن تقويم عقاقير أخرى مضادة للـ"رتروفيروس"(٥) - منها «DDI» و«D4T» و «DDC»- لتحديد ما اذا كانت فاعلة مثل "زيدوفودين" ولكن أقل سمّية. ويقول البروفسور جان - بول ليفي مدير "الوكالة الوطنية لابحاث الإيدز" في فرنسا: "يجمع الرأي اليوم على أن هذا المرض لا يكافح بدواء أعجوبة أو بمعالجة واحدة، بل بحشد من المعالجات المختلفة. والتقدم سيكون بطيئاً."

آمال كبيرة. ان التحدي هو في منتهى الصعوبة، لان فيروس «HIV» بالغ التعقيد.

---

(٤) Zidovudine «AZT»

(٥) Anti — retroviral drugs

انه يخترق خلايا مختلفة، بما فيها خلايا «T4» الاساسية في جهاز مناعة الجسم. وحين يخترق الفيروس خلية «T4» يستخدم "ماكينتها" الخلية الوراثية ليتناسخ. ثم يتفجّر من الخلية باحثاً عن أهداف أخرى وقاضياً على خلية «T4». وكلما ازداد اتلاف خلايا «T4» انخفضت المناعة ضد المرض. ومنذ بروز أعراض الايدز يتوفى المصاب بعد فترة معدلها سنتان.

بيد أن وباء الإيدز انتشر في وقت توافرت للعلم أدوات لكشف غوامضه. فقبل خمس سنوات رأى الباحثون أملا ضئيلا في إبطائه تمدده. لكن خطوات متقدمة وكبيرة أحرزت في هذا المجال.

كان أولا اكتشاف العقار "زيدوفودين"، ثم "بنتاميدين" وهو عقار ضبابي يساعد في منع التهابات الرئتين التي تصيب ضحايا الإيدز. أما اليوم فالحكومات في الولايات المتحدة وأوروبا ومعظم البلدان الأخرى، ومنظمة الصحة العالمية ومنظمات دولية أخرى، تساهم بما يزيد على مليار دولار في ابحاث الإيدز في السنة ١٩٩٠، تضاف اليها مساهمة كبيرة من القطاع الخاص. وهكذا يصار الى تحقيق اكتشافات أخرى تحمل وعوداً وآمالا.

«CD4» اصطناعي (٦). لاختراق خلية بشرية يحتاج فيروس «HIV» الى "باب" في غشاء الخلية الواقي. وخلايا «T4» لديها هذا الباب الذي يعرف باسم «CD4». وعلى سطح الفيروس بروتيين «gp 120» الذي "يفتح" الباب «CD4» ليدخل الفيروس. ففي حال منع الفيروس بطريقة ما من ولوج تلك الخلايا، فسيبقى عائما في مجرى الدم عاجزاً عن الاذى.

في محاولة لسد الباب على الفيروس عمد باحثون في التكنولوجيا الحيوية في الولايات المتحدة وأوروبا الى ابتكار أشكال اصطناعية من «CD4». وبتعويم الجسم بهذه الاشراك الخادعة يغرى الفيروس اليها فيلتصق بأعداد أقل من الخلايا الصحيحة.

يقول ديفيد كلاتزمان المدير العلمي لمختبر أبحاث «CD4» في مستشفى لابيتييه - سالبترييه في باريس: "ان «CD4» يعطي نتائج جيدة في المستشفى. لكن حياته في الجسم قصيرة بحيث يتعين تزويد الجسم اياه باستمرار. والسؤال الذي لا يلقى جواباً هو: هل سيكون في قدرة العلماء تطوير جزيئات مولّدة (٧) تكون أطول عمراً وأكثر فاعلية؟ وعلى رغم المشاكل المحتملة يعتقد كلاتزمان وآخرون عاملون في هذا الحقل أن «CD4» يبشر بنجاح كبير.

المركّب «Q» (٨). هذا العقار خلاصة مستخرجة من جذور خيار صيني. وهو يبشر أيضاً بالنجاح. يدعى المركّب «Q» رسمياً "ترايكوسانثن" وقد استخدم حديثاً لمعالجة بعض الاورام السريعة الانتشار. وهناك نوع منه في الولايات المتحدة

(٦) Synthetic CD4

(٧) Hybrid molecules

(٨) Compound Q

يدعى «GLQ223» تجرى عليه تجارب أولية بموافقة مديرية الغذاء والدواء.

في دراسات مخبرية في مستشفى سان فرنسيسكو العمومي اكتشف الدكتور مايكل ماكغراث من جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو أن «GLQ223» يتلف البلاعم(٩) الملوثة بفيروس «HIV» وهي خلايا في جهاز المناعة قد تشكل مخبأ لفيروس الإيدز. ومن اللافت أن البلاعم الخالية من التلوّث لا تبدو عرضة للتلف. ويرى بعض الخبراء رجاء في المركّب «Q» لكنهم يمسكون عن اصدار حكم نهائي على فاعليته حتى استكمال دراسات اضافية.

صادّات البروتييز (١٠). في المختبرات الصيدلانية في الولايات المتحدة وشركات الادوية الاوروبية يجرى التركيز على الـ"بروتييز" وهو خميرة (أنزيم) يحتاج اليه فيروس الإيدز للتناسخ. فاذا اكتشف عقار يسد الطريق على البروتييز أو يجمّد فاعليته، أمكن احباط نشاط الفيروس. والمسؤولون في شركات الادوية متفائلون بامكان تطوير عقار صادّ للبروتييز خلال خمس سنوات.

اللقاح. ان الطريقة الفضلى، نظرياً، لابادة مرض الإيدز هي تفادي العدوى كلياً. وتعمل اللقاحات عموماً عبر تطعيم المرء بجراثيم واهنة أو ميتة. فيستجيب جهاز المناعة بانتاج أجسام مضادة(١١) تهاجم الجسيمات الغازية. فاذا حدثت الاصابة بتلك الجسيمات لاحقاً انبرت لها الاجسام المضادة وفتكت بها، وبذلك تمنع الاصابة بالمرض.

والعقبة الرئيسية هنا هي أن العلماء يجهلون حتى الآن ما اذا كان الجسم يمكن أن يصبح منيعاً ضد عدوى فيروس «HIV». والى ذلك فان الغشاء الخارجي لفيروس الإيدز، الذي يكتشفه جهاز المناعة أولا، يتغير وراثياً باستمرار في جسم المصاب عينه. لذلك يركز كثيرون من الباحثين على نواح من الفيروس يبدو انها تقاوم التغيار الوراثي(١٢) وتختلف قليلا من نسل الى نسل.

وثمة توجّه جديد آخر هو التطعيم بلقاح بعد العدوى، على غرار الطريقة المتبعة في معالجة داء الكَلَب. والحسن في هذا النوع من المعالجة المناعية أنه قد يمنع تطور المرض لدى المصابين حالياً.

وهناك طريقة واعدة اقترحها الدكتور جوناس سالك الذي ابتكر أول لقاح لشلل الاطفال. استخدم الدكتور سالك فيروساً كاملا "مقتولا" لتحضير لقاح للإيدز. ثم عمد زميله الدكتور كلارنس غيبس الاختصاصي بالفيروسات في "معهد الابحاث العصبية" الى اختبار اللقاح على قرود الشمبانزي، وهي الحيوانات الوحيدة التي يعرف انها تصاب في المختبر بفيروس «HIV» . أعطي اللقاح الى اثنين من القرود المصابة، فنتج منه ارتفاع حاد

---

(٩) Macrophages
(١٠) Protease blockers
(١١) Antibodies
(١٢) Mutation

في عدد الاجسام المضادة. وما هي الا أشهر حتى كان الفيروس اختفى من دمهما حتى تعذر اكتشافه. وأعطي اللقاح أيضاً الى شمبانزي غير مصاب فتولدت لديه استجابة قوية للاجسام المضادة.

ومنذ ذلك الوقت أعطى زملاء سالك في جامعة كاليفورنيا الجنوبية اللقاح الى ١٩ شخصاً مصاباً بفيروس «HIV» ، وقد كان جهاز المناعة مستنفداً لدى جميعهم على نحو خطير. ومع أن الفيروس لم يستأصل من أي منهم، فان واحداً منهم فقط ظهرت عليه أعراض الإيدز بعد سنة، وثمانية قويت أجهزة مناعتهم على نحو ملحوظ. ويحذر سالك من الآمال الخاطئة، لكنه يرى أن هذه التطورات وسواها في أبحاث الإيدز تعني أن تشخيص الاصابة بفيروس «HIV» لا يعني بالضرورة حكماً بالموت."

وهناك توجه آخر للمعالجة باللقاح، رائده البروفسور دانيال زاغوري من جامعة بيار وماري كوري في باريس. يأخذ زاغوري خلايا لمفوية(١٣) فيعالجها في المختبر لتوليد استجابة مناعية ضد فيروس «HIV» . ثم يعود فيحقن بها الشخص الذي أُخذها منه. وهذه الطريقة اللقاحية اختُبرت على مجموعتين: مجموعة خالية من «HIV» وأخرى مصابة بالإيدز أو بالتعقيدات المتعلقة بالإيدز. وقد تبين الى الآن أن هذا اللقاح الاختباري ولّد رد فعل مناعياً ضد سلالات مختلفة من فيروس الإيدز. ويعمل زاغوري وزملاؤه حالياً على اجراء تعديلات على اللقاح لجعله "أسهل استعمالا."

واختبر زاغوري أيضاً طريقة لقاحية تقليدية. أولج جزءاً من فيروس «HIV» (جينة القلب والغلاف البروتييني) في فيروس جدري البقر. فهذا الفيروس الهجين يدخل الجينة الى الخلية حيث تصنع بروتيينات «HIV» التي تحفز انتاج أجسام مضادة للفيروس. ثمّ اختبر هذه الطريقة على نفسه وعلى ١١ متطوعاً أصحاء في فرنسا وزائير عام ١٩٨٦، وكانت تلك أول تجربة بشرية للقاح الإيدز. وامتدت التجارب العيادية فشملت ٥٠ آخرين من المتطوعين الاصحاء. وأظهرت التجربة الى الآن أن اللقاح آمن - أي انه لا يسبب تأثيراً سمّياً ولا نقصاً في المناعة على غرار ما يفعل الإيدز - وانه يولد في المختبر استجابة مناعية ضد فيروس «HIV» . ولكن لاثبات فاعلية اللقاح في الوقاية ضد العدوى بفيروس «HIV» المكتسبة طبيعياً، يقتضي اجراء تجارب سريرية على عدد كبير من الافراد المعرضين أكثر من غيرهم للاصابة.

والباحثون في معهد باستور في باريس، الذي كان أول من أفاد عن وجود "رتروفيروس" (١٤) يحتمل ارتباطه بالإيدز، ركبوا لقاحاً اختبارياً بادخال قطعة من غشاء بروتيين «HIV» في بروتيين فيروس التهاب الكبد(١٥) على أمل انتاج أجسام مضادة للفيروسين معاً. وهناك مجموعة أخرى من باحثي معهد

---

(١٣) Lymphocytes . وهي خلايا دم بيضاء تؤلف جزءاً من جهاز المناعة.

(١٤) Retrovirus

(١٥) Hepatitis B

باستور، برئاسة موريس هوفنونغ، أولجت قطعاً مختلفة من غشاء «HIV» البروتييني في بروتيين غشاء جرثومي، على أمل أن تنتج هذه التركيبة أجساماً مضادة لفيروس «HIV». وستكون الخطوة التالية اجراء تجارب على قردة المكّاك الآسيوية.

وهناك حالياً نحو ١٠٠ دواء قد تفيد مرضى الإيدز.

حزام الإيدز. لنفكر في مغزى تجربة الـ"زيدوفودين" التي شارك فيها جيم. قد يفيد من العقار الامريكيون والاوروبيون الملوّثون بفيروس «HIV» والخالون من أعراض الإيدز ولكن لديهم عدد ضئيل من خلايا «T4». واستناداً الى هذا الدليل يدعو خبراء الصحة ومسؤولون في وزارة الصحة الاشخاص الأكثر تعرضاً للخطر الى التطوع للفحص والاختبار. ولو شملت المعالجة بالـ"زيدوفودين" كل المصابين في هذه المجموعة في أوروبا، فستكلف أنظمة الخدمات الاجتماعية ما لا يقل عن مليار دولار سنوياً. ويضيف جايمس تشن من منظمة الصحة العالمية أن "ذلك لا يشمل حتى تكاليف برنامج طويل الامد للفحوص والاستشارات يقتضي ترتيبه لمعرفة الاشخاص الملوثين بفيروس «HIV».

إن أفضل السبل الحالية لخفض انتشار الإيدز هي التوعية والوقاية على نطاق عالمي. وهذه الجهود لا تساعد فقط في مكافحة الوباء، بل أيضاً في مكافحة "الوباء الثاني" أي الخوف والارتياب وعدم الثقة التي يولّدها الإيدز غالباً. واليوم، لكل بلد واقع في "حزام الإيدز" الافريقي برنامج لاطلاع الناس على عملية انتشار الفيروس، وفي هذا البرنامج مثلا حملة تدعى "الحب بحذر" تنفذ في اوغندا وتحض على الزواج بامرأة واحدة.

قبل سنتين وقف الدكتور جوناثان مان من منظمة الصحة العالمية بالقرب من "جدار الصين الكبير" يتكلم مع مسؤولين صحيين صينيين. وكانت السلطات أعلنت في حينه اكتشاف أربع اصابات بالإيدز. واعتزم بعض المسؤولين في وزارة الصحة اجراء فحوص لكل الزائرين لتأمين خلوهم من فيروس «HIV» قبل السماح لهم بدخول الصين.

أصغى مان الى ما قالوه ثم أشار الى الجدار الكبير وسألهم: "هل صدّ الجدار الغزاة؟" فقالوا لا. فقال: "اذاً. لا أعتقد أن الفحص الالزامي سيبعد المرض." فاستثنى المسؤولون الصينيون زائري البلاد لمدة قصيرة من الفحص الالزامي.

يقول مان: "ان وباء الإيدز انطلق بجموح. ولكن اذا تابعنا التقدم كما فعلنا في السنوات القليلة الماضية فستتاح لنا فرصة للسيطرة على هذه الآفة المرعبة."

جون بيكانن ■

فقدان الشجاعة هو العلة الانسانية الموهنة الأكثر شيوعاً عبر التاريخ.

ك.ن.

سيماؤهم في وجوههم

ان داخلكم طاقة سحرية اليكم طريقة استخدامها

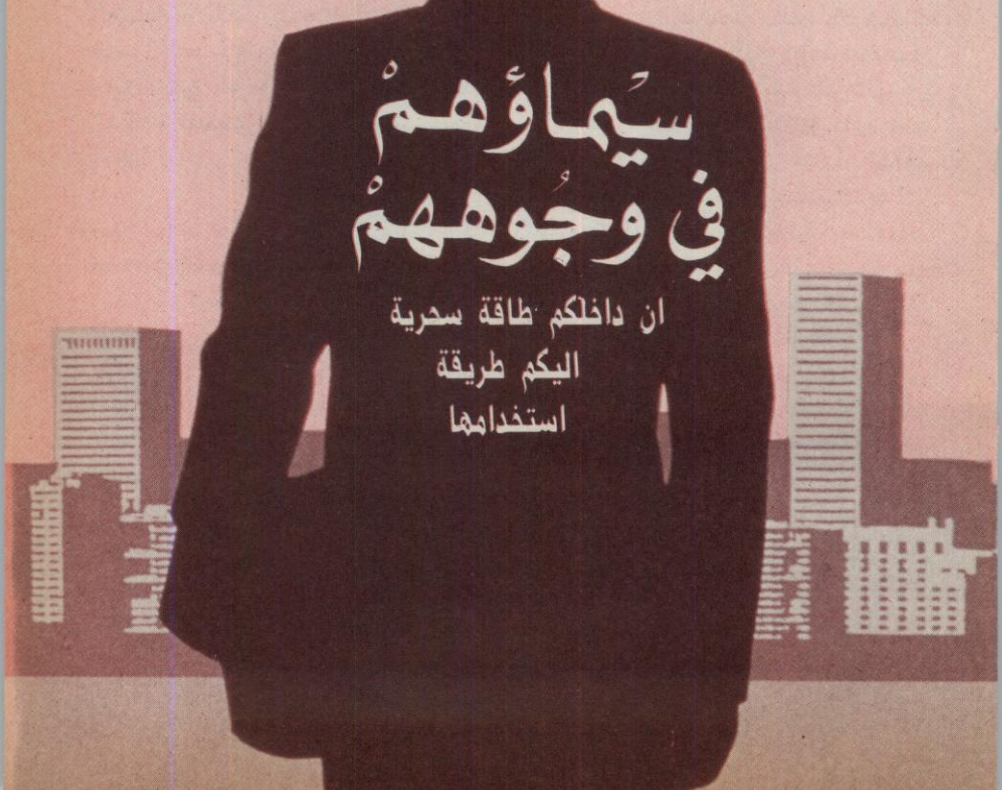

قبل سنوات كنت أخرج شريطاً وثائقياً للتلفزة حول عصابات الشوارع. فأجريت مقابلة مع جماعة من المجرمين الاحداث، وكان زعيمهم فتى في السابعة عشرة ادعى أنه يكسب ١٥٠٠ دولار في الاسبوع من طريق مهاجمة الناس وسلبهم. سألته كيف ينتقي ضحاياه، فأخبرني أنه يفتش عن أشخاص فرادى منعزلين يجرون أقدامهم، مطأطئي الرأس، يحولون بصرهم ولا يحدقون اليه بثبات ويبدو عليهم الخوف لدى رؤيته.

سألته: "هل تراني ضحية سهلة؟"

- كلا، لن أهاجمك اذا رأيتك في الطريق.

"ولم لا؟"

- أول دخولي الغرفة أخذت تحدق رأساً الى عيني وتقيسني بعينيك من قمة رأسي حتى أخمص قدمي لتحكم، كما يبدو، في ما اذا كان في وسعك التغلب علي في المصارعة. ان هذا النوع من الناس يسبب لي المشاكل.

ان ابن الشارع هذا الذي تعوزه الثقافة قادر على أن يقرأ

بغريزته لغة الجسم التي تنبئه بمهاجمة ناجحة. وهي قراءة تستغرق لحظات قليلة.

تدل الابحاث على أننا نبدأ تكوين فكرتنا عن الآخرين بعد ٧ ثوان من التقائهم. ويجري معظم الاتصال بلغة غير محكية. ونحن نفشي مشاعرنا الحقيقية، بوعي أو بلا وعي، بواسطة عيوننا ووجوهنا وأجسادنا ومواقفنا. وفي الوقت ذاته يثير كل منا في الآخر سلسلة من الردود العاطفية تترجح بين الطمأنة والخوف.

فكّر في بعض لقاءاتك التي حفلت بأبرز الذكريات، كتعريفك الى زوجتك العتيدة أو مقابلة للحصول على وظيفة أو التقاء أحد الغرباء. ركّز على شعورك وفكرك في السبع الثواني الاولى. كيف "قرأت" الشخص الآخر وكيف تعتقد أنه قرأك؟

أنت الرسالة. طوال ٢٥ سنة عملتُ مستشار اتصال مع ألوف السياسيين ورجال الاعمال ومشاهير السينما والمسرح ورجال ونساء غيرهم يريدون أن يكونوا ناجحين، وساعدتهم على تقديم اقتراحات وآراء مقنعة، ويردوا بأجوبة مفحمة عن أسئلة عدوانية، ويُجروا اتصالات اكثر فاعلية. والسر في هذا التدريب هو دائماً كون المرء، بكامله، هو الرسالة.

فاذا استخدمت خصالك الحميدة فستجد أن الناس الآخرين يريدون أن يكونوا معك ويتعاونوا واياك. قوِّم ما تمتلكه من مواهب شخصية: المظهر الجسدي، الطاقة، معدل الكلام، قوة الصوت ونبرته، الحيوية والايماء، تعبير العينين والقدرة على ابقاء انتباه الآخرين مشدوداً اليك. فالشخص الآخر سيكوِّن انطباعه عنك على أساس كل هذه المعطيات.

والآن تذكر ثلاث مناسبات في حياتك عرفت فيها أنك تركت انطباعاً جيداً. فما الذي جعلك ناجحاً؟ اني على ثقة بالآتي: أنت كنت ملتزماً ما تقوله، وكنت تعرف عما تتكلّم، وكنت مأخوذاً كلياً بتلك اللحظة الى حد أنك فقدت كل وعي لذاتك.

كن ذاتك. تنصحك كتب الارشادات بالدخول على من ينتظرك وبأخذ المبادرة، مؤكداً قوة شخصيتك وقدرتك على أن تكون باهراً وتترك انطباعاً قوياً. وتعلمك كيف تصافح الآخرين فتشدّ أكفّهم كملزمة. وتطلب منك أن تحدق بقوة الى عيني الشخص الآخر كما لو كنت منوِّماً مغنطيسياً. لكنك اذا تبعت جميع هذه النصائح فستدفع الجميع الى حافة الجنون، وتدفع ذاتك أيضاً.

ان السر هو أن تكون دائماً ذاتك في أفضل حالاتها. أن أكثر الناس تأثيراً لا يغيّرون شخصيتهم بين ظرف وآخر. إنهم هم ذاتهم، لا فرق اذا كانوا في محادثة حميمة أو يخطبون في مناسبة أو يجرون مقابلة طلباً لوظيفة. انهم يتصلون بكامل ذواتهم، قلباً وقالباً، ونبرة اصواتهم وايماءات أيديهم متناسقة تماماً مع كلامهم.

CONDENSED FROM «YOU AND THE MESSAGE,» COPYRIGHT © 1988 BY ROGER AILES,
PUBLISHED IN HARDCOVER BY DOW JONES — IRWIN, AND IN PAPERBACK BY DOUBLEDAY, NEW YORK, N.Y.
ILLUSTRATION: © MICHAEL SCHWAB / THE IMAGE BANK

ان الخطباء غالباً يرسلون اشارات مربكة الى سامعيهم. ومَثَلي المفضل على هذا النوع هو ذلك الذي يبدأ خطابه بعبارة "سيداتي، سادتي، انني لسعيد جداً بأن أكون هنا" فيما هو يرنو الى حذائه. فمثل هؤلاء لا يظهرون سعداء، انما يبدون ساخطين أو خائفين أو كئيبين.

أما المستمعون فتطغى لديهم الصور المرئية على الكلامية، فيفكرون: يقول لنا إنه مسرور، لكنه ليس كذلك. انه ليس صادقاً.

استخدم عينيك. اذا كنت تتكلم مع شخص واحد أو مع مئات الاشخاص فتذكر أن تنظر اليهم. فبعض الناس يبدأون الكلام وهم ينظرون اليك، وما ان ينطقوا ثلاث كلمات حتى يقطعوا الاتصال العَيْني وينظروا خارج النافذة.

لدى دخولك غرفة أجِلْ ناظريك بارتياح، ثم تطلع مباشرة الى الموجودين وابتسم.

بعض الناس يعتقد ان ولوج غرفة ملأى بالناس هي بمثابة ولوج عرين أسد. أنا أخالف هذا الاعتقاد. لكني لو وافقته لما رنوت الى قدميّ ولا تطلعت الى السقف، بل لبقيت محدّقاً الى الاسد!

الابتسام مهمّ. لكن بعضهم يتقصّده كحيلة للفوز، فيشبك عينيه بعينيك ويتحفك بابتسامة عريضة تكشف أسناناً نابية، هي أقرب الى تكشيرة مصطنعة منها الى ابتسامة. وهذا مثير ومرهق كالتكلم مع شخص لا ينظر اليك مطلقاً. ان أفضل الابتسام والاتصال العَيْني هو ما كان مريحاً ولطيفاً وصادقاً ومن دون تكلّف.

أصغِ قبل الوثوب. علّمني والدي أن "أمتصّ" الآخرين قبل أن "أبرز" نفسي، قال لي: "يا ولدي، لن تتعلم شيئاً فيما أنت تتكلم."

لدى حضورك اجتماعاً أو حفلة أو مقابلة لا تبدأ رأساً بنثر آرائك. توقف لحظة لكي تستوعب ما يجري وتعرف مزاج الآخرين: هل هم كئيبون؟ سعداء؟ مترقبون؟ هل هم في شوق ليتعلموا منك أم انهم ينضحون مقاومة؟ اذا تمكّنت من معرفة ما يحدث لدى الآخرين، فستكون في موقع أفضل للوصول اليهم.

ركز طاقتك. علّمني جاك بني درساً مهماً. في فترة متقدمة من عمله كان هذا الممثل الفكاهي ضيفاً في "استعراض مايك دوغلاس" التلفزيوني، وكنت أنا المخرج التنفيذي.

حين التقيت بني رأيته رجلا مسناً نحيفاً قصيراً متكوماً على مضجع في احدى الزوايا. فقلت في نفسي لا بدّ انه سيلفظ أنفاسه في أثناء العرض.

وعندما حان دوره حبست أنفاسي. بدأت الفرقة الموسيقية تعزف أغنيته "الحب المتفتح." تنفّس بني بعمق وبدا كأنما كتلة من الطاقة والحيوية تدخن في جسمه. فاستقام في مشيته وغمزني وابتسم لي. ولدى دخوله المسرح راح يرجج يديه وهو يخطو خطوته الشهيرة. واذ جاك بني "الحقيقي" يظهر فجأة أمام أعيننا. لقد ادخر طاقته حتى بدء أدائه.

كيف تحفز طاقتك؟ قبل أن ألتقي أحداً، أجلس وأجمع أفكاري بهدوء. أتنفّس بعمق وأفكر في أهداف اللقاء – هدفي وهدف الشخص الآخر. أحياناً أتمشى لبضعة دقائق لكي أحفز قلبي على الضخ. وحالما أدخل ذلك الباب أنقطع عن التفكير في نفسي وأركّز على الشخص الآخر محاولا استكشاف شيء فيه أحبه.

ان الطاقة المنظمة تنبعث فينا قوة مغناطيسية تبرز في كل منا حين يؤمن بشيء. حين يتكلم الناس ذوو الطاقات فانهم يمتزجون بسامعيهم وبرسالتهم. في امكانك عدم موافقتهم على معتقدهم، ولكن لا يسعك التشكيك في صدق اقتناعهم.

من المهم أن يسود جو من اليقين. فغالباً ما ترى أناساً يبدأون الكلام بقوة ثم يشردون أو يترددون أو يضعون أيديهم على أفواههم. لا أحد يرغب في الاصغاء الى شخص متردد. حسن أن تكون هادئاً وحذراً ومتأنياً، انما لا يجدر بك أن تكون متردداً غير واثق.

ابتهج. كنت مرة في اجتماع مجلس ادارة رأسه أحد أقوى مديري عالم الفن، وكان طاغيا مستبداً يبعث الخوف في الجميع. فراح يصبّ جام غضبه حتى لهفوات بسيطة. وبدا أنه مستمتعاً بقدرته على تخويف الآخرين واخضاعهم. وحين جاء دوري نهرني صائحاً: "وأنت يا أيلس، ماذا تعمل؟"

قلت: "هل تعني الآن، أم هذا المساء، أم في بقية حياتي؟" وتلت لحظة سكوت اتسعت فيها عيون الحاضرين وهم يراقبون مشدوهين. واذا بالمدير يلقي برأسه الى الوراء وينفجر ضاحكاً. وسرت العدوى في الآخرين فأغربوا في الضحك أيضاً: وهكذا كسر الظرف حدة التوتر الذي ساد جواً ضاغطاً.

لو كان لي أن ألخص بكلمتين النصيحة التي أسديتها الى كثير من زبائني لنصحتهم بأن يبتهجوا.

أنظر بجدية قاسية الى ذاتك. هل تقول "أنا" تكراراً؟ هل تركّز تفكيرك على مشاكلك الذاتية؟ هل تتذمر كثيراً؟ حين يعرض الناس فكرة جديدة هل تحاول خنقها أو تنفيسها؟ اذا كانت أجوبتك نعم حتى عن واحد من هذه الاسئلة، فأنت في حاجة الى بعض البهجة والاشراق، لأنك بتذمّرك ترهق أصدقاءك وأهلك وزملاءك.

لكي تجعل الناس يرتاحون اليك حاول أن تبدو أنت مطمئناً ومرتاحاً في داخلك. لا تعمد الى تغييرات جذرية في شخصيتك. لا تصطنع وضعاً زائفاً، بل كن ذاتك في أفضل حالاتك. فالحقيقة أن في داخلك يكمن السحر الذي يتيح لك أن تترك الانطباع الجيد. وما من أحد يقدر أن يكون "أنت" أفضل منك.

روجر ايلس مع جون كروشار ■

الكاتب مستشار اتصال عمل لدى ثلاثة رؤساء أمريكيين.

مهما تذمرت من رداءة الطعام، فحالما يسألك النادل كيف وجدته تجيب على الفور: "جيد."

ر.س.

صور من الحياة

عنزة ولو طارت!

كان ابني المراهق يمر في تلك الفترة الحرجة التي يُعتبر فيها رأي الاهل عين الخطأ. لذلك سُررت عندما سألني أن أساعده على اختيار قميص يرتديه في حفلة، من بين ثلاثة قمصان: أزرق وأبيض وبني مصفوفة على السرير. فقلت: "افضل القميص الأزرق."

– ما خيارك الثاني؟

"الأبيض."

– شكراً.

قال ذلك، وارتدى البنيّ.

س.ك.

لياقة

اندفعت سيارة الاطفاء التي كنت فيها الى منزل اشتعلت فيه النار واحتجزت امرأة في الطبقة الثالثة. فارتقيت سلماً ووجدتها جالسة قبالة النافذة، فطلبت منها ان تأتي وتنزل معي. فاجابت: "ايها الشاب، سابقى جالسة حيث انا." حاولت اقناعها لكنها اصرت على الرفض. اذ ذاك قلت لها: "حسنا، اذا بقيت جالسة فسأحذو حذوك." فأخذت يدي فوراً وطلبت مني ان انزل امامها.

في ما بعد سألتُ المرأة ماذا جعلها تغيّر رأيها، فاجابت: "كان ذلك عندما قلت إنك باق، فمنزلي لم يكن مهيأ لاستقبال احد."

ت.م.

عامل أمين

وجد صديقي المتقاعد متعة في مراقبة عملية بناء جناح ملحق بأحد المراكز التجارية. وإذ راح يراقب الورشة بانتظام تأثر بنوع خاص بالضمير المهني الذي ابداه عامل ميكانيكي على احد الاجهزة. واخيراً اتيحت لصديقي الفرصة لاخبار الرجل كم سُرّ بمراقبة عمله المتقن. فنظر اليه هذا فاغراً فاه، واجاب: "ألم تكن انت المراقب؟"

هـ.أ.س.

بالونات عائلية

كان موظّف في مخزن الملبوسات يوزع بالونات على اولاد الزبائن، فسأله صبي صغير اذا كان ممكناً ان يحصل على اثنين. فاجاب الموظف: "آسف، فنحن نعطي بالوناً واحداً لكل ولد. هل عندك اخ في البيت؟"

كان الفتى صادقاً، لكنه اراد متلهّفاً الحصول على بالون ثان فردّ بأسف: "كلا، لكن اختي عندها اخ، واود ان آخذ بالوناً له."

غ.ر.

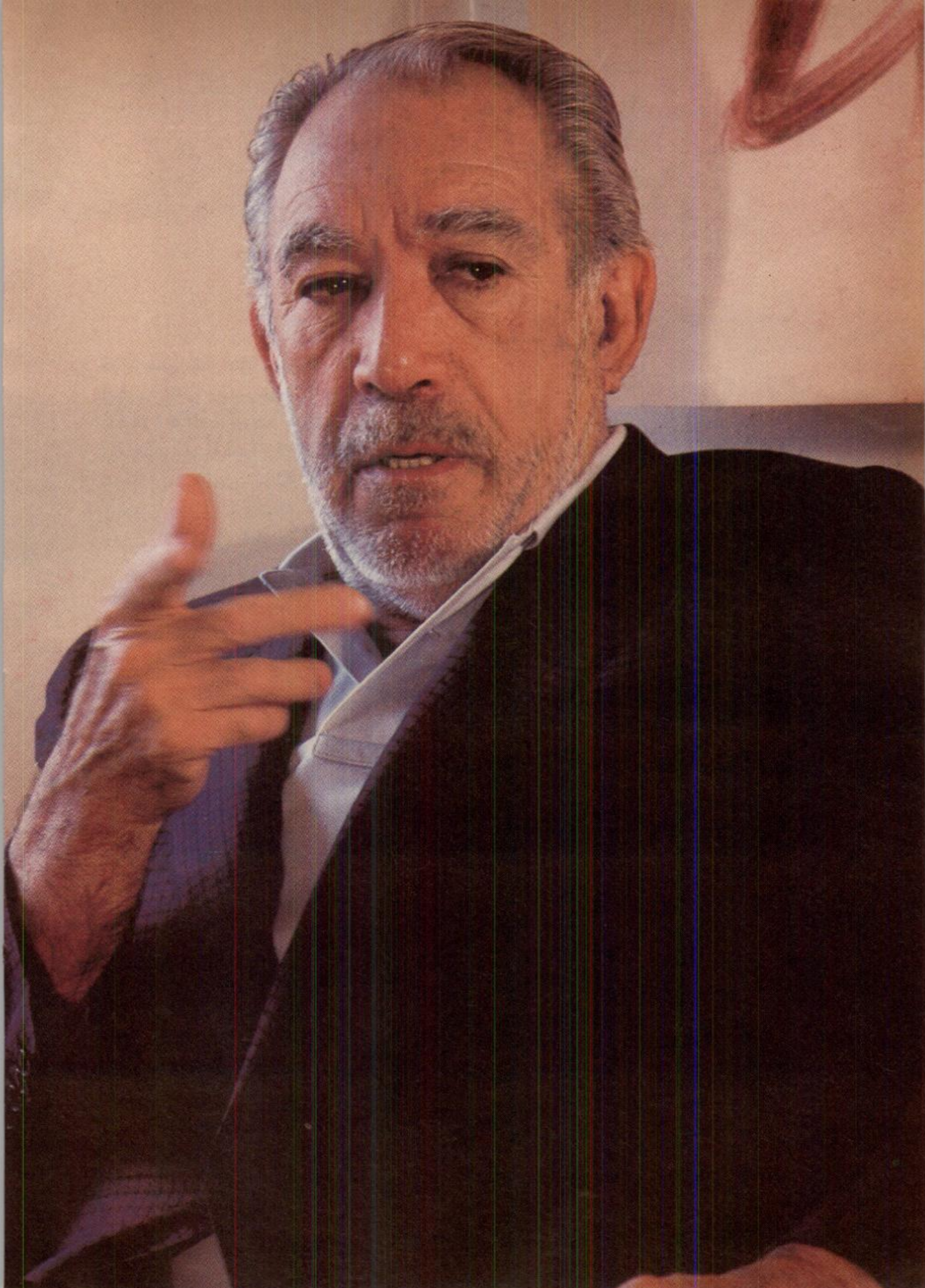

أنطوني كوين: من زوربا إلى عمر المختار

اجتاز ابن الفسّالة المكسيكي عتبة الفقر والاجحاف واحتل مركزه اللائق بين كبار النجوم

PHOTO: EDUARDO FUSS

ليل في جزيرة كريت وعجوز ممتلىء حيوية يلقي بمعطفه جانباً ويدق الطاولة ثلاث مرات ويفرقع بأصابعه، ثم يبدأ الرقص. ويدور الممثل المكسيكي الأصل انطوني كوين متألقاً في دور "زوربا اليوناني"(١) الذائع الصيت، فيما عيناه السوداوان وخدّاه غير الحليقين تتوهج بجذوة الحياة.

ما زال الملايين من رواد السينما يربطون ذهنياً بين أنطوني كوين وشخصية "زوربا" التي حققت له الانتصار الأكبر في حياته المهنية التي امتدت ٥٤ عاماً الى الآن وشملت اكثر من ١٢٥ فيلماً وعملا مسرحياً. وفي مقابلة أجريتها معه في غرفة الالبسة الخاصة بشخصية "زوربا" قال: "أنا انطوائي جداً في حياتي العادية، لذلك أحب الادوار التي تخرجني من ذاتي كي أشعر بالانعتاق."

مثل كوين أدواراً لشخصيات من جنسيات عدة: صينية واسكيمو وفيلبينية ورومانية وإيطالية وإسبانية وبنامية وعربية. وهو يعتبر من أشهر الممثلين الهسباني الاصل(٢) في الولايات المتحدة وأوروبا. وقد غدا وجهه التعب المكتئب من أشهر وجوه الشاشة. وشبهته مجلة "تايم" بوجه "كلب بوليسي أكل سجيناً فاراً."

---

(١) *Zorba the Greek*

(٢) الهسباني «*Hispanic*» هو الآتي من اسبانيا أو البرتغال أو أمريكا اللاتينية.

ذات يوم، كان يتمشّى في متنزه "سنتراك بارك" في نيويورك فهاجمه من الوراء لصان مسلحان بسكين. وما ان استدار حتى أجفلا واعتذرا: "أوه، سيد كوين، لم نعرفك."

والده فرنسيسكو كوين نصف إيرلندي ونصف مكسيكي. وكان في فتوته جندياً في صفوف الثورة المكسيكية. وكانت والدته مانويلا أواكساكا خادمة فيها عرق هندي، هربت مع فرنسيسكو وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وما لبثا ان تزوجا على متن قطار متجه الى خطوط القتال الامامية. وولد ابنهما أنطونيو رودولفو أواكساكا كوين في ٢١ أبريل (نيسان) ١٩١٥ في غرفة صغيرة مستأجرة.

وحين عاد فرنسيسكو من القتال قرر أن الوقت لم يحن بعد للاستقرار، واختفى ميمماً شطر الشمال. وعندما بلغ أنطونيو شهره الثالث عزمت والدته على البحث

A. NAVIZET, OUTLINE PRESS

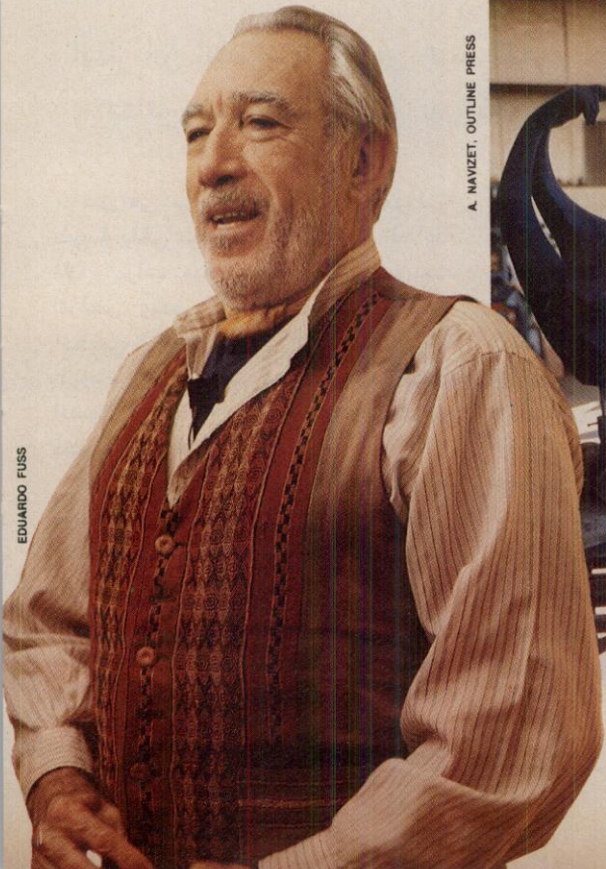

EDUARDO FUSS

(الى اليسار) أنطوني كوين يرتدي أحد أثواب "زوربا" في عرض في بورتلند بولاية أوريغون.
(فوق) كوين يطلي تمثالا برونزياً سمّاه "فيرنا."

عن زوجها، فاختبأت في قطار متجه الى مدينة ثيوداد هواريز الحدودية، ومن هناك قطعت الجسر الى إلباسو في تكساس حيث راحت تعمل في غسل ثياب الأغنياء. غير أنها كانت دائمة القلق من أن يرحِّلها مكتب الهجرة. وفي نهاية المطاف وجدت زوجها فرنسيسكو الذي ظل غير راغب في الاستقرار، إذ عاد يغيب عن عائلته فترات تمتد عدة أشهر.

وخلال فترات الغياب هذه تقرَّبت مانويلا من حماتها دونيا سابينا التي كانت تحمل حفيدها كوين، وهو في السن الثالثة من عمره، الى السينما لمشاهدة أفلام الممثلين أنطونيو مورينو ورامون نوفارو المفضَّلين لديها. وكانت دونيا سابينا تصلِّي: "أرجوك يا رب، امنح حفيدي مستقبلا براقاً مثلهما."

مكسيكي قذر. عام ١٩١٩ قرر فرنسيسكو المكوث مع زوجته، وتوجه بالعائلة الى كاليفورنيا حيث شرع كوين، وهو في السن الخامسة، يعمل في حقول الفراولة (الفريز) والخس مع أمثاله من المهاجرين.

وبعد سنة انتقلت العائلة الى حيّ معدم في مدينة لوس انجلس. لكن فرنسيسكو عجز عن تأمين قوتها، مما اضطر انطوني الى العمل في مسح الاحذية وبيع الجرائد.

وحين بلغ العاشرة من عمره كان لا يزال يبيع الجرائد وقد درج على انتظار عودة والده في الشارع. وذات يوم تشاجر مع صبي، وتدحرجا على الارض فاتسخت يداه ووجهه وثيابه وتدلى قميصه عن خصره. ولدى عودة والده ونزوله من الحافلة، سارع اليه أنطوني ملوحاً بجريدة، كما اعتاد ان يفعل كل يوم، وناداه: "جريدة يا سيد؟" لكن فرنسيسكو تخطَّاه غير عابىء. وفي تلك الليلة قال الاب لابنه في البيت: "صادفت اليوم صبياً مكسيكياً قذراً حاول بيعي جريدة. وبدا صغيراً مثلك، لكنه لم يكن ابني. قد يكون ابني فقيراً، لكنه لم يكن يوماً قذراً." كلمات ترددت لسنوات في ذهن كوين وآلمته كثيراً: "صبياً مكسيكياً قذراً."

ولم يمض وقت طويل حتى قُتل فرنسيسكو في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ وهو يساعد صديقاً في دفع سيارة متوقفة. وفي اليوم التالي بدأ الصبيّ المفجوع أنطوني، وهو بعد في العاشرة من عمره، حواراً مع والده راح يردده في باله طوال حياته ويقيس نفسه بمقياس والده الكماليّ. فقرر ألا يموت نكرة منسيّة.

ودفعته الفاقة الى الكذب، فادعّى أنه أكبر سناً ليحصل على وظيفة. وتنقَّل في عدة أعمال بينها تنظيف المراحيض وصقل النوافذ ومسح الأرض وتنظيف بقايا اللحوم في مصنع تعليب وتوزيع البرقيات. وفي السن الثالثة عشرة حاول أن يحترف الرسم. فحصل على صور فوتوغرافية لكبار نجوم هوليوود ورسم عنها لوحات أرسلها اليهم بالبريد، وراح ينتظر وصول الشيكات. لكنه لم يتلق سوى جواب واحد من دوغلاس فيربانكس الذي كتب يشكره مرفقاً ورقة مالية من فئة ١٠ دولارات.

كذلك حاول كسب المال من طريق التمثيل الايمائي، فقلّد بنغ كروسبي ولويس آرمسترونغ وموريس شوفالييه. غير أن قلة من الناس في حيّه استطاعت دفع دولارين لمشاهدة عرضه. انذاك إنكفأ الى العمل خالطاً للاسمنت أو سائق أجرة أو جزاراً أو كهربائياً أو نادلا. ولما بلغ الخامسة عشرة ترك المدرسة ووجد عملا في مصنع للفرش. لكن شرطياً أعاده قسراً الى المدرسة. وفي السادسة عشرة من عمره جرّب مهنة الملاكمة وربح ١٦ منازلة، لكنه تخلّى عن هذه الحرفة بعد خسارته المباراة السابعة عشرة لأنه لم يتحمّل أن يضرب منافسه الأسود.

دم الازتيك. مضى كوين غير هيّاب يبحث عن سُبل تحرره من الفاقة والاجحاف. وكان ايمانه بالله عز جلاله عميقاً منذ طفولته. وقد فكر مراراً في أن يصبح رجل دين. وفكر أيضاً في احتراف التمثيل أو الرسم أو رقص التانغو. وقرأ يوماً أن راقص التانغو الجيد يتحرك كأنه يضع سكيناً بين أسنانه. فراح يتمرن كل ليلة في غرفته طوال اسابيع وسكين جدته الكبير بين أسنانه.

ولما بلغ السابعة عشرة توقف عن الدراسة ووقع في غرام امرأة جميلة وحكيمة اسمها سيلفيا كانت تكبره بعشرين عاماً. فقدمته الى عالم الفن والموسيقى الكلاسيكية. وشجعته على قراءة كتب نيتشه وشوبنهاور ودانتي وتورو وبودلير وتوماس ولف وغيرهم.

وما لبث معلموه أن تنبّهوا الى قدراته، فأسندوا اليه أدوار هواة. وذات يوم من العام ١٩٣٥ بلغه أن الممثلة ماي وست تبحث عن رجل لاتيني لتمثيل دور غاوي نساء في مسرحية من انتاجها. وحين قرأ كوين نصاً من الدور، كتجربة أداء، أسندت اليه وست البطولة بدلا منه. وبعد سنة ظهر في دور ثانوي كسجين في فيلمه الأول "كلمة شرف"(٣). وكانت جدّته دونيا سابينا مشرفة على الموت لاصابتها بمرض السرطان، فحملها الى شرفة الصالة لمشاهدة أدائه. وبعد انتهاء العرض قالت له: "الآن أستطيع الموت بسلام."

وقرأ ذات يوم في صحيفة ان المخرج سيسيل دوميل لم يهتدِ بعد الى هندي أصيل من قبيلة الشايين لاداء دور صغير في فيلم "رجل السهول"(٤) من بطولة غاري كوبر. فأدرك أن دمه الأزتيكي سيحقق له مبتغاه، واتّجه الى استوديوات "بارامونت." ويروي كوين بسعادة كيف ادّعى عدم معرفة الانكليزية واخترع لغة اخرى ادّعى، بلكنة اسبانية اصطنع تكسيرها، أنها لغة الشايين. وعلى الفور أسند اليه دوميل الدور.

وكانت ابنة دوميل الجذابة كاترين تحضر تمارين "رجل السهول." فوقع كوين في حبها من النظرة الأولى، وما لبثا أن تزوجا في عرس هوليوودي فخم. ولم يحضر العرس أي من أصدقاء العريس أو أقربائه بطلب من عائلة العروس.

حلم رسام. بين ١٩٣٨ و١٩٤١ مثل كوين أدواراً ثانوية كرجل عصابات ووغد

(٣) *Parole*

(٤) *Plainsman*

وسفاح في ٥١ فيلماً. وهو تلبَّس دور الرجل الشرير حتى في حياته العادية، فلم يتقبله سكان هوليوود بينهم. وهو تعزّى عن ذلك الحرمان بصداقته للممثل جون باريمور وابنه البكر كريستوفر الذي ولد في العام ١٩٣٩.

لكن شهر مارس (آذار) ١٩٤١ حمل الى كوين مصيبة أليمة أثناء زيارة قامت بها العائلة الى منزل أهل زوجته. ففي غفلة عن الأعين خرج كريستوفر الى الشارع ومنه الى الحديقة العامة حيث وقع في غدير، وغرق. وقد أقعد الحزن أباه فلم يقوَ على حضور المأتم.

أغرق كوين نفسه في التمثيل لينسى مأساته. ولم يلبث أن خاطر بمستقبله المهني بدعمه قضية غير مستساغة شعبياً، ألا وهي جمع التبرعات لاستئناف حكم جائر على ٢٢ شاباً من الهسبان اتهموا بارتكاب جريمة. ونجحت مساعيه باطلاقهم جميعاً. ولم يطل به المطاف حتى فاز بدور البطولة في فيلم "الذهب الاسود"(٥) عام ١٩٤٧، حيث مثّل دور هندي أمريكي يكتشف بئراً للنفط ويصبح مليونيراً. وفي العام ١٩٥٢ أدى دوراً صغيراً في فيلم "فيفا زاباتا"(٦) من بطولة مارلون براندو، وهو الفيلم الذي منحه فرصة اختبار الثورة وعاش دور والديه خلالها. وقد حاز جائزة "أوسكار أفضل ممثل ثانوي" عن دوره في هذا الفيلم.

وبقي حلمه في أن يصبح رساماً يراوده في أحيان كثيرة. وخلال تصوير فيلم "هبوب عاصف"(٧) صادق الرسام المكسيكي الشهير ديفيد ألفارو سيكيروس الذي حاول اجتذابه الى الرسم قائلا: "أترك التمثيل وابقَ هنا في المكسيك وارسم." أحبَّ كوين بكل جوارحه أن يتبع نصيحة المعلم، لكنه خشي العودة الى أيام الفقر وقرر، متردداً، مواصلة التمثيل.

وما لبث أن أتجه في العام ١٩٥٣ الى ايطاليا حيث مثل في خمسة أفلام ايطالية أهمها "لاسترادا"(٨) الذي ادى فيه دور "زامبانو" رجل السيرك القوي. وفي العام ١٩٥٦ أسند اليه المخرج السينمائي فنشنتي مينللي دور الرسام الفرنسي بول غوغان في فيلم "شهوة الحياة"(٩) من إنتاج "مترو - غولدوين - ماير." وهو الفيلم الذي أناله أوسكاراً ثانياً.

لكن زواجه كان ينهار. ففي العام ١٩٦٤ كان يمثل فيلم "باراباس"(١٠) في روما، فالتقى فتاة جميلة تعمل في قسم الالبسة هي يولاندا أدولوري. فطلق زوجته عام ١٩٦٥ وتزوج يولاندا في العام التالي.

نتاج فني. تابع كوين تمثيل أدوار ذات طابع عرقي: قرصان كاريبي في فيلم "ريح في جامايكا"(١١) وضابط حربي فرنسي في "الوصية الضائعة"(١٢) وفلاح روماني في "الساعة الخامسة

(٥) *Black Gold*
(٦) *Viva Zapata*
(٧) *Blowing Wild*
(٨) *La Strada*
(٩) *Lust for Life*
(١٠) *Barabbas*
(١١) *High Wind in Jamaica*
(١٢) *Lost Command*

والعشرين"(١٣) وصناعي ناجح عن شخصية أرسطو أوناسيس في فيلم "الثري اليوناني"(١٤). وفي العام ١٩٨٠ كان يمثل دور القائد الوطني الليبي عمر المختار في فيلم "أسد الصحراء"(١٥) فقرر الانصراف جدياً الى الرسم معتبراً أنها فرصته الاخيرة اذ كان في الخامسة والستين من العمر. وبدأ ينتج لوحات وتماثيل بأساليب تراوح بين التجريدي المتحرر والتكعيبي والانطباعي والتعبيري.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢ عرض "مركز صالات الفنون - هاواي" ٤٠ عملا من انتاج كوين، ولم تمضِ نهاية الاسبوع حتى بيعت جميعها. واليوم تباع لوحات كوين بمبالغ تفوق ١٠٠ ألف دولار، بما فيها لوحته المعبرة "زوربا، رسم ذاتي." ولا يكاد ينهي لوحة حتى تباع. أما تماثيل البرونز والرخام القليلة التي نحتها فيفوق ثمن الواحد منها ١٠ آلاف دولار. ومن اللافت ان دخله السنوي من الرسم والنحت فاق في بعض الاحيان دخله في التمثيل.

اما الدور المتطلّب الآخر لأنطوني كوين فهو دور الأب الذي يمارسه غيابياً في بعض الأحيان. وببساطة يقول: "أحب عائلتي حباً جماً." أبناؤه الثلاثة الأصغر سناً، فرنسيسكو ودانييل ولورنزو، اختاروا امتهان التمثيل وهم الآن في العشرينات من العمر. أما أولاده من زوجته الاولى فهم كريستينا وكاثي ودنكان، وهم في الاربعينات، وفالنتينا التي تقترب من الاربعين.

أخذ كوين على نفسه عهداً ألا ينسى ماضيه. يقول: "أكاد أبكي حين أرى كم أصبح مواطنيَّ الهسبان أقوياء اليوم." ومصدر فخره الاكبر مربوط بماضيه، فعلى مقربة من المكان الذي قُتل فيه والده مبنى فرع "مكتبة لوس أنجلس العامة" الذي أطلق عليه اسم كوين عام ١٩٨٣.

يوم الاحتفال بتسمية المكتبة وقف كوين أمام جمهور من ٧٠٠ شخص ضم رفقاء له من أيام الدراسة واللعب أتوا مع أولادهم وأحفادهم. وقال بصوت متهدج: "لا أجد الكلمات التي تصف ما تعنيه لي هذه الزاوية، ولا أظنكم تدركون ما يعني لصبيّ مكسيكي أن يأتي من شيواوا ويجد نفسه..."

وتوقف من غير أن يتم جملته. ولكن لم يكن بين الجمهور من لم يكمل الفكرة التي قصدها ابن الغسّالة الذي أصبح نجماً.

سوزان هازن - هاموند ■

(١٣) *The 25th Hour*

(١٤) *The Greek Tycoon*

(١٥) *Lion of the Desert*

ليس في الزِواج الناجح سبل يتفرّد بها أحد الزوجين. فطريق الزواج وعرة مغبَّرة وصعبة، لكنها دائماً مشتركة بين اثنين.

ف.م.

تقرير خاص بـ"المختار"

كيف تضمن سلامة سيّارتك

أجوبة خبير عن أسئلة يطرحها كل سائق يرغب في اطالة عمر سيارته

ان ما تعتقد أنك تعرفه عن سيارتك قد يكلفك غالياً. ومعرفة الاجوبة الصحيحة عن الاسئلة العشرة الآتية المنتقاة من ألوف الرسائل التي وردتني، قد توفر عليك سنوياً مئات الدولارات في كلفة الصيانة وألوف الدولارات في كلفة اصلاح شامل للمحرك.

١ أنجزت لتوي ضبطاً كاملا لسيارتي من طراز ١٩٨٨ بعد السير بها مسافة ١٦٦٠٠ كيلومتر. يقول جاري إني أهدرت مالي، فهل هو على حق؟

على الارجح، نعم. فالمبدأ القديم القائل بضبط السيارة بعد قطعها ١٥ الف كيلومتر لا ينطبق على الجيل الجديد من السيارات المزودة أجهزة اشعال الكترونية والتي تسيّر بوقود خال من الرصاص. فأجهزة الاشعال الفاعلة التي تنطوي على درجات أعلى من الحرارة، والوقود الاكثر نظافة، تتيح لشمعات الاشتعال (البوجيات) أن تخدم مسافة ٤٠ الف كيلومتر أو أكثر من دون الحاجة الى تنظيفها أو ابدالها.

في معظم السيارات المصنوعة منذ ١٩٨٥ أبدلت الاجزاء الاساسية في عملية ضبط السيارة واصلاحها - أي الدوّار والمكثّف ومآخذ التيار في الموزع الكهربائي(١) - بوحدة الكترونية مختومة. وغالبية السيارات الجديدة مزودة نظاماً الكترونياً لحقن الوقود أو مكربناً (كربوراتور) لا يحتاج الا الى ضبط ضئيل.

راجع كتيب الارشادات لديك لتكون على بيّنة من الفترات الفاصلة التي يجب فيها ضبط السيارة. تأكد من استخدام وقود يحتوي على مادة منظّفة قوية لانه يحفظ المكربن وصمامات الوقود نظيفة.

(١) Rotor, condenser and distributor points

واذا قدت السيارة حيث يكثر الغبار، أبدل مصفاتي الزيت والهواء تكراراً. وهذا عمل يمكنك انجازه بنفسك.

٢ ينصح كتاب الارشادات لدي باستعمال مزيج ٥٠/٥٠ من الماء ومضاد الجليد في جهاز التبريد. فاذا كانت الخمسون في المئة صالحة، أفلا تكون المئة في المئة من مضاد الجليد أفضل؟

لا. ان فائضاً من مضاد الجليد قد يتلف جهاز التبريد والمحرك. يتجمّد الماء في درجة صفر مئوية، فيما تتجمد المادة المضادة للجليد (إثلين غلايكول) في درجة ١٨ مئوية تحت الصفر. وحين يمتزج الاثنان يعمل الماء كحفّاز، فتتدنى درجة التجمّد بحدة وتؤمن لسيارتك حماية فضلى في الطقس البارد.

ان مزيجاً جيداً من مضاد للجليد مهم للوقاية في الطقس الحار أيضاً. اذ ان مضاد الجليد الصرف هو أقل فاعلية في تبديد الحرارة وحفظ جهاز التبريد نظيفاً، وتقوى فاعليته لدى مزجه بالماء. راجع كتيب الارشادات للتأكد من نسبة المزيج التي يجب اعتمادها. ولا يجوز في أي حال أن تتجاوز نسبة مضاد الجليد ٧٠ في المئة.

٣ قال لي ناظر المحطة ان الزيت العالق على قضيب المقياس ذو لون داكن وقد حان الوقت لكي أغيّره. لكن سيارتي لم تقطع الا ٣٠٠٠ كيلومتر منذ الغيار الاخير. فما الخطب؟

ربما لا شيء. اذ يحتوي زيت المحرك الجديد على منظّفات تزيل الوسخ والسُّخام والرواسب الطينية من زوايا المحرك، وتحتوي أيضاً على مواد "مشتتة" تبقي هذه الملوّثات معلّقة في الزيت لحماية أجزاء المحرك من التلف. فهذه الملوثات المعلّقة تحوّل لون الزيت قاتماً. لوكن لا يعني هذا أنه حان وقت غيار الزيت.

اتبع توصيات كتاب الارشادات التي تنص على تغيير الزيت في فترات أقصر لضمان بقاء المنظّفات والمشتتات والمواد المضافة الاخرى في حال فاعلة. تذكر ابقاء مستوى الزيت أقرب الى علامة الامتلاء على قضيب القياس، لأن الزيت لا يزيّت المحرك فقط بل يساعد على حفظه بارداً بتبديد حرارة الاحتراق.

٤ أوفّر المال في كل مرة اشتري وقوداً عادياً خالياً من مادة الرصاص، بقوة ٧٨ أوكتان. لكن كتيب الارشادات ينصح باستخدام الوقود الممتاز ذي الاوكتان الاعلى. فهل أفعل؟

ان مشترياتك الاقتصادية قد تؤدي بك الى تغيير شامل في المحرك يكلفك غالياً جداً. ان معدل الاوكتان هو مقياس قوة الوقود على مقاومة قرقعة المحرك التي تنتج من احتراق للوقود سابق لاوانه. وقرقعات المحرك المفرطة القوية هي انفجارات تهدر الوقود وقد تتسبب في تلف المحرك. فهناك محركات مختلفة تتطلّب أوكتاناً عالياً أو متدنيا وفقاً لمقتضيات تصاميمها. استعمل الاوكتان

الذي يحدده كتيب الارشادات، وستلاحظ أداء للمحرك أنعم وأهدأ واقتصاداً أفضل في استهلاك الوقود.

٥ ينصحني والدي دائماً بأن أحمّي المحرك ثلاث دقائق على الاقل قبل تحريك السيارة، وان أسرّع المحرك برهة قبل ايقافه. فهل هذه نصيحة حسنة؟

ان تينك الوصيتين لم تكونا صحيحتين في الماضي، وهما اكثر خطأ حالياً. فاذا كانت سيارتك مضبوطة وفي حال جيدة، ففي امكانك الاقلاع في غضون ١٥ ثانية من تدويرها. واذا فعلت خلاف ذلك فانك تستهلك الوقود وتزيد في تلف المحرك. انما احذر الاقلاع بسرعة كبيرة، وأعط المحرك وقتاً لايصال الزيت الى جدران الاسطوانات وممرات المحرك العليا.

أما تسريع المحرك قبل ايقافه فيترك وقوداً غير محترق في غرفة الاحتراق. وحين إيقاف المحرك ينساب هذا الوقود نزولا على جدران الاسطوانات فيزيل بعضاً من غشاء الزيت الرقيق الذي يجب بقاؤه هناك لوقاية محركك من التلف بالاحتكاك حين تديره في المرة التالية.

٦ كم مرة يجب ان أفحص العجلتين الاماميتين على "الميزان"؟

ان ضبط مقدم السيارة على الميزان يهمَل في أكثر الاحيان. فالاقتصاد بالوقود وصيانة الاطارات وسير السيارة تكون في فضلى حالاتها حين يكون خط مسار العجلات مستقيماً. واكثرية السيارات الجديدة ذات الاندفاع الامامي، وبعض السيارات ذات الاندفاع الخلفي، لا يحتاج الى ضبط على الميزان الا حين تكون هناك مشكلة واضحة. مثلا، حين تشرد سيارتك الى اليمين أو الى اليسار لدى نزولك طريقاً مستقيمة. (لكن تأكد من أن إطاراتك منفوخة جيداً لأن اطاراً واحداً غير منفوخ جيداً قد يسبب شرود السيارة.) والتلف غير المتساوي في الأطراف الخارجية للاطارين الاماميين هو دليل آخر على وجود مشكلة تتطلب ضبطاً على الميزان. لذلك تفحص إطاراتك بدقة مرة في الشهر على الاقل.

ان الميزان الصحيح قد يخفض تلف الاطارات فينجم عنه اقتصاد كبير في النفقات. وقد ينقذ حياتك، لان الميزان السيىء يجعل التوقف وقيادة السيارة أكثر صعوبة في حالات الطوارىء. واذا كان لسيارتك تعليق(٢) خلفيّ مستقل فقد تحتاج العجلتان الخلفيتان أيضاً الى ضبط على الميزان.

٧ أصلحت لتوي إطاراً مثقوباً. وقال لي العامل ان عليّ موازنة العجلة قبل تركيبها في السيارة. فهل هذا احتيال؟

ليست هناك عجلة أو إطار مستديران تماماً ومتناسقان. فالاطار المصلح قد يكون غير متوازن حيث وضعت الرقعة أو السدادة، خصوصاً في حال فكّ الاطار من الدولاب الحديد (الجنط). وارتجاف في عجلة القيادة (الديركسيون) قد يشير الى أن إطاراً واحداً أو اكثر في حاجة الى

(٢) Suspension

موازنة، وهذه تتمّ بربط أثقال رصاصية صغيرة الى حافة الدولاب الحديد. فالعجلة غير المتوازنة على نحو خطير قد تتلف بقية العجلات وجهاز التعليق.

٨

لا تمر بضعة أيام حتى يعود غشاء "حليبي" فيغطي حاجب الريح من الداخل في سيارتي الجديدة. يقول وكيل البيع ان هذا طبيعي ويتأتى من داخلية السيارة. فأين الخطأ؟

ان سبب الغشاء هو على الارجح المواد الكيميائية المضافة الى "فينيل" لوحة أجهزة القياس والفرش لتزيد من ليونته ومقاومته للحرارة. ويلاحظ حصول الغشاء في الطقس الحار اذا كانت نوافذ السيارة المتوقفة مقفلة. ويمكن ازالة الغشاء باستخدام منظّف تجاري للزجاج، مركب على أساس الأمونيا. (وبما أن الامونيا تترك بقعاً، تأكد من تغطية لوحة أجهزة القياس بمنشفة.) وتذكر ان هذه المواد الكيميائية تمنع الفينيل من أن يصبح سريع الانكسار ومعرّضاً للتشقق، لذلك من المهم حفظها باستخدام مادة سائلة لمعالجة الفينيل. وينطبق هذا خصوصاً على فينيل الجزء الاعلى من لوحة أجهزة القياس المعرّض لاشعة الشمس القوية. وفي الوقت ذاته يحسن بك أن تمسح السائل على اختام المطاط حول الابواب والنوافذ لحمايتها من الجفاف والتشقق.

٩

احترق أحد المصابيح الامامية فأبدلته بمصباح مذكور في كتاب الارشادات. والمشكلة هي أن المصباح الآخر يبدو ضعيفاً جداً. فما السبب؟

ان المصابيح الأمامية القياسية تخف قوتها بمرور الزمن. واذ تحترق الشعيرة يضعف وهجها. والى ذلك فان أحوال الطرق والطقس تنقّر الجزء الخارجي من المصابيح الامامية وتغشيه. ويحدث ذلك تدريجاً بحيث يفوت أكثر السائقين ملاحظته.

اذا كان المصباح الآخر أضعف على نحو واضح، فأبدله. وأنا أنصح بابدال كل المصابيح الامامية بمصابيح الهالوجين الاقوى من المصابيح العادية وان تكن أغلى ثمناً.

١٠

اني على وشك شراء سيارة. وقد لاحظت أن بعض الطرازات الغالية مجهّزة بنظام كبح (فرملة) مقاوم للتشابك(٣). ولكن في كثير غيرها أجد هذا النظام اختيارياً فهل يستحق ثمنه؟

ان نظام الكبح المقاوم للتشابك يحسّن كثيراً قدرتك على التوقف مباشرة وبدقة في الحالات الطارئة. ويعتقد كثير من الخبراء أنه أهم تقدم في حقل السلامة في السنوات الثلاثين المنصرمة. واليك كيف يعمل: اذا ضغطت دواسة الكابح، فثمة أجهزة استشعار الكترونية تكتشف التباطؤ السريع للعجلات، وفي غضون جزء من ألف من الثانية قبل أن تشبك العجلات تعمل هذه المستشعرات على ضخ الكوابح بسرعة اكبر كثيراً مما يستطاع بشرياً. وهذه العملية تتيح

(٣) Antilock braking system

للعجلات الاستمرار في الدوران وتمنع الانزلاق.

جربتُ الكوابح المقاومة للتشابك على حلبة اختبار. توقفتُ فجأة مراراً وتكراراً، تارة على أرض مسطحة جافة وطوراً حين كانت اثنتان من عجلات السيارة تسيران على بقعة زلقة من الزيت وبسرعة راوحت بين ١٠٠ كيلومتر و١٥٠ كيلومتراً في الساعة. فكنت في كل المرات قادراً على ضبط السيارة.

ان ثمن هذا النظام المتطور آخذ في الهبوط. وفي اعتقادي أن استعمال الكوابح المقاومة للتشابك سيعم قريباً. وحتى ذلك الحين فانها تستحق الثمن الزائد. وأنت على الارجح ستفيد منها في أقل من خمسة في المئة من دوساتك للكابح، لكنها قد تعني لك الفرق بين الموت والحياة.

على رغم التعقيدات في بعض اجزاء السيارات الحديثة فانها أكثر فاعلية وأماناً من قبل. وبمعرفة صحيحة للميزات الجديدة ولبعض أساسيات الصيانة الوقائية ستكون قادراً على انفاق مالك بحكمة المدرك الواثق بنفسه.

روبرت سيكورسكي ■

شَبَه في محله

لم تكن النادلة الشابة، الجديدة في عملها، تعرف الزوائد التي تأتي مع الطبق الرئيسي الذي طلبه أخي. فاستشارت المشرفة عليها التي أطلعت أخي على كل الخيارات فيما راحت النادلة تدوّن طلباته. وأخيراً سألت المشرفة النادلة: "هل سجّلت كل شيء؟ هل تذكرت السلطة والبطاطس؟ هل تريدين أن أتحقق منها؟"

وهنا أغرق أخي في الضحك. ثم اعتذر من النادلة قائلا: "آسف، لكني لم أستطع تمالك نفسي. لقد بدت لي تماماً مثل أمي."

فردت النادلة: "في الواقع، هي امي!"

ر.ل.

مدير "حبّوب"

كان مدير معهدنا رجلا طيباً يحترمه الطلاب ويحبونه. وذات يوم أُرسل بعض الفتيان الى مكتبه لمخالفتهم النظام. فشرحوا له ما فعلوا ووقفوا منتظرين عقاباً.

سألهم المدير بقساوة: "هل هذه مخالفتكم الاولى؟" فردوا بالايجاب.

قال: "حسناً، هذه أول هفوة تقترفونها. ولكن اذا كرَّرتم فعلتكم... الآن أقول لكم... اذا فعلتم ذلك مجدداً..." توقف قليلا ثم تابع بتكشيرته الفريدة: "حسناً، تكون تلك فعلتكم الثانية!"

م.أ.

بنــاتي الغـاليات

كل من يعتقد أن البنات الصغار حلوات كالسكر وطيبات كالعطر لم ينجب يوماً ابنة.

لدي خمس بنات، اثنتان منهن توأمان. وهن دائماً يحاولن امتحان صبري. ولم يخطر لي مرة أنني سأكتب لهن هذا التقدير، الى أن كان ذلك الصباح حين نادتني ابنتي ذات الاشهر الستة. انه حدث مهم، أليس كذلك؟

نعم، كان حدثاً مهماً، لأنها كانت بين ذراعي أمها في تلك الاثناء. وتصرفها جرح كبرياء الامومة لدى زوجتي. ثم تذكرت أن أحد الاختصاصيين كتب أن الطفلة تأتي الى والدها إذا ما أرادت اللعب.

والد لخمس بنات يروي كيف يتحول المرء أباً سمحاً مرناً

© 1984 BY T.W. BLACK. CONDENSED FROM OTTAWA MAGAZINE (JUNE '86), OTTAWA, ONT.
ILLUSTRATION: BRUCE JOHNSON

هذا هراء. لقد أدركت الصغيرة أنها ابنة وأنني أبوها، فبدأت عملية تحويل "بابا" شخصاً سمحاً مرناً.

في تلك المرحلة، حين يكون المرء طري العود يقاس بالاشهر بدل السنين، لم تكن صغيرتي حظيت بعد بحياة اجتماعية توحي اليها ضرورة قولبتي كما تشاء. اذاً ربما كان ثمة أمر غريزي في الطفلة الانثى. ويبدو لي أن ثمة اختلافاً بين الجنسين يتخطى المستلزمات الاساسية.

مثلا، للابناء قنوات للدمع في عيونهم، ولكن يظهر أن للبنات قنوات لجر المياه. على الاقل، يبدو أن البنات يحوين كمية أكبر من المياه. دموع، دموع، انهار من الدموع، حتى لتخشى من أن تجفّ ابنتك أمام ناظريك. لكن هذه المياه قد تسيل على الفور وتنقطع على الفور. انه لمدهش حقاً الا تكون هناك نساء سمكريات.

ويبدو أيضاً أن للبنات عيوناً من كُرَات هي في دوران دائم داخل محاجرها. ولهن حركة متناغمة لعضلات الحاجب أفضل من الصبيان.

والبنات، كالفيلة، لا ينسين أبداً، يوهمنك أنهن لا يصغين اليك، لكنهن يتذكرن كل كلمة، فوعدك لابنتك هو اتفاق شفهي ذو شأن كبير. ويا لبؤس أب ينسى وعده.

شببت في الخمسينات أيام كانت الام تضع وزرة وتحمل مكنسة وتوزع علينا الحلوى والحليب بعد عودتنا من المدرسة. كانت الأم تغسل الصحون بعد الغداء. ويخرج الآباء والابناء ليلعبوا بالكرة - رجالا معاً.

كانت أمي "أداة" للمطبخ ترغم جميع أدوات المطبخ الاخرى على العمل. ولم يكن والدي آنذاك يحسن تحضير شطيرة مربى من دون مساعدتها.

ومثل سائر الرجال كنت متهيئاً لتربية الاطفال الذكور لكوني ابناً ذكراً. الصبيان يحبون المفرقعات وقفافيز الملاكمة وصيد الطيور والاسماك. والعَرق، انهم يحبون العرق. فهم لا يعرفون أبداً أن رائحة جواربهم كريهة. اذاً، ماذا يفعل والد مهووس بالرياضة مع بناته؟ هل يشتري لهن أربطة للعضلات؟ لا، بل يعلمهن الغولف والسباحة وألعاباً رياضية أخرى تمارس مدى الحياة.

ماذا ينبغي على الوالد أيضاً تعليم ابنته؟ انه لا يحتاج الى تعليمها عن المرايا والثياب. البنت الصغيرة تلاحظ أن والدها يرتدي جورباً أسود وآخر بنياً، أما الابن فقد يلاحظ أن الوالد فقد احدى قدميه. ولكن أعتقد أن الوالد يجب أن يعلِّم بناته أنهن يستطعن أن يكنَّ ما يردن.

ان تربية البنات اجتماعياً تبدأ باكراً. قالت لي احداهن مرة عندما كانت في الثانية من عمرها: "انك لا تملك فستاناً. انك صبي يا بابا." كان ذلك صوتاً مسامحاً كأنه يقول: "الامر ليس في يدك يا بابا."

وقالت لي أخرى: البابات يحسنون الممازحة أكثر من الامات، لكنهم لا يحافظون على نظافة أغراضهم كالمامات."

وأضافت شقيقتها التوأم: "ماما تغضب كل يوم، وأنت تغضب مرة كل

أسبوع. ولكن عندما تغضب فانك تغضب حقاً."

لاحد زملائي ابنتان جامعيتان عادتا الى البيت لتمضية عطلة الصيف. وكان زميلي مصاباً بمرض في عينيه تركه عاجزاً عن القيادة والقراءة، فغمرته ابنتاه بعطفهما وأعلنتا أنهما ستكونان له ممرضتين. وبعد فترة أصبح الرجل المستقل مشوشاً بفعل عنايتهما الحسنة النية، وقال لهما انه يتمنى لو أنهما تعتنيان بحسابهما المصرفي مثلما تعتنيان به. فكان رد فعلهما ذرفاً للدموع. قال لي: "ستصبح احداهما طبيبة والثانية محامية، لكنهما لا تزالان تبكيان كلما عبست في وجهيهما."

ولدى زميلي أيضاً ابن شاب قلما يسمع أخباره. وهو يقول: "على المدى الطويل، تستحق البنات كل هذا الجهد. يبدو أنهن يعلمن كيف يحببن من دون أن يحاولن ذلك."

عندما كانت ابنتي الكبرى في سنتها الاولى في المدرسة الثانوية حيث أدرِّس، كانت دائماً تأتي الى مكتبي مع صديقة جديدة لتفاخر بي. أعتقد أن ذلك كان السبب. وأجد من الصعب أن يفعل صبي ذلك مع رفقائه. ان الابناء في سن المراهقة قد يرتبكون لان والدهم يعلّم في مدرستهم.

ولكن لماذا نخاف نحن الآباء من بلوغ بناتنا سن النضج؟ انها الانانية. سيكون هناك رجال أرفع مني شأناً في حياتهن. ان سنوات حمل البنات على الاكتاف ووضعهن في أسرّتهن وهن يقهقهن، قليلة جداً على الاب. والورقة التي رسمت عليها رائعة بقلم ملون ستبهت بعد حين. والنزهات الليلية قصيرة جداً. وكيف للعبة شطرنج مع بّابا أن تنافس موعداً مع قائد فريق كرة القدم؟

آمل فقط ألا تصاب بناتي بعقدة سندريلا: أن أمير الاحلام سوف سيأتي وسينعم الجميع بالعيش الرغيد الى الابد. اذا استطعن أن يحببن من دون الاتكال على رجالهن كلياً فسأعتبر نفسي أباً ناجحاً. فليس أجمل من امرأة لطيفة قوية.

ت. و. بلاك ■

خدمة كاملة

جلست المرأة الشابة في سيارتها المتوقفة الى جانب الطريق تنتظر مساعدة. أخيراً اقترب منها رجلان.

قالت بدلال: "لقد نفد الوقود من سيارتي، فهلا دفعتماها الى أقرب محطة؟"

أطبق الرجلان بعضلاتهما القوية على السيارة يدفعانها وبعد برهة رفع أحدهما بصره وقد أرهقه التعب ليرى أنهما تجاوزا محطة لتعبئة الوقود.

فهدر محتجاً: "ماذا دهاكِ فلم تحيّدي على المحطة؟"

فردت صراخاً بصراخ: "أنا لا أدخل هذه المحطة أبداً، فهي للخدمة الذاتية."

أ.س.

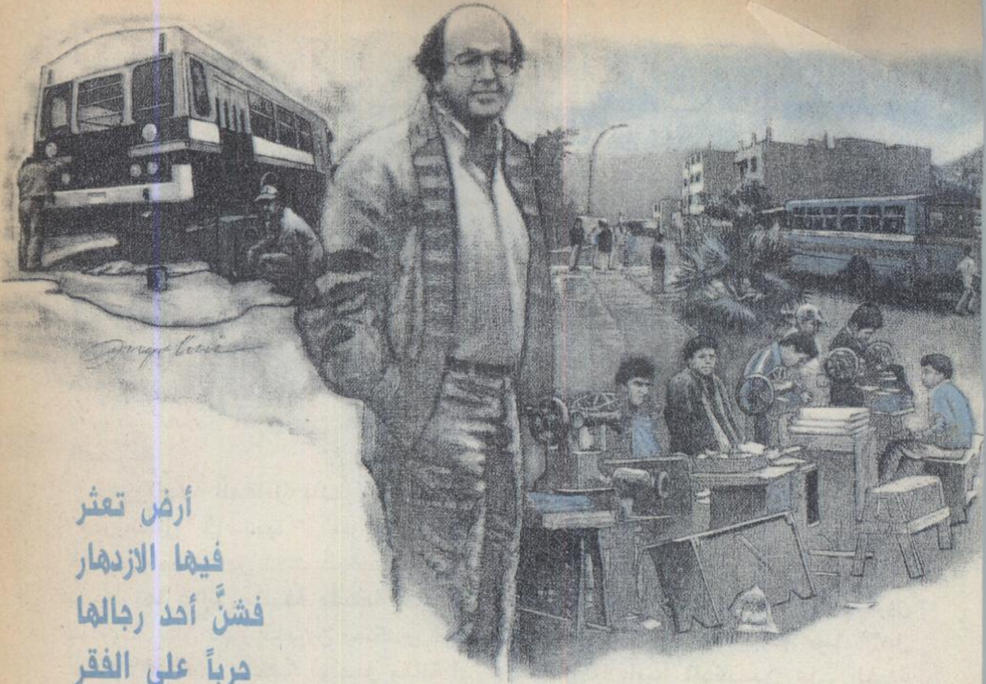

أرض تعثر
فيها الازدهار
فشنَّ أحد رجالها
حرباً على الفقر

صَوْتٌ حُرٌّ يُحارب الفقر

عندما أعلن قادة البيرو العسكريون عام ١٩٧٩ أنهم سيعيدون النظام الدستوري بعد اثني عشر عاما من الديكتاتورية قرّر هرناندو دي سوتو العودة الى بلاده.

وهذا الرجل من مواليد أريكيبا في جنوب البيرو، مجاز في علم الاقتصاد وكان في السن الثامنة والثلاثين مديراً في كبرى الشركات السويسرية للاستشارات الهندسية. لكنه الآن سيدير مشروعاً غير مضمون النتائج وسيساهم في تخطيط عودة بلاده الى الديموقراطية.

بعد مضي سنة على عودته وقف دي سوتو على ضفة نهر ريماك الذي يمر في العاصمة ليما وتأمل ملياً التجمعات

ILLUSTRATION: GEORGE ANGELINI

السكنية المنتشرة على ضفتي النهر والتي يغطي كل منها حوالى هكتار وربع هكتار ويضم منازل نحو ٥٠٠ نسمة. لكن التباين بين هذه التجمعات كان مروّعاً.

ففي تجمع "دانييل ألسيدس كاريون" بدت غالبية المنازل أكواخاً حقيرة من الطين أو الكرتون او الالواح الخشبية. غير أن سكانها لم يكونوا بالضرورة فقراء معوزين، إذ لاحظ دي سوتو أن هوائياً للتلفزيون يعلو كل كوخ، كما لمح ثلاجات وأدوات عصرية أخرى من خلال الابواب المشرّعة.

وفي الجهة المقابلة للنهر ظهر تجمع "ماريسكال كاستييا." وبرزت منازل قرميدية مؤلفة من ثلاث طبقات أو أربع تحيط بها جنائن نظيفة مقطعة بممرات مرصوفة. كان تجار كثيرون يسكنون فوق مراكز أعمالهم: صيدلية أو محل بقالة أو وكالة إطارات أو محل أحذية.

أثار هذا الوضع فضول دي سوتو ودفعه الى الحديث مع السكان والشرطة والموظفين الرسميين في الحيّين. وكانت النتيجة التي توصل اليها مثيرة للحزن والقلق. فقد تأسس الحيّان في وقت واحد على أيدي مهاجرين هنود قدموا من منطقة واحدة. وتبين لدي سوتو أن هناك أشقّاء يعيشون على جانبي النهر.

شبح التشرد. هذا التفاوت بين التجمعين دفع دي سوتو الى مزيد من التساؤلات التي أوقعته في حيرة: لماذا تزدهر بعض الشعوب في حين تبقى شعوب أخرى معدمة؟ لماذا نجد في العالم أمماً فقيرة وأخرى غنية؟

وأدرك أن التوضيحات حول فقر العالم الثالث والتي درسها سابقاً غير صحيحة. وتزعم احدى النظريات أن هنود أمريكا هم، تراثياً، شعب اعتاد الملك المشاع، لذا فإن الجهود المبذولة لتعريفهم الى نظام الاقتصاد الحر محكوم عليها بالاخفاق.

سأل دي سوتو: "هل هؤلاء الهنود أنفسهم عاجزون، تراثياً، عن التوفير والاستثمار في منازلهم وأعمالهم، في حين أن هؤلاء الذين يعيشون على بعد مئات الامتار يدخرون ويبنون منازل القرميد ويفتحون صيدليات ومتاجر للبقالة والاحذية؟"

وتدعي نظرية أخرى أن فقر العالم الثالث مرده الى خطأ ارتكبه المستثمرون الاجانب. ويسأل دي سوتو هنا: "هل يستغلّ الاجانب المقيمين على الضفة الشمالية من النهر من دون المقيمين على الضفة الجنوبية؟"

قابل دي سوتو موظفاً متقاعداً في وزارة الاسكان عايش التجمعين طوال عقود. فشرح له الرجل أن تأسيسهما كان نموذجياً. وفي غياب الاجراءات القانونية البسيطة التي تمنح سندات ملكية آنذاك، استقر هؤلاء المهاجرون المزارعون في أملاك عامة بلا إذن من السلطات. وأضاف الرجل: "إن الاختلاف المصيري بين ماريسكال كاستييا وشقيقتها القرية الفقيرة هو أن قائد الاولى المنتخب الحّ طوال ست سنوات على المسؤولين في ليما كي يمنحوا المقيمين سندات ملكية. وهكذا، لما اطمأن هؤلاء الى مصيرهم وأزيح عن كاهلهم شبح الطرد أخذوا على

عاتقهم مهمة التحسين بايرادات هزيلة وبعرق الجبين. وخلال عشر سنين حسنوا منازلهم حتى باتت قيمتها تفوق إحدى واربعين مرة قيمة البيوت غير المحظية بسندات ملكية."

وفي المقابل، ما زال وضع المقيمين في تجمع دانييل ألسيدس كاريون غير شرعي، لذا فهم غير قادرين على بيع أراضيهم أو توسيع منازلهم أو تأجيرها أو حتى الحصول على قروض لتأسيس أعمال لهم. وهم يستثمرون معظم أموالهم في تجارة الادوات المنزلية والشاحنات التي قد يضطرون اليها في حال طردوا الى أمكنة أخرى.

"هذا الوضع منطقي للغاية،" يقول دي سوتو، "فالحماية القانونية لثمار أتعاب المرء، أي حقوق الملكية، هي منطلق مصيري للمشاريع."

اختبار مزدوج. عام ١٩٨٠ أسس دي سوتو "معهد الحرية والديموقراطية" لدراسة المشاكل الاقتصادية والسياسية واقتراح الافكار التي من شأنها توفير الحلول. وسرعان ما ازداد عدد العاملين في المعهد وبلغ ثمانية وثلاثين بدوام كامل اضافة الى مئات المستشارين والمتطوعين.

رسم دي سوتو ومساعدوه صورة مذهلة لأسباب العجز في اقتصاد البيرو. فانطلاقاً من خبرته في مجال التعدين، اطلع دي سوتو على هول العراقيل القانونية التي يواجهها أي مشروع في البيرو. فللحصول على إذن بنقل معدات الى منجم في إحدى الغابات، اضطر هو وشركاؤه الى استخدام أربعة محامين متفرغين لهذه القضية.

قال دي سوتو لزملائه: "فلنرَ أي صعوبات تواجه امرأ يود مباشرة مشروع خاص." ثم أوكل الى محام وأربعة متطوعين جامعيين إنشاء مصنع ملابس قوامه ماكينتا خياطة. تزود الفريق مفكرات وساعات توقيت وشرع في طلب الرخص الحكومية الضرورية لاعطاء المصنع صفة شرعية. ونبههم دي سوتو: "لا تدفعوا رشوة الا في حال الضرورة القصوى."

زار الفريق المكاتب الحكومية ووقف في الصفوف الطويلة وملأ الاستمارات واصطدم بعشرة طلبات رشوة ودفعها مرتين مكرهاً. وبلغ مجموع الكلفة، من نفقات ووقت مهدور، ١٢٣١ دولاراً أي أجرة ٣٢ شهراً بحسب الحد الادنى القانوني للرواتب. أخيراً استنتج الفريق أن على المرء أن يمضي ٢٨٩ يوماً بمعدل ست ساعات يومياً لينال رخصة حكومية.

ثم أرسل دي سوتو باحثاً الى مدينة تامبا في ولاية فلوريدا الامريكية لمعاودة الاختبار، فكان أن نال الرخصة القانونية كاملة خلال ثلاث ساعات ونصف ساعة.

"سوق سوداء." وجد دي سوتو أن كثيرين من مواطني ليما الفقراء أقلعوا عن العمل بالنظام القانوني الرسمي. ومع أنهم يعملون لاهداف مشروعة، كبناء المنازل وتصنيع السلع وبيعها، الا أنهم يمضون في هذه الاعمال من دون أن يلتزموا القوانين الحكومية. وقد أطلق دي سوتو عليهم اسم "القطاع غير الرسمي."

إن عدد المصانع "غير الرسمية" في البيرو وتنوعها مذهلان للغاية. فقد تبين أنها تشكل نسبة ٥٢ في المئة من مجمل شركات التصنيع في البلاد، وتوظف ثلث اليد العاملة الصناعية، وتنتج كل السلع بدءاً بالدراجات وعدة المناجم وصولا الى الثياب والمفروشات. وبلغت قيمة المبيعات التي حققها الباعة في شوارع العاصمة ليما، غير المرخص لهم والبالغ عددهم ٩١ ألفاً، نحو ٣٢٢ مليون دولار، بما فيها ٦٠ في المئة مواد غذائية.

لكن أفراد "القطاع غير الرسمي" يتكبدون خسائر هائلة في الموارد لمجرد الابقاء على عملهم، اذ يدفعون رشاوى تراوح بين ١٠ و١٥ في المئة من دخلهم الاجمالي. كما أنهم يبقون صغاراً عاجزين عن ولوج قطاعات المشاريع الكبيرة. وفي حين يحظى "الشرعيون" بقروض من مصارف الدولة، يضطر "غير الرسميين" الى دفع أربعة أضعاف نسب الفائدة في "السوق السوداء".

وفي رأي "معهد الحرية والديموقراطية" أنه بمجرد إزالة الصعوبات القانونية التي تعيق ازدهار الأعمال سيصبح التجار "غير الرسميين" قادرين على زيادة الناتج القومي الاجمالي في البيرو أكثر من ٥٠ في المئة خلال عقد واحد.

ويستنتج دي سوتو أن البيرو، كغيرها من بلدان العالم الثالث، لم تختبر فعلياً اقتصاد الاسواق الحرة. لا بل إن امتيازات النخبة مصونة ضد مضاربة الجدد. إن كثيراً من رأسماليي البيرو "الشرعيين" لا يمكن اعتبارهم مقاولين حقيقيين إنما يجوز تشبيههم بالمحتكرين أصحاب الامتيازات الذين عرفهم القرن الثامن عشر. ان هذه الاوضاع تشيع اللافاعلية والفساد والركود و... الثورة.

عام ١٩٨٤ أطلق دي سوتو حركة "ثورية" هي حملة شعبية مسالمة هدفها الاصلاح الديموقراطي. وعندما فرض محافظ ليما قوانين صارمة على بائعي الشوارع، حذّر الاقتصاديون في "معهد الحرية والديموقراطية" من عواقب وخيمة تؤدي الى تفاقم مشكلة الرشوة، وخسارة ساعات لا تحصى بسبب التأخير البيروقراطي، وزيادة في أسعار المواد الغذائية تستهدف الجميع.

وقدم دي سوتو عرائض وقعها ١١١ تكتلا للباعة من أصل ١٢٠ مما حدا السلطات التي تملّكها الذهول الى التنازل عن قوانينها الجديدة.

السبيل الآخر. عام ١٩٨٦ كشف "معهد الحرية والديموقراطية" النقاب عن برنامج لرفع شكاوى على موظفي الدولة وتقديم طلبات شعبية الى الحكومة. وكانت القضية الاولى التي خاضها البرنامج إصدار سندات ملكية شرعية لسكان المنازل الذين لا يملكونها. فتجمعت لدى المعهد في غضون شهرٍ واحد ٣٠٠ ألف شكوى. وخلال أسابيع حضّ الرئيس البيروفي آلن غارسيا البرلمان على إقرار قانون المعهد المعدل والمتعلق بسندات الملكية. بعد ذلك راح السياسيون المحليون يتنافسون على الحظوة بشرف منح رخص الملكية لعشرات الآلاف من غير المالكين.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ نشر دي سوتو نتائج أبحاث المعهد في كتاب بعنوان "السبيل الآخر" تضمن اتهاماً صارخاً لحكومات العالم الثالث بالتدخل السلبي في اقتصاد بلدانها. فشاع الكتاب ولقي إقبالا شديداً وهز السياسيين ورجال الفكر في أنحاء أمريكا اللاتينية.

واليوم يواصل دي سوتو حملته الكبرى لتقليص البيروقراطية الحكومية.

يقول: "اني أعلم الآن لماذا نجد في العالم دولا فقيرة وأخرى غنية. نحن عالم من ١٦٩ دولة، خمس وعشرون منها فقط حققت نجاحاً على الصعيد الاقتصادي لأنها حدّت من امكانات تجريد المواطنين العاديين من ثمار صناعتهم وابداعهم. الجواب يختصر بكلمة واحدة: الحرية."

يوجين هـ. متفين ■

رب ضارّة نافعة

عملت مساعدة لرئيس شركة نفط كبرى. ومرة سئلت أن أعمل خلال عطلة نهاية الاسبوع كي يتسنى ارسال وثيقة جيولوجية مهمة بالبريد الى مقر الادارة العامة.

وعملت من الثامنة صباحاً الى السادسة بعد الظهر في يومي العطلة، وأرسلت الوثيقة بالبريد السريع.

وصبيحة الاثنين أخذني الذعر عندما وجدت المغلّف على مكتبي وقد أعيد لخطأ في العنوان. وإذ قررت أن أعترف بغلطتي الفادحة وهممت بقرع باب رئيسي، استدعاني عبر الهاتف الداخلي وسألني: "هل تعرفين طريقة لاعتراض البريد قبل توزيعه؟" والظاهر أن خطأ جسيماً في الحسابات اقترِف في التقرير المرسَل.

ومن دون أن أنبس بكلمة ناولته الظرف. فحدق اليه مذهولا ثم قال: "أعتقد أنها المرة الاولى تتضافر فيها غلطتان لتُنتجا عملا صحيحاً."

ج.إ.

بالونات طبية

مرض سائح كان يزور منطقة نائية في أمريكا الجنوبية. فسأل واحداً من أبناء البلد: "أريد أن أراجع طبيباً، فكيف أقع على واحد جيّد؟"

جاء الجواب: "هذا سهل، إذ كلما تسبب طبيب عندنا في وفاة مريض، يجبره القانون على تطيير بالون فوق عيادته."

فبدأ السائح بحثه. فوجد طبيباً طيّر ٤٠ بالوناً وآخر ٣٠ وهكذا أخيراً وقع على عيادة لا يرتفع فوقها الا خمسة بالونات، فدخل.

قال له الطبيب: "عليك أن تنتظر. فأنا مشغول جداً مع أنني بدأت ممارسة المهنة أمس."

هـ.ك.

المشاعر أفضل دواء!

أصحيح أن مشاعر الحب تحمينا من الزكام وأن التفاؤل يوقف السرطان أحياناً؟

أنت تستغلّين لحظة لتتمتعي بدفء الشمس على وجهك، وطفلتك تمد ذراعيها تريد ان تُحمَل، والثقة في ابتسامتها تدمع عينيك. إنها لحظات سعيدة بالتأكيد.[١] لكن العلماء الآن يعتقدون أن الامزجة الايجابية التي تولّدها هذه اللحظات قد تترك تأثيراً رقيقاً، ولكن ملحوظاً، في صحتك.[٢]

ثمة حقل جديد من الابحاث يدعى "علم التحصين النفسي العصبي" (١) يكشف رابطاً بين الدماغ وجهاز المناعة. على سبيل المثال، استنتجت دراسة طويلة الأمد(٢) ان المتزوجين النشطين اجتماعياً يعيشون عمراً أطول من المطلقين أو العزب الأقل نشاطاً.[١]

ويبدو أن الاتصال بالآخرين يساهم في تحسين الصحة وإطالة العمر. وفي الدراسة تبين أن الرجال الذين اشتركوا في نشاطات اجتماعية مرة في الاسبوع على الاقل عاشوا أطول من الذين لم يشاركوا.[١]

إن مشاركتك للآخرين في مشاعرك قد تساعد أيضاً. في العام ١٩٨٦ طلب العالم النفساني جايمس بنبيكر، في جامعة ميثوديست الجنوبية، من مجموعة طلابية أن تمضي بضع دقائق يومياً على مدى أربعة أيام في الكتابة عن أشد

---

(١) Psychoneuroimmunology

(٢) دامت عشر سنين وشملت ٢٧٥٤ شخصاً في ميشيغن وأجراها عالم الاجتماع جايمس هاوس.

الاحداث إيلاماً في حياتها. يقول بنبيكر في تقريره: "كتب أحدهم عن تعليمه أخته الإبحار. لقد غرقت في أول رحلة منفردة لها."

وبالمقارنة مع طلاب سئلوا أن يكتبوا فقط عن أشياء تافهة، تبين أن الذين كشفوا أسباب آلامهم كانوا أكثر سعادة وأحسن صحة في الأشهر الستة التي تلت الدراسة. وفي العام ١٩٨٨ أظهرت دراسة أخرى تضمنت تحاليل دم تحسناً ملحوظاً في عمل جهاز المناعة استمر ستة أسابيع. يقول بنبيكر: "من الواضح أن الإسرار الى شخص آخر قد ينطوي على فوائد جسدية ونفسية طويلة الأمد."[٣]

الحب يمنع الزكام؟ التفاؤل عامل صحي قوي آخر. منذ العام ١٩٣٧ لا يزال عدد من خريجي جامعة هارفارد يجيبون خطياً عن مجموعة أسئلة تتعلق بصحتهم العاطفية والجسدية. وفي العام ١٩٨٨ راجع العالم النفساني كريستوفر بيترسن من جامعة ميشيغن حياة ٩٩ رجلًا من هؤلاء فتبين له أن أولئك الذين كانوا الأكثر تشاؤماً في السن الخامسة والعشرين أصيبوا اكثر من غيرهم بأمراض حادة في سنوات الاربعين والخمسين والستين. ويستنتج بيترسن أن المتشائمين قد يصبحون سلبيين في وجه المرض ويتقاعسون عن الاعتناء بأنفسهم.[٤،٥]

هل يعني ذلك أن الموقف المتفائل ذو قيمة في محاربة الامراض؟

ظلت العالمة النفسانية ساندرا ليفي على مدى سبع سنوات في معهد السرطان بجامعة بيتسبرغ، تراقب ٣٦ أمرأة مصابة بسرطان الثدي في مراحله المتقدمة. ومع حلول العام السابع بقيت اثنتا عشرة امرأة منهن على قيد الحياة. وكان المؤشر الاساسي لحظهن في البقاء هو الفترة التي ظلت فيها كل منهن خالية من المرض بعد المعالجة. لكن العامل الذي احتل المرتبة الثانية في الاهمية فكان نسبة السعادة والفرح التي قيست بنقط حددتها مجموعة من الاسئلة.[٦]

يتابع العلماء في "وحدة الزكام" في ساليسبوري ببريطانيا دراسة هذا المرض الأقل خطورة وإن يكن لا يقل غموضاً. وتشير نتائج أبحاثهم إلى "امكان وجود علاقة بين العوامل النفسانية واصابات الزكام."[٧]

وأشار بعضهم الى ان قليلا من الحب قد يكون علاجاً مثالياً للزكام. يقول العالم النفساني ديفيد ماكليلاند وهو باحث في الطب العقلي – الجسدي: "عندما أشعر ببداية زكام أفكر في علاقات الحب والود. ليس الأمر واضحاً، لكنه يبدو مساعداً في معظم الاحيان."

ويستند ماكليلاند في مهنتة الى نتائج تمهيدية لدراسات أجراها عام ١٩٨٧ وأظهرت أن معدلات "غلوبولين المناعة اللعابي أ" (٣) الذي يحمي الجهاز التنفسي من العدوى ارتفعت لدى بعض الاشخاص الذين يتمتعون بمشاعر الحب.

روابط كيمائية. كيف لفكرة أن تؤثر في مرضك؟

لقد كشف علماء التحصين النفسي

(٣) Salivary immunoglobulin A

العصبي أدلة دامغة تثبت وجود اتصال بين الدماغ وجهاز المناعة. وفي أواخر السبعينات وجدت كارين بولوك، وهي حالياً مديرة برنامج التحصين العصبي في جامعة سان دييغو، الياقاً عصبية في الغدة الصعترية وهي عضو تحت عظم الصدر ينتج خلايا الدم المناعية أو خلايا «T»(٤). وفي عمل مشترك أنجز مؤخراً مع بولوك، حدد الطبيبان النفسانيان دنيس دراكو ومايكل إيروين وجود "لاقطات" على الخلايا تتلقى اشارات من الجهاز العصبي. كذلك عمد ديفيد فلتن من كلية الطب في جامعة رونشستر الى تقفّي خيوط عصبية أوصلته الى الغدة الصعترية والطحال والعقد اللمفية ومخ العظم، وكلها أجزاء من جهاز المناعة. وبما أن كل الاعصاب متصلة بالدماغ، فإن نتائج أبحاث هؤلاء العلماء تثبت وجود ارتباط واضح.

لقد استطاع البحث المستمر تحديد روابط كيميائية بين الدماغ وجهاز المناعة.[٣] ويجمع العلماء المعطيات نبذة نبذة، ويشيرون الى أن أجهزة أجسامنا متصلة بعضها ببعض. هنالك مئات من المواد البيوكيمائية القوية تحمل الرسائل ذهاباً وأياباً. هذه المواد، وكثير منها معروف بتأثيره القوي في المزاج والعاطفة، توفر مفهوماً "جزيئياً" للعلاقة المريبة بين الحال النفسية والحال الصحية.[٨]

في العام ١٩٨٧ أعلنت الباحثة كانديس برت وزميلها مايكل راف أن الكريات الوحيدة النواة، وهي خلايا مناعية تساعد على شفاء الجروح وتصلح الانسجة وتبتلع الجراثيم، هي حساسة تجاه "الببتيدات العصبية"(٥) وهي مركبات كيميائية تنتج في الدماغ. وهناك وجود كثيف للخلايا المنتجة للببتيدات العصبية في "الجهاز الهامشي"(٦) في الدماغ الذي يتحكم بالعواطف.[٦]

التفاؤل الشافي. كل ما توصلت اليه هذه الابحاث هو وجود ما يشبه الخطوط الهاتفية بين الدماغ وجهاز المناعة، تتلقى كريات الدم البيض بواسطتها الرسائل من الدماغ.

وعلى رغم المكتشفات الحديثة يبقى علماء كثيرون مشككين في الدراسات العقلية – الجسدية. في يونيو (حزيران) ١٩٨٥ نشر مقال افتتاحي في مجلة "نيو انغلند" الطبية المرموقة صنف الاعتقاد القائل بأن المرض يعكس مباشرة الحالات العقلية، على أنه "أدب شعبي."[٦] وعلى رغم ذلك تشير الدكتورة ماري آن فلتشر، مديرة مختبر علم التحصين السريري في جامعة ميامي، الى أن "بدأ الموضوع يؤخذ بجدية أكثر بعدما وضعه الباحثون قيد الاختبار."[٧]

قبل وقت قريب أجرت العالمة النفسانية في جامعة هارفارد هلن لانغر اختباراً على مجموعة من المرضى الذين خضعوا لعمليات جراحية. علمتهم أن يقوّموا تجربتهم في المستشفى بالتركيز على النواحي الايجابية عوض تقبل الألم

---

(٤) T — cells
(٥) Neuropeptides
(٦) Limbic system

كشيء لا مفر منه. هؤلاء المرضى استعملوا نصف كمية المسكنات التي استعملها أولئك الذين لم يتلقوا أي تحضير خاص، وخرجوا من المستشفى قبلهم بيومين.[٢]

وثمة برنامج اختباري آخر أداره كل من رونالد هربرمان مدير معهد السرطان في جامعة بيتسبرغ، وساندرا ليفي من المعهد ذاته، وجوديث رودين العالمة النفسانية في جامعة ييل. ركز هذا البرنامج على مصابين بالسرطان كان مرضهم في حال همود. وبما أن الاحتمال قوي في عودة ظهور السرطان، جُرِّب التدريب النفسي لتعزيز مقاومة المرض. أخضع ثمانية عشر مريضاً لبرنامج دام ثمانية أسابيع مارسوا فيه الاسترخاء وتغيير المعتقدات الهدامة للذات.

وأكتشف العلماء أن المرضى الذين اشتركوا في البرنامج نمت لديهم "خلايا قاتلة" طبيعية وناشطة أكثر من المرضى الذين لم يتلقوا سوى العناية الطبية المألوفة. وهذه "الخلايا القاتلة" تحمي الجسم من نمو الاورام.[٧]

ماذا يمكننا أن نتعلم من أولئك الذين يكشفون قيمة الافكار الايجابية؟

يقول العالم النفساني شلدون كوين: "التفاؤل قد يحسن نوعية حياتنا. والتحدي يكمن في اثبات أن الرجاء يؤثر فعلا في جهاز المناعة." وتوافقه العالمة بالاعصاب كارين بولوك قائلة: "ان البحث الدقيق المنظم لتحديد العلاقة بين العوامل النفسية وعمل المناعة قد يستغرق عدة سنوات، لكن الفوائد الكامنة ستكون هائلة."

Acknowledgments: 1. © 1989 by John Poppy. *Esquire* (May '89); 2. «The Healer Within: The New Medicine of Mind and Body,» © 1986 by Steven Locke, M.D., and Douglas Colligan, published by E. P. Dutton, New York; 3. James W. Pennebaker and Joan R. Susman in *Social Science & Medicine* (Vol. 26, N°. 3), © 1988 by Pergamon Press; 4. Steven Locke, M.D., in *Longevity* (November '88), © 1988 by OMNI International, Ltd.; 5. Bruce Bower in *Science News* (July 23, '88), © 1988 by Science Service, Inc.; 6. Daniel Goleman in New York *Times Magazine* (September 27, '87), © by The New York Times Co.; 7. Daniel Goleman in New York *Times* (April 20, '89), © 1989 by The New York Times Co.; 8 © 1989 by Stephen S. Hall. *Smithsonian* (June '89).

في الهواء سواء

في فجر يوم ماطر وضعنا جيادنا في الشاحنة وتوجهنا الى معرض الجياد الاصيلة. وفي الطريق توقفنا أمام محطة وقود. فسألَنا رجل كان متوقفاً هناك لتعبئة سيارته: "الى أين أنتم ذاهبون بهذه الجياد؟" فأجبت: "الى المعرض."

فقال مستغرباً: "أنتم معشر مربي الخيل مجانين اذ تذهبون الى مكان كهذا في يوم ماطر!"

فسألته: "وأنت ماذا دعاك الى الخروج باكراً في مثل هذا اليوم البغيض؟"

أجاب: "أنا ذاهب للصيد!"

ج.أ.س.

مَحْفَظة الأَصْوات

يضم الارشيف الوطني للاصوات في لندن تسجيلات رائعة من سنين وذكريات عابرة

عندما كانت كلير هول، خبيرة الصوت في محطة تلفزة يوركشير ببريطانيا، تمحّص الاصوات التي تنسجم مع مشاهد ملتقطة في جزيرة شمال صقلية، وجدت أن أفضلها هو عزف زيزان الحصاد في شمس الظهيرة.

وللحصول على أصوات تلك الزيزان الايطالية اتصلت كلير من مكتبها في مدينة ليدز بـ"الارشيف الوطني للاصوات" في لندن. وما عتمت أن تلقت شريطاً مسجلا. وحين عرضت التمثيلية على التلفزة في احدى أمسيات الشتاء أضفت جوقة زيزان الحصاد جواً مثالياً لحرارة الشمس الحارقة.

كان اتصال كلير واحداً من ألف تقريباً تستجاب كل اسبوع في مركز الارشيف الكائن في بناء جميل وعريق بالقرب من متنزه هايد بارك.

"هل يمكنني الاستماع الى الشاعر البريطاني ألفرد تنيسون يلقي قصيدته: "هجوم فرقة الخيالة؟"

– يمكن تدبر الامر.

"هل لديكم نشيد قتالي لقبائل الزولو في جنوب افريقيا؟"

- تعال واختر ما يعجبك.

"أريد أن أسمع صوت سيارة فورد القديمة من طراز T."

- الامر سهل جداً.

"هل سجل أحد صوت الجنين في الرحم؟"

- طبعاً!

كل صوت مسجل في العالم موجود على الارجح في الارشيف الوطني للاصوات. واذا أردت التفتيش عن شريط مسجّل أو أسطوانة فونوغرافية يصعب الحصول عليها، ففي امكانك الاستعانة بخبرة المسؤولين في مركز الارشيف. وما عليك إلا أن تُعلم برغبتك قبل بضعة أيام، فتقصد المركز وتستمع مجاناً الى ما تريده من موسيقى بيتهوفن أو الـ"بيتلز" أو صفير الحوت أو صوت نيل آرمسترونغ من القمر: "خطوة صغيرة لرجل، قفزة عملاقة للبشرية." أو التعليق على السبّاح أدريان مورهاوس الذي ربح ميدالية ذهبية في الألعاب الاولمبية الاخيرة في سيول.

جلست ذات صباح الى طاولة في غرفة الإستماع، فعشت ثانية عطلتي الصيفية لدى سماعي الضجة والهرج المفرح في أحدى الاسواق المزدحمة بايطاليا. وكان نحو عشرة زائرين آخرين مستغرقين في الاستماع الى اختياراتهم الخاصة، منها أوبرا بولونية، وقاطرات بخارية تندفع متثاقلة عبر جبال روكي وخطاب الملك البريطاني ادوارد الثامن لدى تنازله عن العرش. واكتفى احدهم بسماع أصوات الطيور لنصف ساعة فيما أمضى آخر كل النهار يستمع الى مرافعات الدفاع في محاكمات مجرمي الحرب العالمية الثانية في نورمبرغ بألمانيا.

ان الارشيف الوطني للاصوات هو بيت كنوز. ولديه تسجيلات من أنحاء العالم تشمل ٧٥٠ ألف أسطوانة فونوغرافية و٥٠ ألف ساعة من الاشرطة المسجّلة، وهي أكبر مجموعة من نوعها في أوروبا. وفيه أيضاً نسخ طبق الاصل من معظم محفوظات هيئة الاذاعة البريطانية (BBC) الكبيرة الخاصة ترجع الى العام ١٩٢٢. وكثير منها يختاره الامناء التسعة الذين ينفذون تسجيلات لمجموعاتهم المختصة. بينيت برغونزي، مثلا، المسؤول عن التأثيرات الصوتية الصناعية والميكانيكية، يعمد الى التقاط أصوات تراوح بين صرير طواحين الهواء وشفط محركات الجرّ.

وينمو الارشيف بسرعة فائقة. فتتكدس الاسطوانات في الأقبية المكيفة بالهواء وعلى رفوف محشوة. ويتلقى المركز نحو ٤٠٠٠ منها كل شهر من شركات التسجيل الكبرى وحدها. وينهال فيض من التبرعات. فقد أوصى هاو أمريكي للارشيف بـ١٥ ألف أسطوانة كلاسيكية، وسلّم راديو نوتنغهام ٥٠٠٠ أسطوانة شعبية حين كانت الطبقة الاولى حيث حفظت هذه الاسطوانات مهددة بالانهيار.

أداءات أسطورية. يعكس الارشيف كل مظاهر المجتمع. فيه فقط تقدر أن تعود عبر السنين وتستمع الى أصوات العظماء في اللحظات التاريخية. فذلك الصوت المتهدج هو صوت توماس إديسون

مخترع الفونوغراف في العام ١٨٧٨ وهو يسجّل أغنية "ماري كان لديها حمل صغير" في فونوغرافه، وكان يوجه إنشاده داخل المذياع فيما يدير أسطوانة مغطاة برقاقة من التنك ترسم عليها إبرة ذبذبات الكلمات.

وهذه فلورنس نايتنغايل بصوتها الذي سُجّل على الشمع في العام ١٨٩٠ تنشد: "ليبارك الله رفقائي في بالكلافا ويرجعهم سالمين الى شواطىء بريطانيا." ويأسف وليم غلادستون العجوز لأن صوته "هو بقية أرغن أنهكه الاستعمال المفرط."

والباحثون من جميع الفئات يقصدون الارشيف، بمن فيهم المؤرخون ومخرجو الاذاعة والتلفزة وعلماء الاجتماع وصانعو الافلام وعلماء الطبيعة. وكان الكاتب فرنسيس سبالدنغ يتردد كثيراً على الارشيف أثناء تأليفه كتاباً عن سيرة ستيفي سميث. ويقول: "إن سماعها تقرأ قصائدها يبعث في النصوص حياة."

ولعشاق الموسيقى يوفر الارشيف مجموعة غنية خاصة. فعازف الفيولونسل جوليان لويد ويبر يستخدمه ليجد قطعاً فريدة يزيدها على ذخيرته من الالحان الموسيقية ولدراسة الاداءات السابقة للاعمال التي يعكف على تسجيلها بنفسه. ويصفه بأنه "منجم ذهب خالص."

بين الكنوز أداءات أسطورية لم تلتقط على أسطوانات بل سجلت مباشرة من الاذاعات. ويأتي قادة الفرق الموسيقية ليقابلوا بين نسخ القطع الكلاسيكية المختلفة. فلدى المركز ١٥٠ تسجيلا للسيمفونية الخامسة لبيتهوفن. وهم يستمعون الى المؤلفين يعزفون قطعهم بأنفسهم، ومن بينهم براهمز الذي سجل عزفه الملهم لاحدى "الرقصات الهنغارية" على أسطوانة سمعية في العام ١٨٨٩ ثم نقلت الى أسطوانة فونوغرافية بعد ٤٥ سنة. والنسخة الأصلية في متحف برلين أتلفت خلال احدى الغارات الجوية.

وفي امكان واضعي موسيقى الافلام المتشوقين لاصوات جديدة أن يستمعوا الى آلات موسيقية غير عادية مثل جمجمة الحيوان المدرَّع (الأرماديلّو) تطلق صفيراً، وناي من عظم جناح البجع تستخدمه قبيلة "كونا" في كولومبيا. كل ما هو موسيقي يصلح للاقتناء في أدراج الارشيف.

"أهذا صوتي؟" ان بحث رجل واحد عن أسطوانة هو الذي أدى الى تأسيس الارشيف الوطني للاصوات. ويتذكر باتريك سول (٧٥ عاماً) كيف أنه، قبل ٥٠ سنة، وجد نفسه عاجزاً عن شراء "سوناتا" على الكمان وعزم على أن يستمع اليها في المتحف البريطاني.

لكنه دهش لدى اكتشافه عدم وجود دائرة التسجيلات الموسيقية في المتحف. فاتصل بمدير المتحف "من كشك للهاتف وناقشه منددا بالأمر فأجابه المدير بلطافة: لا بأس بفكرتك، ولكن عد الينا حين تكبر وتزداد خبرة."

ولكن خلافا لنصيحة المدير عمل سول خلال العقدين التاليين على نشر فكرته، وكسب مؤيدين من امثال كومبتون ماكنزي ويودي مينوهين في سبيل انشاء

مجموعة مستقلة. وفي العام ١٩٥٥ أسس "معهد الصوت المسجّل" في مركزه الحقيقي الاول، وكان معظم موجوداته من التبرعات الخاصة.

وقدمت الحكومة تشجيعاً بمنحة من الخزينة. وفي العام ١٩٨٣، بعد خمس سنوات من تقاعد باتريك سول كمدير، تم الاعتراف بأهمية المركز من طريق دمجه في "المكتبة البريطانية" واعطائه اسماً جديداً هو "الارشيف الوطني للاصوات."

ومن التسجيلات التي حصل عليها سول قراءة السير هنري إرفينغ قصيدة عن رجل مجنون بعد أسابيع فقط من إكمال توماس إديسون فونوغرافه. وارتاع ارفينغ لدى سماعه تسجيل صوته وهتف: "يا إلهي! أهذا حقاً صوتي؟"

وكما حصل بالاسطوانات الشمعية الكثيرة التي سجّل عليها العظماء في العهد الفكتوري أقوالهم، سُجّلت لقية سول على أسطوانة فونوغرافية قبل أن يدبّ اليها التلف.

وقد حقق مدير الصيانة الحالي في الارشيف بيتر كوبلاند انجازات مدهشة من طريق برنامج الكتروني متطور لتنقية الخدوش والاصوات السطحية. وقد يكون لهذا تأثير دراماتيكي، فقد لقّم الدماغ الالكتروني خطاباً لبرنارد شو سجل عام ١٩٣٦ على أسطوانة مكسورة في ثلاثة أماكن، فأنتج شريطاً لا عيب في تسجيله هو أفضل من التسجيل الأصلي.

صوت الملكة. في بعض الأحيان يثبت أن أحد الكنوز ليس في الحقيقة كما يبدو للعيان. فهناك تسجيل نادر يعتقد أنه رسالة فونوغرافية بعثت بها الملكة فكتوريا الى امبراطور الحبشة مرفقة بتعليمات صارمة لاتلافها بعد الاستماع اليها. لذا تعاظمت الاثارة حين تقدمت احدى السيدات بأسطوانة قالت انها محفوظة منذ أجيال لدى عائلتها وانها من دون شك تسجيل لصوت الملكة.

لكن جوناثان فيكرز القيّم على الآثار الأدبية المسجّلة رأى أن فحوى التسجيل فارغ من أي معنى. فالمتكلمة أشارت الى "أبي الأمة ومليكها" مما يصعب انطباقه على الامير ألبرت. لكن البحث في محفوظات قصر وندسور أثبت أن تلك كانت رسالة الملكة ألكسندرا الى الأمة يوم وفاة زوجها الملك ادوارد السابع عام ١٩١٠، لكن الصوت في الاسطوانة خلا من لكنة ألكسندرا الدانمركية المميزة.

ويبدو أن احدى الممثلات سجّلت الرسالة لسبب لا يعرفه أحد. وتقول احدى النظريات بأن الاسطوانة كانت ستوضع داخل تمثال للملكة ألكسندرا في أحد متاحف الشمع.

ويختص الارشيف بالتسجيلات المسرحية، فتستمع الى صوت سارة برنار عبر قرن والى صوت جون غليغود من العام ١٩٣١. وفي المحفوظات ما يزيد على ألف من التسجيلات المسرحية الحية، وهي تشتمل على أعمال المؤلفين الجدد في مهرجان ادنبرة وعلى كل تمثيلية لمسرح شكسبير الملكي والمسرح الوطني منذ ١٩٦٣، سجلها خبراء الارشيف التقنيون.

وتشتمل المجموعة على انتاج أجنبي أيضاً، منه ١٤ عملا من مسرح موسكو للفن وتمثيليات من مسرح "نوه" في اليابان

يبدو للاذن غير المتدربة أن فيها كثيراً من أصوات النخر.

وفي الارشيف أيضاً دائرة خاصة باللغات وأخرى للهجات المحلية، وذلك نعمة للممثلين الذين يتدربون على أداء لهجة معينة، اذ ان في امكانهم اعادة الشريط والاستماع الى التسجيل مرة بعد مرة. ومن السهل أيضاً ارضاء اللغويين الذين يطلبون أمثلة على بريطانيين يتكلمون لغات أخرى غير الانكليزية. والأرجح أنهم سيسمعون مارغريت تاتشر تتكلم الالمانية أو ونستون تشرشل يكسِّر الفرنسية. وقد لبَّت هيئة ادارة الارشيف طلب أحد الكماليين الذي سأل: "اذا وُلد امرؤ في جزر الهند الغربية وجاء الى الطرف الشرقي من لندن وهو في الثامنة من عمره وأمضى ست سنوات في مانشستر ثم عاد بعدها الى لندن، فكيف تكون نبرته؟"

جميع الحيوانات. ان نطاق الأصوات الصافية التي يقدمها الارشيف الوطني للاصوات يكاد لا يحدّ. ففي امكانك الاستماع الى صوت البوق من قبر توت عنخ آمون، أو الى نقيق الضفدع ذي القوائم الشبيهة بالمجارف وضفدع الـ"بوبلبونك" - وهما اثنان فقط من ٥٠٠ نوع من الضفادع سجّلت أصواتها ضمن مجموعة رائعة من الحياة البرّية تشمل ٦٠٠٠ نوع.

ان نشاط الارشيف يشمل جميع مناطق العالم. وفيه تسجيل لنهيق طائر البطريق في القطب الجنوبي وصياح قردة الغيبون في ماليزيا وضحك طائر بوقير في بورنيو وحتى غناء العندليب مترافقاً مع الفيولونسل في احدى حدائق ساري عام ١٩٢٤ والذي ربما كان أول تسجيل لاصوات الحياة البرية. وهناك أشرطة تسجيل كثيرة بارزة تبرع بها هواة ماهرون، مثل ذلك الرجل من كومبريا الذي نفذ تسجيلا كلاسيكياً لمحادثة بين أنثى الكروان وصوصها وهو داخل البيضة.

وتتكدّس طلبات الاستعلام على مكتب القيّم رون كيتل: يطلب متحف الجنس البشري في لندن صوت غابات المطر الاستوائية في الأمازون لاستخدامها خلفية لمعرض كبير. ولمهرجان حديقة غلاسغو الذي نظمت ادارته امتحاناً للاولاد يؤمن كيتل أشرطة تسجيل لاصوات حيوانات الحديقة مثل الشحرور والنحلة والجُندب والقنفذ والوطواط والذبابة.

يمدّ كيتل يده وينزل عن رف أحد أشرطته المفضّلة، ويدعو زواره لكي يحزروا ما الصوت الذي يسمعونه على الشريط. لكن أحداً منهم لم ينجح الى الآن. فقد تعتقد أنه صوت طائر نقّار أو ربما صوت زورق بخاري سريع، لكنه في الواقع أحد تلك التسجيلات الرائعة وغير المتوقعة التي تجعل من الارشيف الوطني للاصوات ذلك المكان الفذ. فأين يمكنك، غير هنا، أن تتنصّت على سمكة قُد تنادي زوجاً؟

بيتر براون ■

"الارشيف الوطني للاصوات" مفتوح للعموم من الاثنين الى الجمعة بين التاسعة والنصف صباحاً والرابعة والنصف عصراً (التاسعة مساء أيام الخميس). والتسجيلات خاضعة لاتفاقات حقوق النشر، ولا تعطى الا لمؤسسات.

أخبار العالم

مطاردة القنابل القديمة

كشفت صور فوتوغرافية قديمة بمساعدة الادمغة الالكترونية، النقاب عن آلاف القنابل غير المتفجرة التي لا تزال مطمورة في المانيا.

فخلال الحرب كانت قاذفات القنابل تغير يومياً على المدن الالمانية. ولكن من كل ٤٠ قنبلة تنفجر كانت هناك واحدة تقريبا تُطمر في الارض على عمق ثلاثة امتار، غير انها بعد ان يُتلف مقداحها تنفجر تلقائيا.

وبحث العلماء طويلا عن طريقة سهلة لاستكشاف هذه الاشراك المفخّخة، فوجدوها في صور استكشافية قديمة للحلفاء وفي الكومبيوتر المتطوّر.

عندما يتفحّص الباحثون الصور بالعدسات المكبِّرة يستطيعون تعقُّب مسار القنابل المقذوفة. فهذه تنصبّ فوق الهدف على شكل صفّ من النقاط المتفجرة. وكل فراغ في سلسلة القنابل المنفجرة يدل على قنبلة لم تنفجر.

وتنحصر المشكلة اذاً في المطابقة بين الصور الفوتوغرافية الجوية والخرائط الحديثة لشوارع المدن. فالصور غالباً ما كانت تؤخذ بزوايا منحرفة، ومعظم المعالم الظاهرة فيها لم تعد موجودة.

اتى الحل على يد هانس مول استاذ الهندسة في معهد شتوتغارت للعلوم التقنية. ويحتاج الباحثون الى تحديد ثلاثة اشياء في الصورة لا تزال موجودة مثل الجسور او البيوت، فيتمكن برنامج الكومبيوتر الذي طوره مول من مطابقة كل نقطة اخرى في الصورة مع الخريطة الحديثة. والى الآن توصل الباحثون الى تعيين مكان نحو ٦٥٠ قنبلة جرى اقتلاع اكثر من ١٥٠ منها.

صحيفة "يو إس نيوز اند ورلد ريبورت"

نفنافتان توأمتان

اكتشفت نانسي نايت من "المركز الوطني لأبحاث الاحوال الجوية" في بولدر بولاية كولورادو، أول زوج متطابق معروف من ندائف الثلج.

"هذا مستحيل،" قال زوجها وزميلها في البحث، شارل نايت، عندما رأى النديفتين التوأمتين. لكنهما كانتا هناك، أمامهما، جنباً الى جنب، على شريحة زجاجية (سلايد) عرضت خلال طيران مخصص للابحاث فوق ووسو بولاية ويسكونسن.

تبدو نديفتا الثلج، البالغ طول الواحدة منهما عُشري مليمتر، مثل عمودين مجوفين في الوسط كزهريتين. ويقول تشارلز نايت إن بلوغهما شكليهما المتطابقين "ناجم عن تشابه كبير جداً في قصة تكوينهما" في أثناء تراكم المياه الجليدية عليهما وهما تمران في طبقات الهواء البارز.

وكالة "أسوشييتد برس"

صرخة الحياة

الكفاح قوة أبعد من الرجاء عنيدة مثل تدفق ينبوع

□ بدت هلن كأنها تملك كل شيء. كانت امرأة ناشطة اجتماعياً، متزوجة استاذاً جامعياً وأماً لشابين. ثم أصيب زوجها تيد بسكتة دماغية (فالج) خطيرة أثرت في توازنه وتركته عاجزاً عن التكلم بوضوح. واذ كانت هلن غير قادرة على تحمل تكاليف العناية بزوجها في مستشفى فقد عادت به الى البيت.

لقد انهار عالم هلن، لكنها لم تستسلم. وبدل ذلك ابتكرت طرقاً بارعة لمساعدة زوجها على التكيف مع حياته في كرسي المقعدين، وألفت كتاباً عن تجربتهما لتشجيع الآخرين الذين يعانون المصيبة ذاتها. وقبل كل شيء، حرصت على ابقاء زوجها جزءاً من الحياة. فاصطحبته الى الحفلات الموسيقية والمسرحيات وحتى في رحلة بحرية الى جزر البحر الكاريبي. وعلمته أن يمشي قليلا وأن يتكلم بوضوح أكثر. وظل الاثنان يحلمان برحلة طالما تمنياها الى أوستراليا.

□ ترعرع سيدني في جزيرة كات في

ILLUSTRATION: PAUL ROGERS

الباهاما. وفي السادسة عشرة من عمره هاجر الى مدينة نيويورك ومعه ثلاثة دولارات وسنة ونصف سنة من التعليم المدرسي. وهناك كان ينام على سطح احدى البنايات ويعمل في غسل الصحون.

وعلى رغم أنه لم يكن يعرف شيئاً عن مهنة التمثيل فقد استجاب لإعلان "المسرح الزنجي الأمريكي" الذي كان في حاجة الى ممثل. وعندما لم يتمكن سيدني من قراءة جميع كلمات النص المسرحي قاطع المخرج تجربته قائلا: "أنت تهدر وقتي يا فتى."

مشى الشاب خارجاً وهو أكثر تصميماً من أي وقت مضى. اشترى جهاز راديو وأمضى ساعات يستمع الى أصوات الناس محاولا اللّفظ بوضوح كما يفعلون. وفي المطعم حيث كان يعمل تعرّف الى نادل ساعده على القراءة. وبعد فترة وجيزة عاد سيدني الى "المسرح الزنجي الأمريكي" وأقنع مسؤولين هناك بأن يسمحوا له بأخذ دروس في التمثيل. وهو عقد العزم على أن يصبح، ليس فقط أفضل الممثلين الزنوج في العالم، بل أفضل الممثلين قاطبة. إنه سيدني بواتييه، وقد قطع شوطاً بعيداً في تحقيق طموحه(★).

هؤلاء هم الاقوياء المكافحون للبقاء. أشخاص يجدون أنفسهم في ظروف قاسية فيتغلبون عليها بشجاعة. تواجههم الامراض والفواجع، ويمنون بالاحزان والخيبات، ويعاملون بظلم أو يخدعون. ومع ذلك يستمرون، بل يجبهون محنهم وأحزانهم بطرق تغني حياتهم وتضفي عليها معنى أعمق.

اكتشف الباحثون ان لتجارب الحياة شأناً أقل كثيراً من نظرة الانسان اليها وتأثره بها. ان الاقوياء المكافحين يبدأون تعلم البقاء قبل ظهور الأزمات. وإذا ما تبنينا نظرتهم الخاصة الى الحياة امكننا جميعاً أن نتعلّم كيف نتخطى الازمات:

اجعلوا من السعادة عادة. إن المكافح من أجل البقاء يتمتع بالحياة حتى عندما تنبت المصاعب كما الشوك بين الأعشاب. انه يعيش يومه بما يأتيه، سواء أكان مليئاً بالحزن أم بالفرح أم باليأس أم بالمفاجآت. وعندما لا يستطيع تحقيق نصر كبير يتمتع بالأشياء الصغيرة. ويبدو انه يعلم أين يبحث عن ومضة فرح ولحظة جمال وتبصّر.

حتى الناجون من معسكرات الاعتقال تحدثوا عن بعض الملذات القليلة: مغيب متوهّج، شجيرة عليق الى جانب الطريق حيث كانوا يعملون، أمسية ظلوا فيها ساهرين لمشاهدة نور القمر منبعثاً من بين الاشجار بعد نهار شاق. ان هذه لَقوة أبعد من الرجاء، عنيدة مثل تدفق ينبوع.

أعرف امرأة مسنة أخبرها طبيبها أنها مصابة بسرطان في العظم. فعوض الاستسلام للمرض مضت تسافر من بلد الى آخر. حضرت كل ما تسنى لها من مسرحيات واشتركت في مجلات كثيرة. وفي الثمانين من عمرها تزوجت من جديد. وقد تخطت توقعات طبيبها بأشواط. وهي تقول أن ليس هناك ساعات كافية في اليوم لتفعل كل ما ترغب فيه.

(★) نال جائزة "أوسكار أفضل ممثل" عام ١٩٦٣.

يملك المكافحون نوعاً من القدرة على الحياة وجموحاً للافادة منها حتى الثمالة. لكل لحظة قيمة عندهم. وهم يجدون في كل يوم فرحاً مهما يكن ضئيلا.

يقول العالم النفساني نتانيل براندن: "ان العذاب أسهل النشاطات الانسانية. أما الفرح فهو أصعبها." وهذا صحيح. ليس من إنسان يولد سعيداً. كل فرد يصنع سعادته الخاصة.

تقبّلوا التغيير. معظمنا يحب القاء اللوم على شخص آخر عندما تأتيه المصاعب. لكن المكافح لا يفعل شيئاً من ذلك. ان التغيرات والمصاعب ستحدث لا محالة، شئنا أم أبينا. في حياتي الخاصة يريحني أن أتذكّر أنني كلما اقتربت سابقاً من كارثة "غير معقولة" أصبحت هذه الكارثة "معقولة." إذاً، تقبّلوا التغيير من دون تذمر، ولكن بشوق قويّ للتعلم منه. عندما تتمزق حياتنا تعود فتلتئم بأنماط جديدة والأمر الذي بدا مصيبة قد يتحول أفضل شيء حدث لنا.

لا تستسلموا. على رغم خوف المكافح والعوائق التي تقف في طريقه، فانه يفعل ما يجب فعله.

كان صوت بيل غارغان الأداة الرئيسية لمهنته كممثل. ثم أصيب بالسرطان وفقد حنجرته. في البدء كان يائساً، "ولكن لا يمكنك ان تهدر حياتك بالاسف على نفسك" كما كان يقول. وهو جاهد سنوات ليتعلم الكلام ثانية حتى بات في امكانه إلقاء الخطب. بعد ذلك أمضى بقية حياته وهو يساعد الآخرين أمثاله.

ان المحاولة لا تنجح دائماً في إبعاد الكارثة، لكنها تخفف من وطأتها وتعطي شعوراً هائلا بالرضى. لا تسألوا: "هل أخفقت؟" بل إسألوا: "ماذا أفعل بعد؟"

إتصلوا بالآخرين. قبل مدة ركبت سيارة أجرة. كان السائق لطيفاً وودوداً وساعدني في حمل الكتب والرزم. شكرته وسألته عما اذا كان يتمتع بعمله. فأجابني: "حالياً لا." وشرح لي كيف أن زوجته توفيت قبل أسبوع بحادث سيارة. دهشت لكياسته على رغم ألمه العميق. فقال ببساطة: "أنت لست مسؤولا عن وفاة زوجتي، فلماذا أحمّلك آلامي؟"

يحرص المكافح على الاحاطة بالآخرين. وهو يطلب المساعدة فوراً عند الحاجة الماسة، الا أنه لا ينثر آلامه على الآخرين. هو يؤمن بأن متاعبه تساعده في إدراك صعوبات الآخرين.

المكافح معطاء. كتب الشاعر الفرنسي بول فاليري: "إن قيمة الحب الحقيقية هي في الحيوية الزائدة التي يولدها." وقد وجد باحثو جامعة ديوك (كارولينا الشمالية) ان أحد أفضل مؤشرات الصحة والسعادة والعمر المديد هو النزعة الى الاتصال بأشخاص أبعد من حدود العائلة. عندما تهددكم أحزانكم بالقهر فكروا في طريقة لمساعدة الآخرين.

عيشوا في الحاضر. أعرف امرأة في الستين من عمرها عاشت طفولة بائسة وما زالت غارقة في التأسف على نفسها. لم يسعها البقاء في وظيفة ولا المحافظة

على صديقة حميمة. تقول ميلدريد نيومن وبرنارد بركوفتز في كتابهما "كيف تكون أفضل صديق لنفسك": "تكمن الحياة في التمويه عن الذهن والكف عن الشكوى." وهما يحذران من اننا اذا صرفنا طاقاتنا على الغضب من أشخاص خيَّبونا في ما مضى فلن تبقى لدينا طاقة لتخطي ما نعانيه اليوم.

ويضيف فريدريك بوتشنر في كتابه "الظلام الجائع": ليس في مقدور أي منا أن يعيد الماضي أو يقولب المستقبل. اليوم وحده ملكنا، ولن يكون لمدة طويلة. ومتى مضى فلن يكون ملكنا ثانية أبداً."

لا تخشوا أن تحلموا. أصيب تيري كينغ بالعمى نتيجة قذيفة انفجرت في وجهه عندما كان في الخدمة العسكرية. كان بيته قريباً من الشاطىء، وطالما حلم باقتناء زورق آلي. ولكن كيف يبني ضرير زورقاً؟ وجد كينغ متطوعاً في "رابطة خدمة الضرير" قبل ان يقرأ له كتاباً عن بناء المراكب ويسجل القراءة على اشرطة.

وبعد استماع تيري الى الأشرطة المسجلة تمكن من بناء زورق بلغ طوله عشرة أمتار في فناء منزله. وعلى رغم انه ظل في حاجة دائمة الى من يقوده فقد كان سعيداً لأن بناء الزورق كان "التحدي الأكبر الذي يمكن أن يواجهني."

في كتاب "ارادة الحياة" يقول الدكتور آرنولد هاتشنكر: "يسعى الناس الى القيام بواجباتهم من دون ملل متى كانوا يصبون الى هدف ويؤمنون بما هم فاعلون." ان "سترة نجاة" المكافح محوكة بأشياء خالدة يحيط بها نفسه، كالكتب والموسيقى والايمان والاهداف والاحلام. قبل سنين كثيرة قرأت عبارة ساحرة لم أعد اذكر كاتبها: "حاولت أن أمشي من دون حلم، فتعثرت ووقعت."

ليس سهلا أن يكون المرء مكافحاً، لكن الكفاح يستحق المحاولة. اذا استطعنا ان نعيش حياتنا حسناً في الآلام والمصاعب والخيبات، واذا تمكنا من استخدام جميع مواهبنا وكل شجاعتنا، فسينبثق انجاز ذو شأن كبير يضاف الى الخير العام.

هذا التوق الى قهر المصاعب وتخطي الضعف الشخصي قاد الانسانية عبر تاريخها الطويل. انه صرخة البطولة داخلنا جميعاً.

أرديس ويتمن ■

رسالة شكر

بعد مشاهدة مسرحيتنا الجامعية المخصصة للاولاد تلقينا مئات من رسائل الشكر. واتت رسالتي المفضّلة من ناقد فني واعد في الصف الابتدائي الثالث، كتب: "لقد أحببت المسرحية. كانت أفضل مسرحية شاهدتها على الاطلاق. انها المرة الاولى أحضر مسرحية."

م.س.ك.

المملكة المنسية

تحت سماء رحبة تهجع الحياة البرية مع الابرار والابطال

كان والد زوجتي رجلا اسكوتلندياً نموذجياً حريصاً، وكان لا يصحح لدى غير الاسكوتلنديين اعتقادهم أن مسقط رأسه نورثمبرلند ليس الا كومة ركام. كان يقول لي ضاحكاً: "ان ريفنا سرّ محفوظ جيداً، ونريد أن نبقيه كذلك."

حتى في وقتنا الحاضر يعتقد السياح المتوجهون الى اسكوتلندا ان نورثمبرلند هي رقعة من الطرق المحفرة في منطقة نيو كاسل على نهر التاين. فيسرعون بسياراتهم عبر أقصى مقاطعة شمالية في انكلترا. مفوتين على أنفسهم مشاهدة أرض عجيبة من التاريخ الرومنطيقي والمناظر الخلابة. تمتد هذه المقاطعة من مستنقعات آلندايل وأوديتها شمالا الى "كيلدر ووتر" وهي أكبر بحيرة من صنع الانسان في أوروبا الشمالية، فالى تلال تشافيوت التي تعلو ٨٠٠ متر على الحدود الاسكوتلندية.

قلعة بامبورغ.

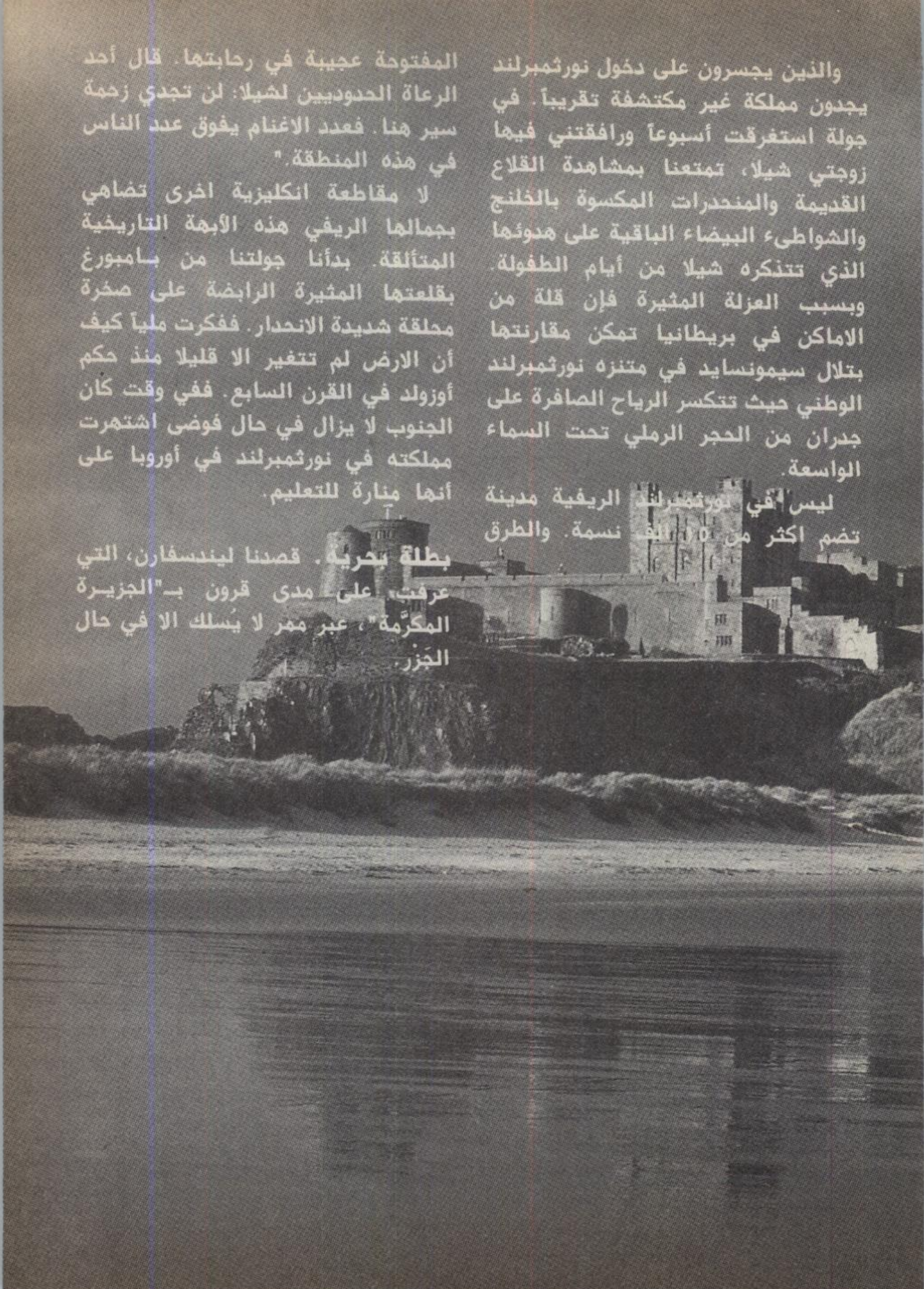

والذين يجسرون على دخول نورثمبرلند يجدون مملكة غير مكتشفة تقريباً. في جولة استغرقت أسبوعاً ورافقتني فيها زوجتي شيلا، تمتعنا بمشاهدة القلاع القديمة والمنحدرات المكسوة بالخلنج والشواطىء البيضاء الباقية على هدوئها الذي تتذكره شيلا من أيام الطفولة. وبسبب العزلة المثيرة فإن قلة من الاماكن في بريطانيا تمكن مقارنتها بتلال سيمونسايد في متنزه نورثمبرلند الوطني حيث تتكسر الرياح الصافرة على جدران من الحجر الرملي تحت السماء الواسعة.

ليس في نورثمبرلند الريفية مدينة تضم اكثر من ١٥ ألف نسمة. والطرق المفتوحة عجيبة في رحابتها. قال أحد الرعاة الحدوديين لشيلا: لن تجدي زحمة سير هنا. فعدد الاغنام يفوق عدد الناس في هذه المنطقة."

لا مقاطعة انكليزية اخرى تضاهي بجمالها الريفي هذه الأبهة التاريخية المتألقة. بدأنا جولتنا من بامبورغ بقلعتها المثيرة الرابضة على صخرة محلقة شديدة الانحدار. ففكرت ملياً كيف أن الارض لم تتغير الا قليلا منذ حكم أوزولد في القرن السابع. ففي وقت كان الجنوب لا يزال في حال فوضى اشتهرت مملكته في نورثمبرلند في أوروبا على أنها منارة للتعليم.

بطلة بحرية. قصدنا ليندسفارن، التي عرفت على مدى قرون بـ"الجزيرة المكرَّمة"، عبر ممر لا يُسلك الا في حال الجَزْر.

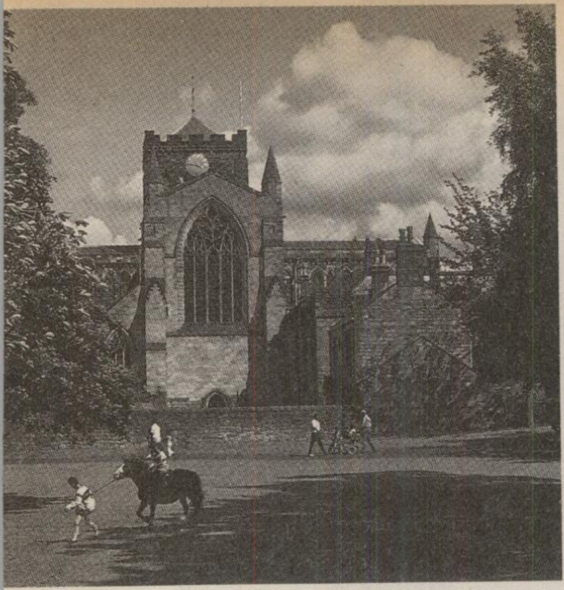

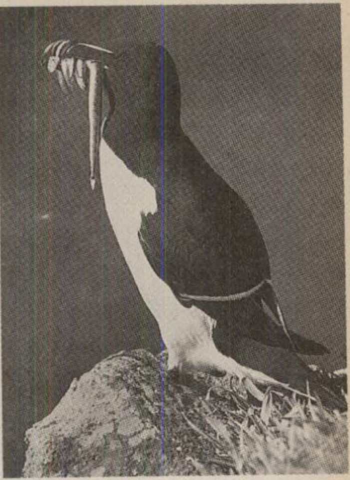

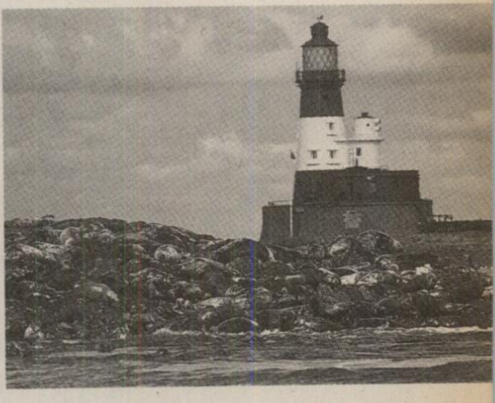

وجزر فارن القريبة التي يملكها "الصندوق الوطني" هي اليوم ملاذ لطيور البحر، تماماً كما كانت عندما جعلها الراعي سان كوثبرت موطنه. "لقد قال إن بط العيدر يجب ان يكون له مكان حيث لا يطاله أذى الانسان. كان أول حماة الطبيعة." هذا ما قاله القيِّم بيتر هوكي بينما كنا ننطلق بزورق آلي من سيهاوسز التي تبعد ثلاثة كيلومترات الى الجنوب من بامبورغ.

شرح لنا هوكي أن "الصندوق الوطني" حدد عدد السياح بعدما وجد أن الزوار يزعجون الطيور أثناء تفقيسها ويهددون بقاءها. وعلى جزيرة سان كوثبرت الخاصة، فارن الداخلية، شاهدنا طيور النورس والبفن والغلموث وأبي موسى

PHOTOGRAPHS: SIMON WARNER; BRITAIN ON VIEW; ADRIAN DAVIES / BRUCE COLEMAN; ROBERT GILLMOR / BRUCE COLLMAN

(فوق، من اليمين) طائر أبي موسى جائع في جزر فارن التي يحميها "الصندوق الوطني"؛ صرح هكزهام. (تحت، من اليمين) منارة لونغستون ومجموعة من الفقمات الرمادية؛ برج ايلسدون الذي يعود الى القرن الرابع عشر.

وهي تبني أعشاشها. قال هوكي: "قبل عشر سنين كان نصف هذا العدد من الطيور يعشش هنا. اما اليوم فإن هذا المكان مدينة للطيور البحرية."

لقد شهدت جزر فارن بعض حوادث تحطم السفن في زمانها. فقبل مئة وخمسين عاماً ساعدت غرايس دارلينغ أباها القيّم على منارة لونغستون في التجذيف بمركب ذي كوثل (مؤخر) أبتر على غرار مراكب الصيد التي ما زالت شائعة في نورثمبريا، مسافة كيلومترين عبر أمواج متلاطمة كالجبال للوصول الى الباخرة "فورفارشاير" التي انشطرت على صخرة "بيغ هاركار."

قال لنا ديريك كالدروود أمين متحف غرايس دارلينغ في بامبورغ: "اعتقدت غرايس ووالدها أن ليس من زورق انقاذ يستطيع الابحار في تلك العاصفة الهوجاء. والحقيقة ان زورقاً وحيداً تمكن من الوصول الى الحطام، ولكن بعدما كان آل دارلينغ انتشلا الناجين التسعة جميعهم."

الرسوم المعروضة في المتحف تروي مأثرة غرايس التي جعلت منها بطلة وطنية. فقد كتب الشاعر البريطاني وليم واردزوارث قصيدة تكريماً لها، ومنحت خمسين جنيهاً وظهرت على مسرح "أدلفي" في لندن، كما تلقت عشرات العروض للزواج.

أرض القلاع. لدى توغلنا في المنطقة بدأنا نكتشف تاريخ نورثمبرلند المضطرب الحافل بالغزوات ونزاعات الحدود. في كل قرية قلعة مهدمة، وبعض القلاع أبراج تُجمع الحيوانات في طبقاتها السفلى عند اقتراب المغيرين الحدوديين ويقفل السكان الابواب ويمكثون في الطبقة الاولى. وأخبرنا الرائد طوم بايكر - كرسويل صاحب برج "بريستون" المبني في العام ١٣٩٢: "أظهرت دراسة حدودية أجريت في العام ١٤١٥ وجود ٣٧ قلعة و٧٨ برجاً."

أرانا الغرفة التي أعيد بناؤها في القسم العلوي من البرج والتي يكسو أرضها بنات السمّار. قال: "هنا كانت العائلة تقفل على نفسها وتمكث عدة أيام أحياناً. وكان المغيرون يشعلون ناراً في نبات السرخس الرطب ليجبروا سكان البرج على الخروج هرباً من الدخان. واذا ما تم الامساك بالمغيرين كانوا يشنقون غالباً أو يُفرض على عشيرتهم دفع فدية."

أقوى الحصون في نورثمبرلند قلعة آنيك التي تلقب "وندسور الشمال." وهي حمت آل برسي، المعروفين اليوم بأدواق نورثمبرلند، منذ انتقلت الى اللورد برسي الاول في العام ١٣٠٩ وجدرانها ذات الفتحات منقطة بتماثيل حجرية لرجال مسلحين كأنهم جنود يقومون بالحراسة.

سرنا في طرق آنيك الهادئة، فوصلنا الى المبنى حيث صنع شقيقان أولى صنانير صيد السمك الشهيرة عالمياً والمعروفة باسم "هاوس أوف هاردي." أخبرنا مدير التسويق جايمس هاردي

كيف ابتكر جده وليم صنارة "هاردي" المصنوعة من خيزران تونكن: "في زمانه كان الامريكيون يصنعون أفضل الصنانير. لكن وليم وشقيقه جون جايمس طلبا من نجار محلي ماهر أن يصمم صنارة تبز الصنانير الامريكية جودة. شق النجار قضيب خيزران عمودياً ستة أقسام وسحجها بعناية لاكسابها قوة أكبر، ثم جمعها بالغراء من جديد. وعندما تحدى جون جايمس الامريكيين في مباراة لرمي الصنانير، فاز عليهم بفارق كبير."

بين آنيك والبحر توقفنا لنتمشى في حدائق هوويك هول الظليلة، حيث حدثتنا الليدي ماري هوويك عن جدّ شهير. كان الايرل غراي مهندس "وثيقة الاصلاح" للعام ١٨٣٢. قالت لنا: "سمي شاي ايرل غراي على اسمه. كان مزيجاً خاصاً طلبه له السفير الصيني ليلائم ماء هوويك."

كرسي السلام. تذكرت شيلا طبقاً شهياً كانت تتناوله في صباها وهو سمك كراستر المدخن. لذلك قصدنا قرية كراستر الصغيرة القريبة من أطلال قلعة دانستانبرغ التي كان يملكها جون أوف غونت، وقد رسمها الفنان البريطاني جوزف ترنر سبع مرات. وهي تربض على منحدر صخري شاهق كأنها فك عملاق.

وجدنا الشقيقين آلن وكين روبسون يوقدان ناراً في نشارة خشب السنديان وقشارة الخشب الابيض في اثنين من بيوتهما الثلاثة المشادة قرب المرفأ والمخصصة لتدخين السمك. قال لي آلن: "نستطيع تدخين ٢٥٠٠ سمكة رنكة في اليوم في بيت واحد. لكن تدخين سمكة سلمون واحدة يستغرق يومين اذ علينا أن نترك النار تخمد. اننا نلوّن بالدخان وليس بالاصباغ."

تحولنا صوب البر وقصدنا كراغسايد بالقرب من روثبري، ضيعة أحد صناعيي القرن التاسع عشر اللورد أرمسترونغ سيد الاعمال الهندسية العظيمة والتحصينات العسكرية وأحواض بناء السفن في تاينسايد. كان أرمسترونغ رائداً في حقل التقنية الهيدروليكية، فملأ كراغسايد بعجائب العهد الفيكتوري مثل مصعد وسفّود للشواء يعملان بقوة الماء من بحيرة تقع فوق مستوى المنزل. كذلك كانت الكهرباء المولدة بالطاقة المائية تضيء المصابيح المتوهجة التي سبقت المصابيح (اللمبات) المستعملة في يومنا والتي اخترعها رجل آخر من تاينسايد هو السير جوزف سوان.

أُهمل جهاز أرمسترونغ المولد للطاقة عندما وُصل المنزل بخط الكهرباء الرئيسي عام ١٩٤٥. لكن الآلات حفظت بفضل "الصندوق الوطني" ويستطيع الزوار ان يتجولوا في حجرات الضخ وتوليد الطاقة.

عبرنا وادي وانزبك ووقفنا ننظر بدهشة الى الجدار الروماني الذي بناه الامبراطور هادريان في القرن الثاني والذي لا يقارن به أي شيء آخر. ثم نزلنا الى منطقة وادي تاين الاكثر لطافة. على ضفة النهر في وايلام تفحصنا درب السكة الحديد التي اختفت الآن والتي كانت عربات الاحصنة تسلكها لنقل الفحم الحجري من المناجم في وايلام الى نيوكاسل. هنا ولد في العام ١٧٨١ أحد

أعظم أبناء نورثمبرلند، وهو جورج ستيفنسون رائد القاطرة البخارية.

يقول القاطن الحالي في الكوخ ويدعى غراهام برويس: "أتخيله وهو يراقب العربات ويفكر - حتى عندما كان صبياً صغيراً - في أنه لا بد من وجود طريقة لنقل الفحم أفضل من متون الجياد."

كنا أبقينا آخر صباح لنا في المنطقة للبلدة التجارية الصغيرة هكزهام بصرحها العظيم. قال لنا الدليل جورج جونسون: "ان اجزاء من هذا المبنى تعود الى ما قبل قدوم وليم الفاتح."

أراني السرداب الذي يعود الى القرن السابع والمبني بحجار مأخوذة من مستوطنة كورستوبيتوم الرومانية (كوربريدج اليوم) والكرسي الحجري المعروف بـ"كرسي السلام" وقد كان ملجأ للهاربين. شرح لنا جونسون: "كان على الهارب أن يجلس في الكرسي ليعطى الامان. وبعد ذلك يصبح في مأمن من ملاحقيه."

هاكزهام أعادتنا الى زمان كوثبرت وتعليمه اللطيف في زمن كانت نورثمبرلند شمعة في الظلام. قلت في نفسي: لعل هذه الارض، أرض الابرار والابطال، لديها رسالة لنا اليوم في مداها الرحب وتلالها الهادئة وسمائها الواسعة.

أنطوني براون ■

مسمار أكيد

كنتُ أجمع أغراضاً من القبو لبيعها في السوق السنوية للادوات المستعملة عندما فاجأتُ زوجي وهو يرمي قدوماً قديماً في سلة المهملات. ولما استرجعت القدوم قال لي: "لن يشتريه أحد، فالجزء المشقوق الخاص بنزع المسامير مكسور."

فتحديته قائلة: "هل تريد أن تراهن؟"

وتصديقاً لقولي كان القدوم أول ما بيع من الاغراض.

ولم يستطع زوجي ضبط نفسه فسأل المرأة التي اشترته: "لماذا ترغبين في شراء قدوم بلا رأس لنزع المسامير؟"

فحدجته بنظرة صارمة وأجابت: "عندما أغرز مسماراً، لا أنوي أبداً انتزاعه من مكانه!"

ك.ج.ب.

عريس مشتاق

في نهاية حفلة زواج مترفة بقي المصوّر وقتاً طويلاً وهو يحاول جمع العائلات لأخذ الصور مع العروسين. وأخيراً قال: "الان أود أن أرى العروس وحدها."

فهتف العريس وقد عيل صبره: "وأنا كذلك."

أ.و.

مأساة واقعية

أسيرُ الكلابِ البرّيّة

لاذ الرياضي الجريح بشجرة صنوبر وقبع الكلبان المفترسان تحتها مكشرين بأنياب جائعة

وسط أجمة من الأغصان المتشابكة على قمة التلة كان الكلبان البريان نائمين. فجأة انتصبت الآذان الأربع الصغيرة على وقع أقدام ثقيلة. كان الكلبان جائعين وقد مضى وقت طويل منذ أكلا أخيراً. انهما شرسان ومدربان على القتل على يدي أحد تجار المخدرات الذي كان يستخدمهما لحراسة ممتلكاته. وبعد هروبهما من صاحبهما قبل شهرين راحا يجوبان المنطقة وفق هواهما، وكانا أجربين جائعين وجاهزين للانقضاض على أي شيء يتحرك.

وكان لديهما العتاد اللازم: عينان لوزيتان باردتان ورأس كالاسفين وفكان قادران على الاطباق بقوة هائلة.

وقبل يومين فقط كان سكان الجوار أبدوا تذمرهم من كلاب برية تفتك بحيواناتهم الأليفة وتهددهم أحياناً.

ها هي الخطوات تقترب. وثب الكلبان وانتصبا متحفزين على قوائمهما القصيرة القوية وأخذا يتشممان الهواء.

ILLUSTRATIONS: DAVID BECK

أشرقت الشمس في ذلك الصباح الذهبي الدافىء في التاسع عشر من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨. كان جوني فورد، عمدة مدينة توسكيجي (ألاباما) ذو الشعبية الواسعة، يمارس رياضة الجري. والرجل في السادسة والأربعين من العمر، رياضي مديد القامة. وكان يلبس سترة زرقاء فضفاضة أنيقة ويعدو مستمتعاً وهو يتنشق الهواء النقي عميقاً. انه يعز هذه اللحظات القصيرة التي يعدو فيها وحيداً لأنه، يستطيع خلالها أن يفكر ويخطط ويصلي ويقوي نفسه لمواجهة المشاكل التي تنتظره دائماً في مكتبه.

في ذلك الصباح سلك فورد درب التلة المرتفعة فوق الجانب الشرقي لبحيرة توسكيجي حيث يسكن هو في حي راق. وفيما هو يتجه صعوداً على الطريق المشجرة الشديدة الانحدار كانت الغابات الظليلة تحيق به من كل صوب.

وفي منتصف الطريق تمنى فورد لو أنه سلك درباً أسهل. لكنه اعتاد أن يقسو على نفسه. فقد كان أبوه يردد دائماً على مسمعه: "يا بني، إذا أحسست بسهولة أمر ما فهذا يعني أنك لا تبذل جهداً كافياً."

والحقيقة أن "أباه" كان عمه تشارلي، و"أمه" كانت العمة تنيسي. لقد تبنياه كابنهما الوحيد وهو طفل. كان تشارلي يعمل ممرضاً في مستشفى وكانت تنيسي تعمل خادمة وطاهية. وعلى رغم أنهما أميان ومنزلهما وضيع وذو غرفتين، فقد أمنا له فرصاً لم تسنح لهما أبداً. حرصا على أن يصبح أول ولد في الحي يتعلم الأبجدية، وأن يكون صاحب ألمع الأحذية وأرتب السراويل. وألحقاه بفوج الكشافة وأرسلاه الى مخيمات صيفية.

كان جوني في السن الثالثة عشرة عندما قرأ كلمة "عمدة" على نصب برونزي في مدخل حديقة توسكيجي العامة. كان محظراً على الاولاد الزنوج دخول الحديقة آنذاك. فقال محدثاً نفسه: "لا بد أن العمدة شخصية مهمة جداً ليستطيع ابقاء جميع ابناء شعبنا خارج هذه الحديقة. سأصبح عمدة عندما أكبر لكي أسمح للجميع بالدخول." هكذا بدأ الحلم. وقد شجعه أبواه على بذل كل جهده للوصول.

وأصبح فورد العمدة الزنجي الاول لهذه المدينة المزدهرة التي يبلغ عدد سكانها ١٥ ألفاً وهي مركز جامعة توسكيجي التي بقيت لأجيال محوراً لتقدم أبناء عرقه. وبجهد اضافي أصبح الرئيس المؤسس لـ"مؤتمر العمدات العالمي" وهو منظمة تضم ١١٠٠ عمدة من ٣٣ بلداً.

فيلم مرعب! وصل فورد الى قمة التلة وهو يتنفس بجهد. وفي تلك اللحظة خرج الكلبان عن يمينه هاجمين من بين الشجيرات. البلترير! لم يكن ثمة وقت أكثر من لمحة بصر رأى فيها جسمين قويين، واحداً بنياً وآخر رمادياً، يندفعان صوبه بسرعة البرق وهما يزمجران. وثب الكلبان كنمرين وكادا يطرحانه أرضاً، لكنه تنحى متجنباً الهجمة العنيفة.

على الفور وثب الكلبان ثانية. لاقاهما فورد مباعداً بين قدميه، وهذه وقفة متتالية تعلمها في الكاراتيه. خطا جانباً ولكم رأس الكلب البني وهو يثب عليه،

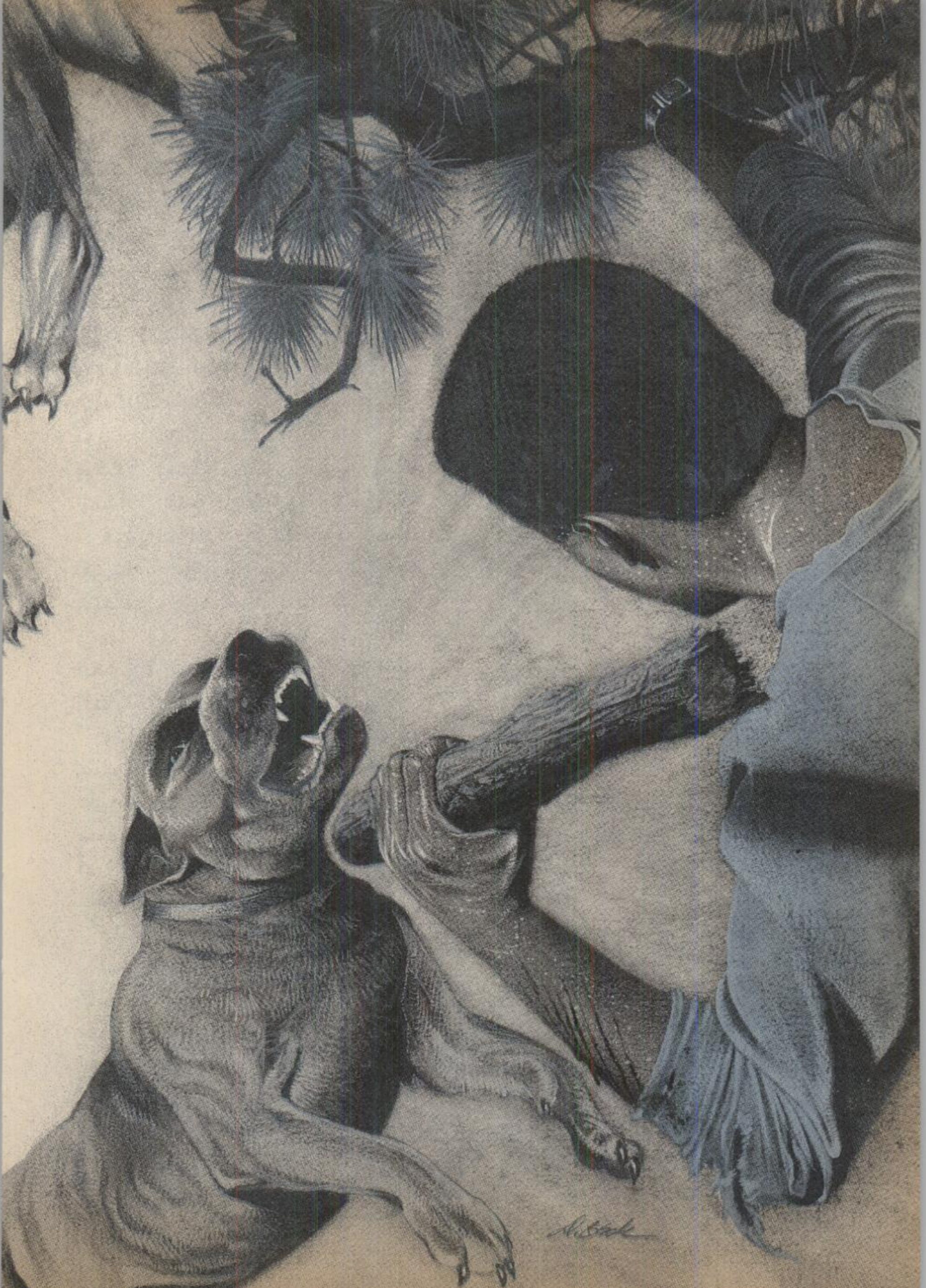

ثم رفس الكلب الرمادي وهو يقفز عليه وطرحه أرضاً.

هجم الكلبان تكراراً وهما يحاولان النيل من عنق فورد. ولم يكن لضرباته أي تأثير. إنهما بلا إحساس، مثل كلبين آليين.

كان فورد سمع ان هذه الكلاب تقاتل لساعات من دون أن تصدر أنّة ألم حتى عندما تتشوه الى حد يتعذر معه التمييز بينها. ولم تكن مرت دقيقة واحدة بعد. وكلما وجه ضربة الى أحدهما وثب الآخر وأنشب فيه أسنانه. وراح الدم ينز من سرواله، وكان طعمه يدفع الكلبين الى اهتياج أعنف.

صد فورد هجوماً مسعوراً آخر وهو يتمايل على ساقيه الواهنتين. فجأة، بدأ الكلبان يتقاتلان بوحشية.

أسرع فورد الى أقرب شجرة كبيرة وكانت على مسافة ستة أمتار، لكنه لم يكن سريعاً كفاية فتمكن منه الكلبان وأطبقا على عقبي قدميه. قفز يائساً الى شجرة صنوبر يابسة وأخذ يتسلقها، فانكسرت الشجرة وسقط هو داخل صنوبرة أخرى نحيفة أخذت تميل ببطء نحو الكلبين المنتظرين. ففكر فورد: مستحيل أن يحدث هذا. انه مشهد من فيلم مرعب.

تابعت الشجرة انحناءها حتى تدلت قدما فورد مترين فوق الأرض. وثب الكلب البني وغرز أسنانه عميقاً في رجله اليمنى قرب الركبة. فشهق فورد عندما تدفق الدم من جرحه.

عندئذ أدرك تماماً ما ينتظره: ان هذين الوحشين يريدان هلاكي حتماً. وهذا الادراك ملأه غضباً عارماً وألهب جسده. هبط الى الأرض وأخذ يهر ويخور مثل الكلبين، ومضى يرفسهما ويضربهما صارخاً: "اذا أردتما أن تقتلاني فسوف أموت وأنا أقاتل."

"النجدة! النجدة!" حال العشب النامي دون وثوب الكلبين بحرية للتمكن من ضحيتهما. ولشدة استيائهما انبريا يتعاركان مجدداً. هذه المرة تمكن فورد من الهروب الى صنوبرة كبيرة. وعلى رغم عرجه حاول تسلق جذعها الضخم. لكن وثبة من الخلف مكنت الكلب الرمادي من الإطباق على رسغه الأيمن. أطبقت الأسنان على العظم وتعلق الكلب بقدم فورد وهو يدور ويثب في الفضاء محاولا تمزيقها. كان الألم شديداً.

كافح فورد للتخلص من الكلب. وأخيراً، بفضل جوربيه الصوفيين الثقيلين، أفلت الوحش وسقط. ونجح فورد في الوصول الى غصن كبير يعلو عن الأرض بضعة أمتار. هناك تلاشى على جذع الشجرة. وتبعه الكلبان متسلقين بجهد شجيرة الى جانب شجرة الصنوبر. ومن هناك هجما مراراً وكادا ينالان منه.

وبعد فترة عاد فورد الى رشده وانتقل الى الغصن التالي بعيداً عن مرمى الكلبين. هدأ مطارداه، لكنهما اتخذا لهما نقطة حراسة في أسفل الشجرة. أحس فورد دواراً في رأسه نتيجة النزف في رجله. وكان سرواله منقعاً بالدم. ففكر: لا يمكنني أن أجلس هنا حتى أغيب عن

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

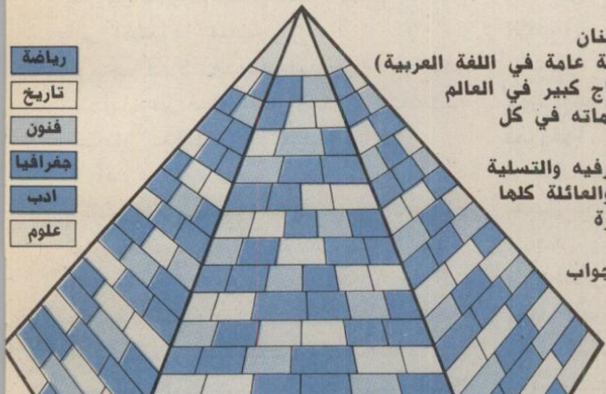

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
ت : ٩٣٦٧٧٠ (٠٩) - تلكس: LE ٤٥٤٠٠ AJAKKA
التوزيع في لبنان: شركة بلايتايم Playtime ت : ٤١٤٤٦٧

الوعي وأسقط. يجب أن أفعل شيئاً.

باجتهاد وكد تسلق الى قمة الصنوبرة المهترئة وأخذ يصرخ. "النجدة! النجدة! كلاب برية!" في البدء راح يصرخ في اتجاه منزله حيث زوجته تاس على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر، ثم تحول بصوته في اتجاه الريح نحو حي مارابيل الذي يبعد ٤٠٠ متر.

فجأة تملكه خوف جديد. ماذ لو هوجم أحدهم وهو يحاول انقاذي؟ نظر الى ساعته وكانت تشير الى التاسعة والدقيقة العاشرة. ماذا لو بقيت هنا حتى الثالثة، موعد انتهاء المدرسة، فيأتي الاولاد الى هنا للعب؟ لنفترض أن زوجتي تاس وأولادي علموا أنني لم أصل الى المكتب وخرجوا للبحث عني؟ أخذ يرتجف. كان جوني (١٧ عاماً) وكريستوفر (١٢ عاماً) فتيين شجاعين لكنهما وادعان. أما ابنته تيفاني فلا تتجاوز السادسة.

في تلك الاثناء قرر أن يتابع الصراخ طلباً للنجدة وأن يتابع قتال الكلبين. ربما استطاع إتعابهما.

نزل ببطء على الشجرة وقطع منها قضيباً ثم انحنى من غصن متدن وأخذ يهز القضيب أمام الكلبين ويضرب به في اتجاه أعينهما كلما حاولا الوثوب عليه. ومع كل ضربة كانت الفكوك القوية تطبق على القضيب فيهزه بعنف للتخلص منهما. وكاد يقع من الشجرة غير مرة.

"هل معك سلاح؟" قرابة العاشرة والربع وصل نتانيل لونغ، وهو مزارع في التاسعة والستين من عمره، الى منزل جودي كرايتون في مارابيل لاعادة خرطوم مياه سبق أن استعاره منها. وكانا يتحدثان عندما سمع لونغ نداء استغاثة ضعيفاً حملته هبة ريح آتية من التلة.

قال: "هناك شخص في ورطة." وركض نحو سيارته. وعلى رغم أنه كان نيقاً في ما يختص بسيارته الـ"بويك" المدللة فقد قادها وهي تتخبط في السهل الوعر وصعد التلة متوجهاً نحو الغابات.

مرت على فورد ساعتان ونصف ساعة وهو يصارع آسريه، وبات متعباً جداً. وعلى رغم أنه ضربهما بشدة على رأسيهما وأكتافهما فلم يبن على الكلبين أي انزعاج. كانا واقفين ونظرهما مسمر عليه وهما جاهزان لتقطيعه هو أو أي كائن آخر يصادفهما.

فجأة رأى فورد سيارة زرقاء تثب في السهل وتتجه نحوه. وتوقفت على بعد نحو ٧٠ متراً منه وترجل منها رجل أخذ يلوح بيده.

صرخ فورد: "كلاب متوحشة! عد الى سيارتك. هل معك سلاح؟"

صاح الرجل متراجعاً: "نعم، لدي مسدس."

ولالهاء الكلبين شن فورد أصعب هجوم على الاطلاق. هبط الى أسفل الشجرة. فبدأ الكلبان على الفور يثبان عليه ويعضانه.

تحركت السيارة بتثاقل واقتربت أكثر. وتناول لونغ مسدسه من تحت المقعد واستند الى النافذة وأطلق عدة رصاصات. خر الكلب البني على الارض نافقاً، أما الرمادي الذي جرح فهم بالهرب داخل الأشجار.

همهم فورد: "لا، لن تهرب." كان يخشى أن يهاجم الكلب الجريح شخصاً آخر يلتقيه. فأخذ المسدس من لونغ ومضى يترنح داخل الأشجار الصغيرة متعقباً الكلب. وصرعه بطلقة كانت الأخيرة.

ارتمى فورد على جذع شجيرة وهو يتنشق بعمق وقال لمخلصه: "لن أستطيع أبداً أن أشكرك كفاية. أنني لمحظوظ بالبقاء حياً."

لكنه كان يعلم أن بقاءه كان أبعد من الحظ. ربما أذعن شخص غيره للخوف واستسلم ببساطة. وراح يفكر: كان أبي محقاً عندما قال لي: "أبذل مزيداً من الجهد وستنجز أفضل مما اعتقدت أن في وسعك انجازه.

عولج جوني فورد من جروح بالغة في ساقه ومن خدوش في أنحاء جسده. وأرسل الكلبان الى مختبر بيطري حيث تبين خلوهما من داء الكلب. وبعد بضعة أشهر عاد فورد يمارس رياضة الجري.

آلن رانكن ■

أخت الرجال!

رقّيت امرأة في شركة الى وظيفة مشرفة عامة، فصعب على العمال القدامى من الذكور قبول سلطتها. وفيما كانت تعطي أحد هؤلاء المرؤوسين تعليماتها قاطعها قائلا: "يا ابنتي، أنا كبير كفاية لكي أكون والداً لك."

فردت: "وأنا كبيرة بما فيه الكفاية لكي أكون مشرفة عليك!"

ج.د.

بسيطة!

بصفتي طبيباً، كلفتني احدى شركات التأمين فحص طالبي التأمين على حياتهم لديها. ويتعين علي أيضاً أن أستقصي سبب كل وفاة في محيطهم العائلي المباشر. وذات يوم لم يتذكر أحد الزبائن سبب موت والده، فأكد لي بهدوء: "أنا واثق بأن السبب لم يكن خطيراً أبداً."

م.م.

من أعراض المراهقة

شعرت باحباط وخيبة إثر أحد خصاماتي اليومية مع ابنتي المراهقة، فتنهّدتُ وقلتُ لها: "يا عزيزتي، بالامس كنا نتضاحك ونسَرّ بالرفقة التي بيننا، فماذا دهانا يا ترى؟"

فجاء جواب ابنتي مباشراً من القلب: "لقد تغيرتِ يا ماما!"

م.أ.

تعمل السلطات الصحية في الفيلبين على احياء التطبيب الشعبي باشراف علمي حديث

عودة طبِّ الأعشاب

تحت جدران صرح "كيابو" العملاق في احد الاحياء التجارية القديمة في مانيلا عاصمة الفيلبين، سوق فريدة يحتشد فيها الباعة حول عربات صغيرة ملأى بأوراق خضراء وقشور لحاء شجر وجذور ذات عقد وغير ذلك من مواد علم الصيدلة الطبيعي. فاذا كان المارّ رجلا ناداه البائع: "سيدي، اليك دواء لحصى الكلية." أما الامهات فيسمعن: "سيدتي، هذا علاج للمولِّدات." وتنال الشابات نصيبهن إذ يفاجأن بهمسات عالية تروّج لمادة مستخلصة تعالج مشاكل عدم انتظام الدورة الشهرية. وهذه المنتجات مستخرجة من شعيرات أكواز الذرة ومن الفشاغ (نبتة معترشة) ومن المكابوهاي (كرمة مرّة) وهي اكثر المواد بيعاً.

خلال موسم الاعاصير بين يوليو (تموز) وسبتمبر (أيلول) يروج بيع عقاقير الـ"سامبونغ" والـ"لاغوندي" لمعالجة السعال والزكام، والـ"ييربا بوينا" للحمى والقشعريرة والزكام أيضاً. أما أوراق الـ"سابيلا" العصارية فتعالج الحروق وتساقط الشعر، وتتكفل نبتة الـ"أتيس" بطرد الشر. والباعة لا يجمعون هذه النبتات، بل يشترونها من الموزعين القادمين الى مانيلا من القرى ومن أماكن نائية كمدينة باغيو التي تبعد ٢٤٠ كيلومتراً شمالا.

السيدة روزا هيلاريو (٦١ عاماً) هي من أكثر باعة كيابو خبرة. وهي تزود كل شار ارشادات لاستعمال العلاج العشبي. سألتها سيدة مسنة عن علاج لالتهاب المفاصل، فهتفت هيلاريو: "آه، سبعة سبعة!" وناولتها رزمة أوراق ملفوفة شارحة لها طريقة الاستعمال: "هذه سبعة أنواع من الاوراق. أضيفيها الى سبعة أكواب ماء واغليها بضع دقائق واشربي منها أربع مرات أو خمساً في اليوم." أما الثمن فسبعة بيزوس (٣٣ سنتاً).

مصنع رائد. على بعد ثمانية كيلومترات جنوباً، قريباً من طريق حديث في بيكوتان، يقع مجمَّع "دائرة العلوم والتكنولوجيا." هناك، في مصنع من طبقة

واحدة، يجلس عمال يرتدون بزات موحدة وأقنعة واقية، يصنفون الاعشاب الطبية بأيديهم ويطحنونها ويقرصونها لتتحول حبوباً بنية ضاربة الى الخضرة توضع في زجاجات معقمة. وهذه الحبوب أدوية معيَّرة ومحددة الجرعات تم اختبارها طبياً.

هذا المصنع الرائد في بيكوتان تشغّله دائرة الصيدلة الصناعية في جامعة الفيلبين وتشرف عليه ناتيفيداد دي كاسترو ومديرة المشاريع الاستاذة ليتيسيا بانييز - غوتييريز. وتؤمّن النباتات من طريق جامعة سنترال لوزون الرسمية وكلية الزراعة التابعة لجامعة الفيلبين في لوس بانيوس. ويعمل المصنع كنموذج لمعملي التصنيع العشبي التابعين لدائرة الصحة ولمعملين آخرين يشيدان في ليتي وكاغايان. ولكل معمل مزرعة خاصة به تزرع فيها النبتات الطبية والشجيرات والشتول التي تؤمنها كلية الزراعة في جامعة الفيلبين. يقول الدكتور كينتين كينتانار الامين المساعد لدائرة الصحة: "اننا نرسي استعمال العقاقير التقليدية على أسس علمية."

ويعتبر تصنيع الادوية العشبية جزءاً من السياسة الجديدة التي رسمها عام ١٩٨٧ وزير الصحة الدكتور ألفريدو بنغزون. وقبل العمل بهذه السياسة كانت الخدمات الصحية في الفيلبين محصورة في المدن. وكانت العقاقير التجارية المستوردة محدودة جداً وباهظة الثمن بالنسبة الى الطبقة الفقيرة.

وقد وجد الدكتور بنغزون أن ٤٣ في المئة من المدفوعات السنوية على الادوية المستوردة للرعاية الصحية الاولية والبالغة ٨،٦ ملايين دولار تصرف على أدوية لأمراض عادية، كالاسهال والانفلونزا والزكام والحمى يسهل علاجها بواسطة اعشاب طبية تنبت في الفيلبين.

أعشاب شافية. الفيلبين غنية بالاعشاب الطبية. وقد بذلت جهود كثيرة طوال سنين لانتاج الادوية العشبية على نطاق وطني. وقرر الدكتور بنغزون تعجيل البرنامج، فحضّ المصانع الاقليمية على الانتاج. وها قد بدأ مصنع كوتاباتو ينتج أقراص "لاغوندي" لمعالجة السعال والربو.

الـ"تسانغ غوبا" (١) شجيرة خضراء داكنة اللون هي في الواقع نبتة "الشاي البري" وتنمو في أنحاء آسيا. استعملت طوال قرون في الصين لمعالجة الاضطرابات المعوية. ويمكن استعمال أوراقها الصغيرة المتفتحة لتحضير الشاي. أما الاوراق الكبيرة فتصنّع أقراصاً. ولم يكتشف العلماء بعد العنصر الفاعل في هذه النبتة الشافية من الاسهال، مع أنهم يشتبهون باحتوائها على مركّب شبه قلوي (ألكالويد).

الـ"لاغوندي" (٢) شجيرة بسيطة ذات أوراق خماسية عطرة رمحيَّة الشكل. وهي تضاهي الاسبيرين ويمكن استعمالها كمسكن وضابط للحرارة ومخفف للسعال.

كذلك وافق "مجلس التنمية والابحاث الصحية" في الفيلبين على انتاج

(١) Ehretia microphylla
(٢) Vitex negundo

الـ"ييربا بوينا" (٣) وهي عشبة زاحفة عطرة تعرف بالنعناع وتضاهي الادوية التجارية المسكنة للالم.

كما وافق المجلس على انتاج الـ"سامبونغ" (٤) وهي عشبة خشبية تستعمل كمدرّ للبول. وأوصى المجلس، اجمالا، بثمانين نبتة للاستعمال الطبي متوافرة في الفيلبين، لكن أربعاً منها فقط قيد الانتاج الآن.

ولطالما عرفت الفيلبين "مطببين" قرويين يعالجون الامراض بواسطة الاعشاب. وتقول عالمة الانتروبولوجيا لاندا جوكانو: "يعتقد بعضهم أن في الطب الشعبي كثيراً من الخرافة. لكن المرء لا يصبح مطبباً شعبياً من دون تمرين. ففي مسقط رأسي في جزيرة باناي يتعين على المطبب الشعبي دراسة أكثر من مئتي نبتة من حيث أوراقها وأزهارها وموسم قطفها ووظائفها ووسائل استعمالها."

قبل خمس وعشرين سنة كان طبيب عصري في الريف يحاول خفض حرارة طفلة مريضة باعطائها أدوية صيدلانية. فقدمت اليه امرأة عجوز حزمة من جذوع الموز المقطعة والناضحة بالماء كبديل من الثلج الذي لم يكن متوافراً. فهبطت حرارة الطفلة وتم انقاذها. وفي وقت لاحق أعطى الطبيب الحزمة لاستاذة في مادة الفيزيولوجيا، فحلل جذع الموز ووجد أنه يحتوي على ثقوب كثيرة تسمح للماء بالانتشار على مساحة كبيرة حتى اذا تبخر ترك تأثيراً مبرداً منعشاً.

إن الاطباء عموماً يتجاهلون المطببين الشعبيين أو يسخرون منهم ومن طرقهم البدائية وغير الصحية أحياناً، علماً أن ليست ثمة رقابة على مواصفات عقاقيرهم فلا يتسنى للمرء أن يتأكد من مدى فاعليتها. كما أن السوائل التي يستخرجونها بالغلي تصبح عرضة للتغير بعد ثمان وأربعين ساعة، في حين أن الاقراص المصنّعة يمكن حفظها سنة على الاقل.

من ناحية ثانية، وجد الاختصاصيون بعلم العقاقير في جامعة الفيلبين أن الوسائل التقليدية ناجعة في حالات عدة. مثلا، تنزع بذرة الـ"نيوغنيوغان" (٥) وتجفف وتؤكل كما هي للقضاء على الديدان والطفيليات الامعائية. ويستعمل المطببون نبتة الـ"أكابولكو" لمعالجة الالتهاب الفطري كالقوباء الحلقية و"قدم الرياضي" والجرب.

"صحة للجميع." بدأ الاهتمام العلمي بالعقاقير العشبية في القرن السابع عشر بعد تأليف الكتب الاولى حول الاعشاب الطبية. وفي أوائل القرن العشرين بدأت دراسات علمية عدة، لكن "السلطة العلمية والتكنولوجية الوطنية" (دائرة العلوم والتكنولوجيا حالياً) لم تعترف بالفاعلية الطبية لهذه الاعشاب الا في السبعينات من هذا القرن.

عام ١٩٨٢ تم تأسيس أول مصنع ومزرعة تجاريين للاعشاب الطبية في الفيلبين في دافاو، وهي كبرى مدن

---

(٣) Mentha cordifolia
(٤) Blumea balsamifera
(٥) Quisqualis indica
(٦) Cassia alata

العشرُ

وضعت "دائرة العلوم والتكنولوجيا" لائحة بأسماء النبتات

١. **"أكابولكو"** (شجيرة القوباء) تستعمل لعلاج الامراض الفطرية والجلدية كالقوباء الحلقية و"قدم الرياضي" والجرب. تنبت في المناطق الاستوائية.

٢. **"لاغوندي" (الفلفل البري الهندي) تستعمل كدواء للسعال والزكام والربو والانفلونزا والصداع. تنبت في انحاء آسيا وفي غالبية المناطق الاستوائية.**

٣. "دامونغ ماريا" (الافسنتين) تستعمل ضد البكتيريا والحمى وتنبت في أوروبا والولايات المتحدة.

٤. "أولاسيمانغ باتو" (بيبيروميا) تصلح لمعالجة الروماتيزم وداء المفاصل. تنبت في جميع المناطق الاستوائية.

٥. "أمبالايا" (الشمّام المر) تستعمل لمعالجة السكري وتنبت في أنحاء آسيا.

١. أكابولكو

٢. لاغوندي

٣. دامونغ ماريا

٤. أولاسيمانغ باتو

٥. أمبالايا

الأولى

العشر الاساسية المستعملة كعقاقير عشبية في الفيلبين:

٦. "باوانغ" (الثوم) تستعمل لمعالجة ضغط الدم وتنبت في معظم أنحاء العالم.

٧. "تسانغ غوبات" (الشاي البري) تحارب الاسهال وآلام المعدة وتنبت في الهند وجنوب الصين وتايوان وماليزيا واندونيسيا.

٨. "ييربا بوينا" (النعناع) تستعمل كمزيل للالم أو كمضاد للغازات. تنبت هذه العشبة في غالبية المناطق الاستوائية وفي الولايات المتحدة.

٩. "سامبونغ" (الكافور) تستعمل لدر البول وتنبت في أنحاء آسيا.

١٠. "ايبيليبيل" تستعمل كطارد للديدان والطفيليات المعوية. تنبت في جميع المناطق الاستوائية في العالم.

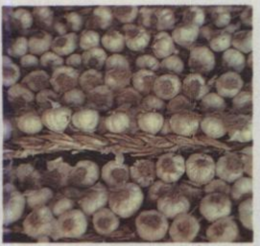

٦. باوانغ

٧. تسانغ غوبات

٨. ييربا بوينا

٩. سامبونغ

١٠. ايبيليبيل

PHOTOS: COURTESY NELIA CORTES-MARAMBA AND JERRY SALUDEZ

أسلوب للحياة...

الق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل...
باتت متاحة لك اليوم.

فاروس
اسلوب للحياة من سيتيزن ...

أسلوب للحياة...

PHAROS
فاروس

سيتيزن
CITIZEN

سيتيزن هي ماركة مسجلة لشركة ساعات سيتيزن - اليابان

ميندناو، بجهد مشترك بين "مجلس الفيلبين للتنمية والابحاث الصحية" ووزارة الصحة. في تلك الحقبة كان ٨ و١٠ في المئة فقط من العقاقير المستوردة يصل الى ميندناو، كبرى جزر الارخبيل.

كانت جامعة الفيلبين في لوس بانيوس تؤمن النبتات الصغيرة للمزرعة الممتدة على مساحة عشرة هكتارات. لكن المشروع أوقف. ثم تم احياؤه عام ١٩٨٨.

اعترضت انتاج العقاقير العشبية عوائق جمة. فقد اجتاح الثوار المزرعة الاولى في جبل ماتوتوم في كوتابانو مما أوجب تغيير المكان. واحترقت في مستودع في مانيلا عام ١٩٨٧ معدات حديثة لانتاج الاقراص كانت معدة للشحن الى المقاطعات مما أخّر الانتاج في مصنعين لاكثر من سنة.

لكن هذه الصعوبات لم تفل من عزم العاملين في هذا القطاع. وأقرت دائرة الصحة انشاء مصنع جديد بالقرب من غابة لاشجار الكينا في ميندناو، بقصد انتاج الكينين المستخدم في معالجة الملاريا ومشتقات الكينين (بما فيها الكينيدين) لمعالجة مرض القلب وهو ثاني الامراض القاتلة في الفيلبين.

والمصنع الرائد في بيكوتان، اضافة الى دورة كمصنع نموذجي، يدرب عمال دائرة الصحة المحليين على انتاج العقاقير وتحديد مقاديرها. وتبلغ القدرة الانتاجية الاولية لكل مصنع مليوني قرص شهرياً. وحين يبلغ الانتاج طاقته الكاملة سيتضاعف المحصول. وتباع الاقراص في صيدليات قروية بنصف سعر الدواء التجاري.

تبدي غالبية سكان الفيلبين ميلا الى السلع المستوردة. لذا بدأت حملات لتعريف الشعب الى فاعلية العقاقير المستخرجة من أعشاب فيلبينية، من خلال "شبكة مراكز الصحة القروية" التابعة لدائرة الصحة حيث يباع دليل يحتوي على صور وشروحات لثمانين نبتة محلية ولاستعمالها الشافي.

ومع الحصول على الدعم السياسي والمالي من "منظمة التنمية الصناعية" التابعة للامم المتحدة، يمكن أن يصبح انتاج الفيلبين للعقاقير التقليدية صناعة جديدة.

في خريف ١٩٨٨ قَدِم الدكتور د.ل. سيازون، المدير العام لمنظمة التنمية الصناعية، الى مانيلا لدعم "دراسة التنمية الصناعية العقارية" في الفيلبين التي بدأت في أوائل ١٩٨٨. ويقول سيازون: "ان احياء الاهتمام بالادوية العشبية، التي تشتق منها على نحو مباشر أو غير مباشر قرابة ٢٥ في المئة من المكونات الفاعلة المعتمدة في الطب الحديث، من شأنه – اذا توافرت التنمية الصناعية الملائمة – ان يمهد الطريق في اتجاه الهدف الذي حددته منظمة الصحة العالمية للسنة ٢٠٠٠ والمتمثل بشعار "الصحة للجميع."

بيت داي رومولو ■

لعل أكبر خطأ تقترفه هو اعتقادك انك تعمل لشخص آخر.

ك.م.

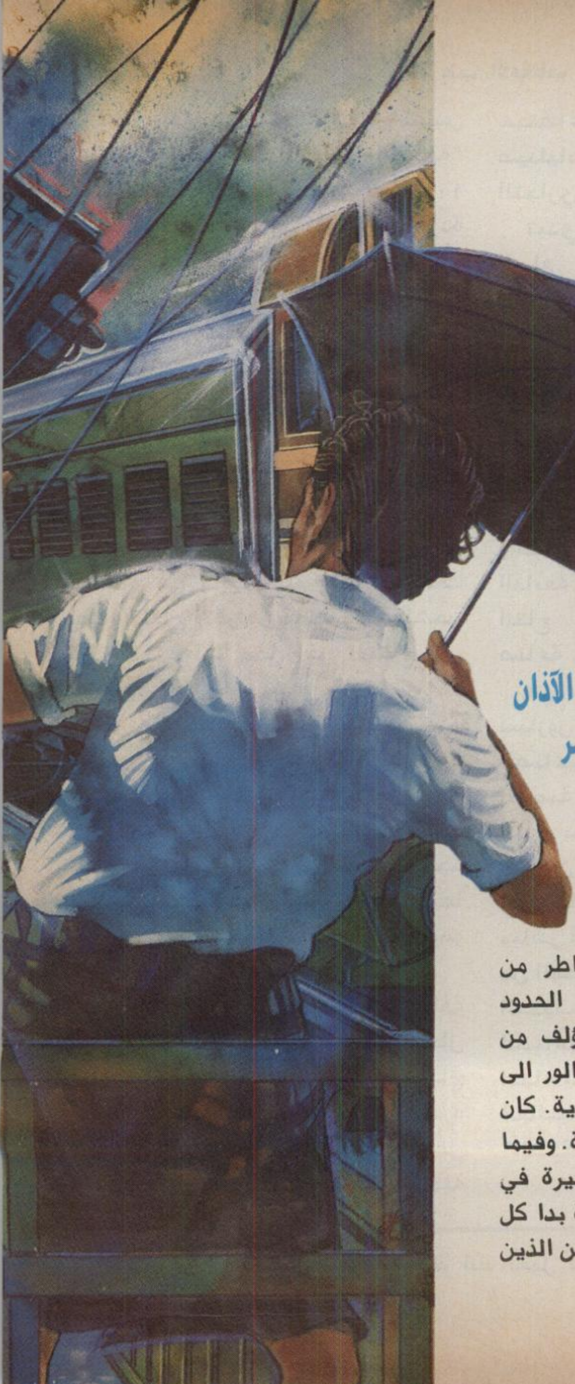

أحدثت الكوابح صريراً يصمّ الآذان وسقطت تسع عربات عن الجسر الى المياه القاتمة

بعد ظهر يوم جمعة بارد ماطر من يوليو (تموز) ١٩٨٨ كان قطار الحدود الجنوبية "آيلاند اكسبرس" المؤلف من أربع عشرة عربة مسافراً من بنغالور الى تريفاندروم في ولاية كيرالا الهندية. كان مسرعاً نحو كيلون، المحطة التالية. وفيما هو يقترب من تلك المحطة الاخيرة في مسيرته البالغة سبع عشرة ساعة بدا كل شيء حسناً بالنسبة الى المسافرين الذين قارب عددهم أربعمئة.

ILLUSTRATION: WILLIAM HOSNER

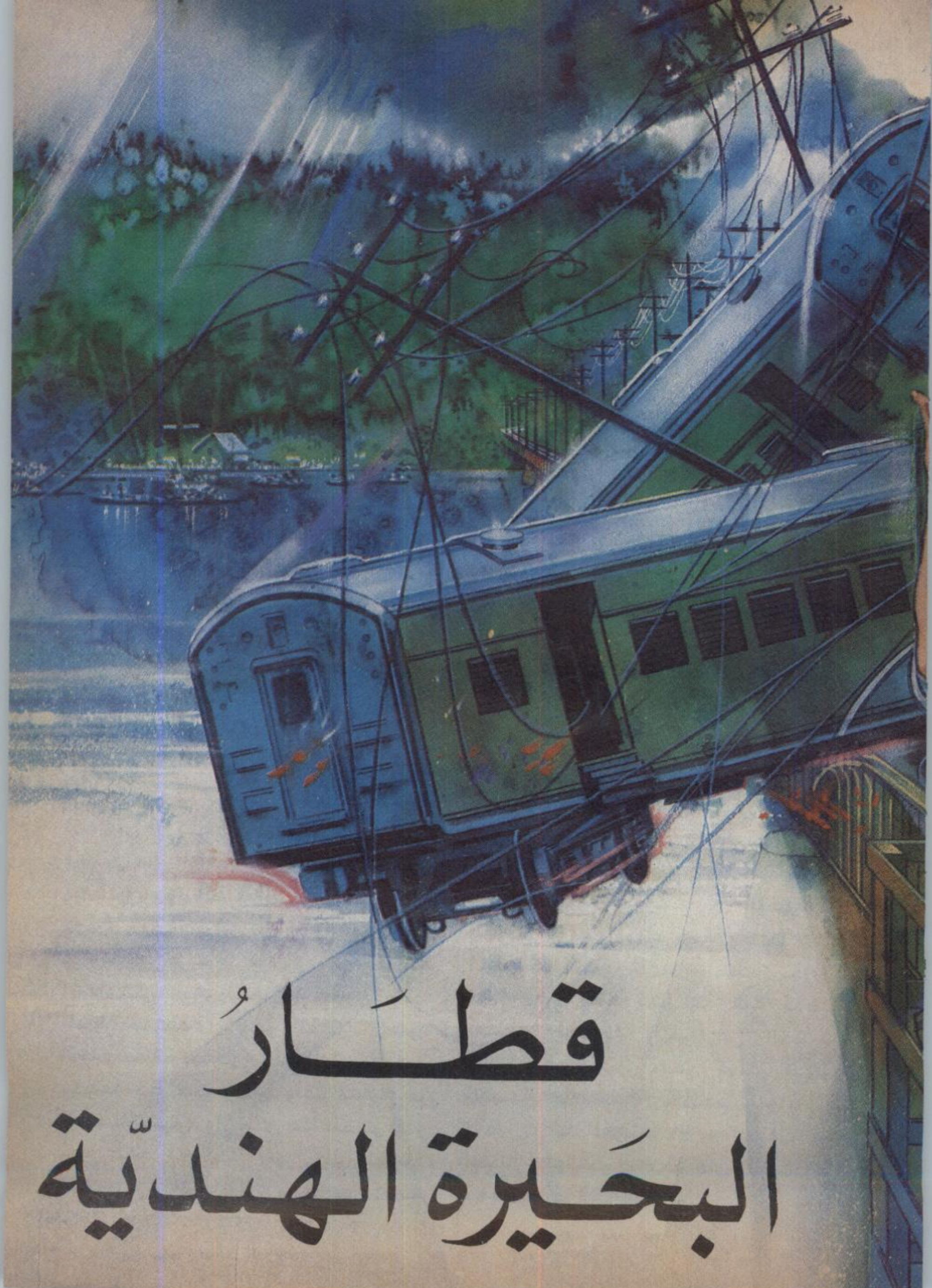

قطارُ
البحَيرة الهنديّة

في احدى مقصورات الدرجة الثانية المحجوزة للمنامة جلست جايا نارندران تمشط شعرها. وكانت هي وزوجها موروغش (٣١ عاما) وهو صاحب مصنع مطاط، عائدين من بنغالور الى بلدتهما كيلون، فقد غابا أسبوعاً، وجايا تعلل النفس بالعودة الى أطفالهما الثلاثة.

وفي عربة أمامية تفصلها عنهما بضع عربات كان راجان ثامبان (٥٧ عاماً) استاذ اللغة الانكليزية غارقاً في مطالعة أشعار وردثورث، ومعظم المسافرين حوله في سبات. ونظراً الى الرذاذ المتساقط أقفل أحدهم النافذة القريبة من الاستاذ.

في قسم آخر من القطار جلس جاكوب كوشي (١٥ عاماً) وهو جاء من المدرسة في أبو ظبي ليقضي عطلة الصيف في كيرالا. وكانت ترافقه امه سوما وابنة عمه آشا الطالبة في احدى الجامعات. لم يكن سفرهم مقرراً ذلك الصباح في القطار لان سوما شعرت بتوعك في صحتها وكادت تؤجل الرحلة. لكن جاكوب كان يتابع دروساً خصوصية في تريفاندروم فأصرت أمه على ألّا يفوِّتها. ساعتئذ كان جاكوب يتطلع من النافذة والقطار يسرع ماراً ببساتين جوز الهند الغضة الخضراء في جزيرة مونرو.

وتقع جزيرة مونرو في بحيرة اشتامودي، وهي بحيرة كبيرة مالحة المياه ومتصلة بالبحر العربي. وجنوباً ترتبط بقرية بيرومون على اليابسة بجسر يقطعه خط سكة حديد واحد متفرع من الخط الرئيسي. وان يكن هذا الجسر الذي يبلغ طوله ١٧٩ متراً غير مبني للمشاة، فالقرويون المحليون يسلكونه لعبور البحيرة بدلا من انتظار زورق تجذيف لنقلهم. وعلى هذا الجسر ثلاثة حواجز حديد يبعد الواحد منها عن الآخر خمسين متراً لحماية الناس لدى عبور القطار.

في البحيرة. فيما القطار يقترب من الجسر في الثانية عشرة والدقيقة الثامنة والخمسين بعيد الظهر كان الشخص الوحيد الذي يسير على الجسر راجو بوروشوتامان (٤٤ عاماً) عائداً الى منزله في مونرو بعد زيارة طبيبه اثر اصابته بزكام شديد صاحبته حمى.

اجتاز راجو الحاجز الاول. وما كاد يقطع ربع مسافة الجسر حتى سمع صياحاً من قارب في البحيرة. كان صيادان يصرخان: "القطار آت!" واذ رآه يقترب من طرف الجسر عاد مسرعاً الى الحاجز الاول.

فجأة سمع راجو صرير كوابح وصوت تحطم يصم الآذان. وارتجَّت أعمدة الهاتف وتقصفت الاسلاك المعدنية. واذا بمحرك القطار واحدى العربات يمران به هادرين ويتوقفان سالمين على الجسر في جهة بيرومون. وفي الوقت ذاته، امام عيني راجو المرتعب، انفصلت تسع عربات عند منتصف الجسر وسقطت في البحيرة.

أحنى راجو رأسه غريزياً. وعندما تطلع ثانية كان نصف الجسر المتصل بجزيرة مونرو في وضع تشابكت فيه قضبان الحديد الملوية والعوارض الخشبية المتقطعة. وتضرر بعض قوائم الجسر المبنية بالاسمنت وتهدم الحاجزان الآخران. اما العربات الاربع الخلفية من القطار فتوقفت صحيحة على الجسر الى جهة مونرو.

وبانت تحت راجو عربتان مغمورتان كليا بالماء، وأربع أخريات غائصات جزئياً وقد استقرت عربة فوق احداها. هذه العربات كانت جميعها مائلة على جوانبها ونوافذها الى فوق. وكانت ثمة عربتان متدليتان من الجسر. وعلا صراخ يشق عنان السماء وبدت أيد تلوح باهتياج عبر قضبان النوافذ. أما راجو فوقف مصعوقاً غير مصدق، ثم ركض عائداً الى بيرومون يصرخ مستغيثاً.

وفي البحيرة كان د. بيتر وصهره سيمون وعشرون صياداً آخرون. ولما شاهدوا القطار يتحطم حدقوا اليه فاغرين أفواههم وتركوا شباكهم وجذفوا باحتدام نحو الجسر يصارعون الامواج التي أحدثها سقوط العربات. لكنهم عندما حاولوا نزع القضبان الحديد عن النوافذ بمجاذيفهم انكسرت المجاذيف في ايديهم.

"يا الهي!" عندما اهتزت مقطورة موروكش وجايا ارتجَّ هو في سريره وارتمت هي على الارض. وما لبثت العربة أن غاصت في برودة البحيرة وظلمتها. وبعد لحظات سقطت عليها عربة أخرى وتحطمت. نهض موروكش يتفّ ماء مالحاً ويمسك بسلم السرير وصراخ الناس ملء أذنيه. وبين الامتعة والثياب والاحذية الطافية على وجه الماء في المقصورة رأى جايا متشبثة بمقعد مقلوب ومستوى الماء يرتفع وهي تصرخ: "موروكش، موروكش!" حاول ان يضبط خوفه وأخذ يلاطفها: "تعالي الى هنا يا جايا." لكنها كانت مذعورة فلم تجرؤ على التحرك. فتوجه اليها وأمسكها. ووصل ارتفاع مستوى الماء الى صدريهما ثم توقف فجأة.

اما ثامبان، فقبل أن يسقط القطار سمع صرير الكوابح "كزعيق آلاف صفارات الانذار." ثم اهتزت مقطورته وارتفع أحد جانبيها في الهواء وسقطت في البحيرة واستقرت على جانبها. و"تطاير" المسافرون في المقصورة. وكان من حسن حظ الاستاذ أن حملته موجة من الماء الى نافذة مفتوحة فتشبث بها وجسمه مكدّم وزجّ وجهه بين القضبان الحديد طلباً للهواء. وكان الموج من وقت الى آخر يسد أنفه وفاه. وكان قربه راكب ظل يولول صارخاً: "يا الهي!"

وأما جاكوب كوشي فحين سقطت العربات انقلب مرة في الفضاء ثم ثلاث مرات في الماء قبل أن يستعيد توازنه. كان رأسه ووجهه ينزفان، وطفا في جيب هوائي يعلو ثلاثين سنتيمتراً فوق سطح الماء في العربة. لم يرَ آشا ولا أمه، فأخذ ينادي: "أمي! آشا!" وشرع يسبح في العربة باهتياج باحثاً عنهما.

الصيادون المنقذون. بعد دقائق من وقوع الحادث بدأ قرويون من جزيرة مونرو ومن بيرومون يعملون على انقاذ المسافرين. وبينهم ف. ساسي (١٩ عاماً) وهو عامل كان يحفر قرب الجسر، فغطس في البحيرة وبيده قضيب من حديد، وما ان وصل الى احدى المقصورات حتى بدأ يطرق قضبان النوافذ.

وكان تقني كهربائي يدعى ا.ر. سوريش كومار (٢٦ عاماً) جالساً في

يالهامِن نكهةٍ غَنيّةٍ ولذيذة !
Carnation
Coffee-mate
Carnation
Coffee-mate
NON DAIRY CREAMER
For better coffee flavor
NET WT
Carnation
Coffee-mate
كريمة مُبيّضة للقهوة
كوفي-ميت يجعل طعم قهوتك سلساً لذيذاً
ويُغنيك عن المواد الدسِمة
كارنيشن
كوفي-ميت
يُضيفي إلى قهوتِك نكهة غنِيّة
مِن إنتاج Carnation كارنيشن

منزله عندما سمع صوت التحطم المريع. واذ علم أنه القطار قفز الى سيارته الخضراء، وهي السيارة الخصوصية الوحيدة في المنطقة، واسرع نحو الجسر.

وكان موراليداران بيلاي، وهو سائق احدى المعدّيات الحكومية التي تعبر البحيرة، سلّم مركبه الى صديقه بالاشاندران وذهب الى بيته في بيرومون لتناول طعام الغداء. وكان عائداً من هناك عندما سقط القطار. اقترب من البحيرة فشاهد صديقه واقفاً على عربة في الماء يحاول كسر قضبان نافذة بمجذاف خشبي، فصاح به هذا: "اذهب وأحضر مُخولا وقضبان حديد وأي شيء آخر قد ينفع." فأسرع الى حانوت حداد في بيرومون واختطف ثلاث مطارق وأنبوباً وقضيباً حديداً وعاد الى البحيرة.

في تلك الاثناء كان الصياد بيتر مضطجعاً على نافذة عربة وصدره مضغوط الى القضبان الحديد، فداخل العربة رجلان يمسكان يده ولا يفلتانها. وتوسل اليهما: "من فضلكما اتركاني، انني أحتاج الى شيء أحطم به هذه القضبان." ولما تركاه جذف الى الضفة حيث أعطاه أحدهم مطرقة فعاد بها الى العربة وحطم القضبان. وبمساعدة سيمون أخرج الرجلين وأحدهما مدمّى الوجه. أخذهما سيمون الى الضفة. اما بيتر فدخل العربة ليبحث عن مزيد من المسافرين العالقين.

في هذا الوقت كان بلاي وراجو بوروشوتامان وقروييون آخرون انضموا الى ساسي والصيادين في تحطيم قضبان النوافذ واخراج المسافرين. اما سوريش كومار فحشر في سيارته ثلاثة عشر مصاباً وأسرع الى مستشفى كيلون الذي يقع على بعد أربعة عشر كيلومتراً.

"أنقذوا ابنتي!" مشت جايا ومورووكش بحذر على المقاعد التي باتت في وضع عمودي. وشقا طريقهما بعناية نحو باب الجانب الآخر من العربة حيث مستوى الماء أدنى نظراً الى وجود نتوء صخري في قاع البحيرة تحته. وهنا اخذ مورووكش يواسي زوجته الدامعة قائلا: "مهما يكن من أمر فسنخرج."

وفكرت جايا: ماذا سيحدث لأطفالنا اذا لم نتمكن من الخروج؟ كانت ابنتهما البكر كوزاليا (٨ سنوات) تود الذهاب معهما الى بنغالور، لكن جايا رفضت أن تأخذها، وهي الآن تقول لذاتها: الحمد لله، انها ليست هنا. حينذاك عاين الزوجان امرأة تصارع الماء. فجذبها مورووكش الى فوق وتحرك الثلاثة معاً الى الامام.

عندما وصلوا الى طرف مقصورتهما المغمورة جزئياً بالماء جلس مورووكش وجايا على الباب المنزلق الخاص بمقصورة النساء فشعرا بطرقات تحتهما. فبذل مورووكش طاقته ليفتح الباب، واذا بثلاث نساء في الداخل واحداهن تحمل طفلة وتتوسل: "أنقذوا ابنتي." واذ رفع مورووكش الفتاة الصغيرة اندفع قروييون عبر الباب الآخر وأخرجوا الجميع من هناك.

أسرع سوريش الى كيلون متجاوزاً المشاة والدراجين على الطريق الضيق المتعرج. وكان بعض الركاب الجرحى معه يئنون ألماً في حين مضى آخرون يرددون عناوين أقرب أقربائهم. وكلما مر بسيارة

صرخ طالباً من السائق أن يذهب الى بيرومون.

وما كاد يصل الى المستشفى حتى كان مسافران توفيا. الساعة الآن ١،٢٥ بعد الظهر وقد استيقظت كيلون على الفاجعة. فصفارات الانذار في محطة السكة الحديد لم تتوقف، وعناصر الشرطة والاطفاء يتحركون نحو مكان الحادث.

عناية محلية. كانت النافذتان الاوليان اللتان وصل اليهما جاكوب كوشي مقفلتين. وراح يسبح في المقصورة باحثاً عن امه وابنة عمه. اخيراً بلغ نافذة مفتوحة ولاحظ أن قضبانها محطمة. واذا بيدين تمتدان الى الداخل وترفعانه وتضعانه في قارب. وهناك تملكه الابتهاج اذ رأى آشيا التي كانت أنقذت قبله وفي رجلها جرح بالغ. سألها: "أين أمي؟" فأجابت انها لا تعرف. فصرخ جاكوب: "أمي في الداخل، انها ما زالت هناك!" فطمأنه رجل قائلا: "سنجدها."

في الاولى والنصف بعد الظهر كان خمسون قارباً على الاقل ينقلون الموتى والمصابين الى ضفتي البحيرة. ومن هناك نقل القرويون الجرحى الى أقرب المنازل لتأمين الاسعاف الاولي قبل أن يضعوهم في سيارات تنقلهم الى المستشفى.

في جزيرة مونرو كان المشهد نموذجياً في منزل المزارع الكهل ج. شانموغان. كل غرفة فيه مملوءة مسافرين مصابين يصرخون ألماً. وقد مزقت زوجته وبناته الثلاث ساريهن(★) وجعلنها ضمادات. وطفقن يقدمن القهوة الساخنة الى المصابين ويدفئن المرتجفين برداً بقشور جوز الهند المحروقة والمدفونة في الرمل والملفوفة بقطع قماش. وهذه وسيلة محلية تستعمل بدل قوارير الماء الساخن.

في هذه الاثناء كان بعض المنقذين يحتاج أيضاً الى عناية طبية. مثال ذلك ف. ساسي الذي، بعدما حطم قضبان النوافذ بقضيبه الحديد وأخرج خمسة ركاب من عربة مغمورة بالماء، دخلها فوجد رجلا علقت ساقاه تحت مقعد مكسور. فمضى يشده من قميصه الى أن أصبح طليقاً. أما هو فسقط على قضيب نافذة مكسور اخترق معدته ومزقها فأغمي عليه.

المحامي الشرطي. لاخراج المسافرين من احدى العربتين الجانحتين على الجسر وضع القرويون على الباب سلماً طوله ستة أمتار. ولكن اذ لم يكن هناك ممسك على الجانبين فقد عجز بعض المسافرين عن النزول. فصرخ أحد القرويين: "آتونا بحبل طويل." فركض ك. ارا فنداكشان جار شانموغان الى زريبة ماشيته وفك رسن بقرة وعاد به ليربطه على طول جانب السلم. وهكذا نزل المسافرون واحداً اثر واحد.

داخل العربات الاخرى كان المسافرون، في غمرة الهلع والفوضى والالم، يساعد أحدهم الآخر. تعلّق رجل عجوز بقضبان نافذة بيده اليسرى المكسورة، وأمسك باليد الاخرى شيلا موهانان (٢٠ عاماً). وأحست شيلا بجسم عند قدميها في الماء، فمدت يدها وانتشلت أمها التي كانت في شبه غيبوبة. وظلت شيلا تشد

(★) الساري لباس المرأة الهندية.

أمها لتبقي رأسها فوق الماء فيما العجوز يمسكها هي ويشجعها قائلا: "لا تتركيها يا بنية." وأخيراً تم انقاذ الثلاثة.

تدفقت عشرات السيارات والحافلات والشاحنات والدراجات النارية تذرع الطريق جيئة وذهاباً مما جعل السير فوضى. فحلّ المتطوعون محل رجال الشرطة. وعندما تعرقل السير على طريق المستشفى استدعى المحامي م.أ. سلام (٤٢ عاماً) طلاباً ومواطنين وجعل بعضهم يمسك أيدي بعض بحيث سدوا كل الطرق عند تقاطع رئيسي ما عدا تلك المؤدية الى بيرومون والى المستشفى. وبدأ يوجه العربات كشرطي سير.

١٥٠ ضحية. حدق الاستاذ ثامبان من نافذة المقصورة التي علق فيها الى بقعة في السماء الملبدة بالغيوم وفكّر: جميل هذا المنظر، ولكن الى متى سيدوم هذا الجمال؟" ومع أن التيار المتقهقر خفض مستوى الماء قليلا فلم يظهر للاستاذ أي سبيل للنجاة. وتذكر قولا مأثوراً: "كل من يولد مكتوب له أن يموت."

لم يدر ثامبان ما يجري حوله. ولكن كان فتيان من أبناء بيرومون هما ك.ن. سريكومار وصديقه أوماناكتان يجدّان في انقاذ الناس من العربة التي هو فيها. وفي الثانية الا ربعاً عاد سريكومار ليلقي نظرة أخيرة داخل العربة، فصرخ مناديا أوماناكتان: "في الزاوية شخص ما."

كان ذلك الاستاذ ثامبان.

في تلك الأثناء كان بيتر، الصياد التعب، يحمل فتاة صغيرة لاهثة الى الشاطىء حيث تملكتها فجأة قشعريرة وسكنت. فحدق اليها بيتر غير مصدق. انها ميتة، حتى تلك اللحظة ضبط بيتر شعوره، أما الآن فأخذ ينشج ولم يعد قادراً على الرجوع الى الماء.

أنقذ القرويون قرابة ثلاثمئة مسافر بينهم ٢٢١ كانوا في حاجة الى مستشفى. كذلك نقل ساسي وأربعة منقذين آخرين الى المستشفى. ووصل رجال الشرطة والاطفاء في السادسة الا عشر دقائق. لكن معظم الضحايا التي انتشلت لاحقاً كانت متوفاة. وقد ظل الغطاسون يعثرون على جثث طوال أربعة أيام أخرى. أما عدد الهالكين في هذه الفاجعة فكان مئة وخمسين، بينهم سوما والدة الفتى جاكوب.

الناس فعلوا. ظل المحامي سلام حتى الرابعة والنصف يضبط حركة السير. واذ سمع أن زوجة زميل له قضت في الحادث فأسرع الى المستشفى فوجد أروقة الطبقة الارضية محشورة بالمصابين الاحياء. أما الموتى فأخذوا الى موقف السيارات. وكان ألوف من الناس مزدحمين في المكان يمطرون الموظفين والمسعفين المنهكين بأسئلتهم. فأبلغ سلام الى ضابط شرطة ان الموظفين يحتاجون الى مساعدة.

استعار سلام طاولة صغيرة وثلاثة كراسي من مطعم قريب وهيأ مكتبا موقتاً للاستعلامات. وكلما تحقق رجال الشرطة من هويات الجثث دوّن هو التفاصيل في كتيب ووضع بطاقة بالاسم على كل جثة. وسرعان ما اصطف امام "المكتب" طابور طويل من الناس.

في المساء جهّز المكتب بخط هاتفي بحيث يستطيع سلام وسواه من المتطوعين الاتصال بأقرباء الضحايا. ومع هبوط الظلام أحضر له أصدقاؤه مصابيح غاز لكي يتابع العمل. وهو لم يترك المكتب يومين كاملين ليل نهار.

فتحت مدينة كيلون قلبها لضحايا الحادث. تبرع المواطنون بالدم، وأبى سائقو سيارات الاجرة ان يتقاضوا نقوداً، وقدم الصيادلة الادوية مجاناً، وتعاون الحمالون الذين ينتمون الى اتحادين متنافسين حاملين الموتى والمصابين. قال الجابي في كيلون راجيف سادانندان: "ليست الادارة الرسمية هي التي أجرت عملية الانقاذ ذلك النهار، وانما الناس هم الذين فعلوا."

قصور الموظفين! بعدما أمضى جاكوب كوشي أربعة عشر يوماً في المستشفى وثلاثة أسابيع نقاهة في منزل جدته في تريفاندروم مع ابنة عمه آشا، عاد الى مدرسته في أبو ظبي حيث استقبله اساتذته وأصدقاؤه بحرارة. اما الاستاذ ثامبان فعاد الى التدريس بعد ستة أسابيع من الراحة. وأما جايا وموروكش فرجعا بعد ثلاثة أسابيع الى جزيرة مونرو ليشكرا القرويين.

وأرسل رئيس الوزراء مبلغاً مقطوعاً من صندوق الاغاثة، وُزع قسم منه على المنقذين كمكافآت وأنفق القسم الآخر على تحسين التسهيلات الطبية في بيرومون. وشيدت ادارة السكة الحديد جسراً للمشاة يربط جزيرة مونرو بقرية بيرومون.

لكن يوم سقوط القطار "آيلاند اكسبرس" سيظل أبداً في أذهان القرويين، حتى لو لم ينالوا تلك المكافآت. يقول ف. ساسي الذي خرج من المستشفى بعد سبعة أيام: "كانت لنا مهمة شاقة."

أما الصياد بيتر فيضيف: "الله منحنا القوة ذلك اليوم."

ويبقى سبب الكارثة لغزاً مغلقاً. وقد لمّح تحقيق أولي الى "قصور من الموظفين" لكن التقرير الختامي عزا الحادث الى إعصار. الا أن تقنيي الارصاد الجوية في تريفاندروم عاصمة ولاية كيرالا نفوا هبوب أي اعصار في المنطقة ذلك اليوم. وبعد حملة انتقادية لاذعة لنظرية الاعصار أعلن وزير الدولة لشؤون السكك الحديد هادافراو سينديا عزم الحكومة على مراجعة التقرير.

موهان سيفاناند ■

كذب المنجمون...

في موقف سيارات مصلحة الارصاد الجوية كان خبيران يهمان بالعودة الى البيت. فهتف أحدهما لزميله: "مهلا! هل تنبّهتَ الى اقفال نوافذ المكتب؟ فمن يدري متى تمطر؟"

إ.ب.

دائرة المعارف

الاسم المقصور هو الاسم المعرب المختوم بألف لازمة ليس بعدها همزة. هنا أسماء ثلاثية مقصورة، وقد وضع أمام كل منها أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. شجا: غناء - هم وحزن - جرح صوت البوم.

٢. كَرى: نعاس - مشي الطفل - كرم - صدى.

٣. ضَوى: بريق - ألم - شدة العشق - هزال.

٤. سُرى: فرح - سير الليل - همس - أعالي الجبال.

٥. عُلى: معرفة - ثراء - رفعة وشرف - آمال.

٦. قذى: ما يقع في العين - لوم - جمر - حر شديد.

٧. عَشا: ليل - مائدة - ضباب - سوء البصر.

٨. سَلى: نسيان - مرض عضال - عزاء - غشاء الجنين.

٩. قِرى: ضغينة - عطف - ضيافة - قشعريرة.

١٠. نَقا: صفاء - رمل - غزال صغير - بياض العين.

١١. شَرى: طفح جلدي - جدول - جذر نبتة - غضب.

١٢. ضَنى: غنم - بخل مقيت - قدرة - مرض وهزال.

١٣. نوى: فائدة - صوت الهر - بُعد - إكرام.

١٤. ردى: فساد - فضاء - هلاك - ظهر الفرس.

١٥. مِعى: ليونة - رفقة - ضخامة الشفتين - مصران.

١٦. جَدا: عطيَّة - ولد الشاة - قحط - قبر.

١٧. وَنى: هبوط - فتور وضعف - تذمُّر - نيَّة.

١٨. ثرى: موت - نجوم - تراب ندي - غنى.

١٩. نَسا: حريم - عرق في الساق - غفلة - غفران.

٢٠ - جَنى: قلب - ذهاب العقل - عُمْر - ما يُجنى من ثمر.

٢١. حَشى: ما في البطن - خدم - ثرثرة - دار.

٢٢. جَوى: حرقة ووجد - ظلم - جفاء - هواء.

٢٣. حِجى: برهان - عقل وفطنة - شِعر - لثام.

٢٤. طَوى: فقر - قناعة وتواضع - جوع - تستر.

٢٥. ضُحى: مساء - عصر - ظهر - حين تشرق الشمس.

الاجوبة الصحيحة

١. **الشجا**: الهم والحزن. أيضاً: ما اعترضِ في الحلق من عظم ونحوه.
٢. **الكَرى**: النعاس. أكرى فلان: سهر في طاعة الله.
٣. **الضَوى**: الهُزال، وخصوصاً دقة العظم. الضاوي: النحيف الدقيق.
٤. **السُرى**: سير الليل. الساري: الاسد. السَريّ: السيد الشريف السخي.
٥. **العُلى والعَلاء**: الرفعة، الشرف. العَلْياء: كل مكان مُشْرف.
٦. **القذى**: ما يقع في العين أو في الشراب من قش ونحوه.
٧. **العَشا**: سوء البصر وخصوصاً في الليل.
٨. **السَلى**: غشاء يكون الجنين ضمنه في بطن أمه.
٩. **القِرى**: الضيافة. القَرا: الظَهْر.
١٠. **النقا**: الرمل.
١١. **الشَرى**: طفح جلدي يسبب حكاكاً: أيضاً: الجَبل، الطريق، الناحية.
١٢. **الضَنى**: المرض والهزال. أيضاً: سوء الحال. الضِنى: الاولاد.
١٣. **النَوى**: البعد. أيضاً: الدار. والنَوى جمع نَواة وهي عجمة التمر ونحوه أي حبه أو بزره.
١٤. **الرَدى**: الهلاك. أرداه: أهلكه، وفي البئر: أسقطه فيها.
١٥. **المِعى والمَعْي**: مصران البطن. جمعها أمعاء.
١٦. **الجَدا**: العطية. أيضاً: المطر العام.
١٧. **الوَنى**: الفتور والضعف والكلل. ويقال "فلان لا يني يفعل كذا" أي لا يزال.
١٨. **الثرى**: التراب الندي. يقال "يبس الثرى بينهم" أي صاروا أعداء بعدما كانوا أصدقاء.
١٩. **النَسا**: عِرْق في الساق.
٢٠. **الجَنى**: ما يجنى من ثمر أو عسل أو مال. جنى الارض: الكلأ والكمأة.
٢١. **الحَشى**: ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وسواها. جمعها أحشاء.
٢٢. **الجَوى**: حرقة وشدة وَجْد من عشق أو حزن. أيضاً: داء في الجوف.
٢٣. **الحِجى**: العقل والفطنة.
٢٤. **الطَوى**: الجوع. يقال "هو طاوي البطن" أي ضامره.
٢٥. **الضُحى**: حين تشرق الشمس.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

كتاب الشهر

أيَّـام من عهد هتلر

ملخص من كتاب "الماضي هو أنا" بقلم كريستابل بـ

أيَّــام من عـهـد هتـلر

فيما العروس الشابة تبدل جواز سفرها البريطاني بآخر يزينه نسر أسود، في سفارة المانيا بلندن عام ١٩٣٤، قال لها المسؤول في السفارة كلاماً مستغرباً: "أخشى ألا تكوني أحسنت بهذه المقايضة." ثم نظر الى زوجها وأضاف: "... الا في ما يتعلق بهذا الشاب الوسيم الذي تضمه الصفقة."

وفي السنوات الاحدى عشرة التالية أنجبت كريستابل ثلاثة أبناء وكانت سعيدة بزواجها. ثم انتهى بها الأمر الى مواجهة "الغستابو" في محاولة لاطلاق زوجها بعد كشف مؤامرة لاغتيال هتلر.

هنا قصة هذه المرأة البريطانية والكابوس الذي عاشته كمواطنة في ألمانيا النازية زمان الحرب.

في صيف ١٩٤٣، السنة التي ولد فيها ابننا كريستوفر، قرّ رأينا على أن لا قبل للاولاد بتحمل شتاء آخر في برلين. كان الوضع التمويني يزداد سوءاً شهراً بعد شهر. وحين طالت الليالي كنا على علم بوجوب التحسب مرة ثانية للغارات الجوية البريطانية. وكانت الاضرار التي يلحقها "قراصنة الليل"، كما دعاهم وزير الدعاية جوزف غوبلز، لا تزال غير جسيمة. وكانت الطائرات تشن غاراتها في الليالي الظلماء الملبّدة بالغيوم، لكن البريطانيين درجوا على عادة قاسية هي الاغارة المتواصلة، طائرة بعد طائرة وقذيفة في اثر قذيفة طوال ساعات.

وكان زوجي بيتر ألحق بمصنع للطائرات في غرودنز بغرب بروسيا. وبتقدم الجيوش الروسية في اتجاه الحدود الألمانية الشرقية رغب بيتر في ان أكون والاولاد في مكان قصي في الغرب هو أنأى ما أمكن عن خط القتال. ومع أنني صممت على البقاء في منزلنا في برلين أطول مدة تمكنني منها جرأتي، فلم يكن لنا بد من الرحيل عندما قررنا الانتقال الى روهرباخ في الغابة السوداء.

وصلنا في سبتمبر (أيلول) في قطار صغير لاهث توقف في محطة صفراء تعاقبت عليها عوادي الطبيعة. وقرأت على اللافتة الباهتة: "شونينباخ - الغابة السوداء." وجدنا أنفسنا على رصيف المحطة وحولنا أكداس من الحقائب والرزم. وتلفتنا حولنا

CONDENSED FROM «THE PAST IS MYSELF,» COPYRIGHT © 1968 BY ELDA GMBH, IS USED BY PERMISSION OF TRANSWORLD PUBLISHERS, LONDON

متسائلين أين تقع روهرباخ وهل نصل اليها قبل أن تغيب الشمس وراء التلال.

بدا أن وصول القطار قطع على ناظر المحطة عمله في تكديس التبن لأن البذور كانت تغطي قلنسوته وسترته الحمراوين، وقرب شباك قطع التذاكر أسندت مدقة خشبية طويلة لجمع التبن والقش. وجواباً عن سؤالنا قال لنا: "أوه، نعم، روهرباخ تبعد خمسة كيلومترات فقط على طريق الوادي، انما عليكم انتظار عربة الحليب. هانس بوش يجمع الحليب من المزارع ويأتي به الى المحطة. ولا شك في ان لديه متسعاً لكم في عربته. اذاً أنتم قادمون من برلين؟ لا بد ان الحال هناك قاسية جداً."

وما لبثت أن وصلت الى الرصيف عربة صغيرة خشبية مقعقعة يجرها جواد هرم سمين، ووثب منها رجل ممتلىء البنية يلتمع السرور في عينيه الزرقاوين، وشرع بمعاونة ناظر المحطة في تفريغ حمولة العربة من أوعية الحليب. وتمهل الرجلان في عملهما لتتاح لهما فرصة تبادل الاحاديث الطويلة اذ لم تكن الاوعية كثيرة العدد. وكانا يبتسمان لنا بين الفينة والاخرى. ولما فرغا من ترتيب الاوعية نضّدا حوائجنا في العربة مفسحين مقعداً لنِك الى جانب السائق، فيما قعدت أنا وجون وكريستوفر في مؤخر العربة وأرجلنا مدلاّة الى الخارج.

ولم يلبث هانس بوش ان سلّم نك العنان. وكان الجواد يعدو الهوينا في طريق متعرجة وعرة. وما عتمنا أن دخلنا القرية التي بدت لا تشمل الا نزلا صغيراً يسمى نزل "أدلر" ودكانين صغيرين وكنيسة وبناء كبيراً أبيض متداعياً مزخرفاً بالجصّ. فهتف جون فجأة: "هل سأذهب الى هذه المدرسة؟" كانت عيناه يقظتين لكل الدقائق، ومن الواضح أنه لمح لوحاً أسود عبر احدى النوافذ المفتوحة.

أجبته: "نعم، أرجو ذلك."

فسألني: "لماذا؟"

كان ذلك سؤالا جديراً بأن ينال مني أشد الاهتمام، اذ كنت أزداد يأساً كلما توغلنا صعوداً في الوادي. وقد كان حرياً بي أن أكون ممتنة لقسمتنا وما نحن فيه، اذ كان أفضل كثيراً من غيرنا. لكني سئمت حياة البداوة وفقدت كل متعة في التنقل خلال جلائنا المتكرر هرباً من مناطق الحرب الخطرة. وتعبت من النوم في غرف عارية الا من الاثاث الضروري، ومن التقتير والبحث عما يقوم بأود الاولاد، ومن مقاومة اغراء العودة الى بيتنا في برلين، ومن مجاراة ذلك الاغراء أحياناً لأستيقظ وأعي واقعي المرير وهو أن منزلنا صائر الى حصن غير حصين في خطوط القتال الامامية.

ألمانيا الجديدة

صرت مواطنة ألمانية في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٤ في السفارة الالمانية بلندن، حيث أبدلت جواز سفري البريطاني الموسوم بأسد جذل ووحيد قرن بجواز أخضر ضارب الى الرمادي عليه نسر أسود متسم بالشموخ والازدراء.

يومذاك بادرني الموظف المسؤول في السفارة الالمانية بكلام لم أتوقعه: أخشى ألا تكوني أحسنت بهذه المقايضة." ثم نظر الى مرافقي وأضاف مبتسماً: "الا في ما يتعلق بهذا الشاب الوسيم الذي تضمه الصفقة."

كانت حفلة زفافي ذلك الصباح الى بيتر بيلنبرغ تمت على ما يرام. فوالده، وهو محام مرموق، ألقى خطاباً كان حفظه عن ظهر قلب. فرحب بي بكل محبة لانضمامي الى العائلة ولم يذكر أبداً أن ابنه الوحيد الذي لم يتجاوز الثانية والعشرين ولم يتأهل بعد للعمل في المحاماة وما زال غير قادر على تأمين حاجات عائلة، خرج على تقاليد موروثة. ورد أبي بخطاب اتبع فيه نهجاً مماثلا، فلم يذكر انه في طريقنا الى حفلة الزواج أوقف السيارة وقال لي ان الوقت لم يفت بعد اذا أردت تغيير رأيي.

أما بيتر وأنا فلم نأبه كثيراً لهذه التحذيرات التي طبعت تآلفنا على امتداد سنتين. وكانت فيَّ مميزات غير مألوفة لم تنطبق على صورة الزوجة الشابة كما يتصورها مواطنو هامبورغ. فهل لدي خبرة في الطهو ورتق الثياب؟ وهل لدي فكرة عما يُنتظر أن أتحلّى به من التواضع والاقتصاد لأتبوأ عن حق مقام ربة بيت؟ من الواضح أن ذلك لم يكن لينطبق علي. فقد نشأت في كنف الرفاهية، وكنت مستقلة مالياً باعتمادي على ذاتي، مما أضاف عنصراً آخر للتشكيك في قدرتي على الاستقرار، لأن الاستقلال الذاتي لم يكن بالشأن الذي يحسن تشجيعه في المرأة الالمانية.

في السنتين اللتين سبقتا زواجنا كانت ألمانيا أصبحت دولة ديكتاتورية، لكننا كنا أقل السكان اهتماماً بالشؤون السياسية. مرة وحيدة، في خريف ١٩٣٢، أقنعت بيتر بأخذي الى اجتماع حاشد للحزب الوطني الاشتراكي حيث كان هتلر سيخطب في الهواء الطلق. وضرب نطاق أمني حول مساحة واسعة. ووقفت صفوف من فرق "الصاعقة" بين الحشود تدفعها للانتظام في مستطيلات مرتّبة. فاستمعنا الى الجماهير تنشد الاناشيد الحماسية والى قرع الطبول المدوّي. ولكن ما ان بدأت أعتاد لكنة الفوهرر النمسوية حتى قادني بيتر خارج الحلقة وأتحفني بأحد آرائه السياسية التي نادراً ما عبّر عنها. قال بصوت عال: "ربما اعتقدت أن الالمان بلهاء سياسياً يا كريس، لكني أؤكد لك ان الحماقة لن تبلغ بهم حد أن يؤخذوا بذلك المهرّج."

لكن الاحداث تسارعت بعدما تولى هتلر منصب المستشار في يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣. وبحلول شهر يوليو (تموز) انتهت الانتخابات الحرة وحُلت النقابات وجميع الاحزاب السياسية. وللحال أُنذر بيتر بما يُنتظر حدوثه. ففي العام ١٩٣٢، في نطاق تبادل المنح الدراسية، كان مُنح دراسة سنة في الولايات المتحدة، لكنه أعلم في ١٩٣٣ أن لجنة الاختيار الامريكية تفضل أن يكون صاحب المنحة ممثلا لـ"ألمانيا الجديدة." فهل بيتر عضو في الحزب النازي؟ كلا. اذاً، بكل أسف، يجب انتقاء شخص آخر ينتمي الى الحزب.

كان لبيتر عدد من الاصدقاء اليهود، وأكثرهم مقيم في ألمانيا. فلم يسعهم التصديق أن الدولة الوحيدة في أوروبا حيث كانوا يشعرون بالارتياح والطمأنينة كانت

على وشك الانقلاب ضدهم. وحصل عدد من الحوادث البغيضة أثارت فينا تخوفاً غامضاً من المستقبل.

انما ما صدمني وأثار حفيظتي هو ادارة المواطنين الشرفاء ظهورهم لما يحدث وتعاميهم عن التجاوزات الكثيرة، وذاك الاستسلام والخنوع للطغيان. وأدركت فجأة أن أمراً قذراً وخطيراً حل بألمانيا فعلا وأنه سيدوم.

"تحرير" النمسا

كانت السنوات الخمس التالية حافلة بعناوين صحافية مثيرة وأشرطة سينمائية تظهر الجماهير الهاتفة الهادرة وهي تحيي الفوهرر متموّجة كسنابل القمح أمام هبات النسيم.

ولاجتناب الانخراط في الحزب أو ضم أصواتنا الى هتافات التأييد قرر بيتر العمل في السفارة الالمانية في لندن كجزء من تدربه القانوني في متطلبات الادارة المدنية. كان هذا الترتيب غاية ما نرجوه. وفي أواخر صيف ١٩٣٥ ولد ابننا الاكبر نيكولاس. ولدى رجوعنا الى ألمانيا في السنة التالية لم أر ما يستدعي قلقي. فقد أنعم الله علي بزوج وسيم وابن وافر الصحة بريطاني المولد. وكنت مليئة بالثقة بمقدار جهلي فنون ربات البيوت الالمانيات.

لكن هامبورغ كانت تغيرت كثيراً. فقتالات الشوارع والبطالة والخوف من التضخم كانت مشاكل ساخنة لدى مغادرتي. أما الآن فبدا أنها غير موجودة. وغشي الاسواق جو من الازدهار المتواضع. ففي جعبة هتلر السياسية شيء لكل فرد. كانت هناك وظائف للعاطلين عن العمل، وجيش للجنرالات، ومنبر لاسماع الصوت عالياً في الشؤون الدولية للذين ما زالوا يكتوون بذل الهزيمة في الحرب السابقة. وكانت هناك أيضاً معسكرات اعتقال وتلميحات منسقة في الاذاعات عما يخبأ لكل من تزين له نفسه الاستعلام عن خطط الفوهرر ونياته.

في ربيع ١٩٣٨ شهدت وبيتر انتشار رسالة الفوهرر في النمسا المجاورة، هذا الانتشار الذي سمي في بريطانيا "اغتصاب النمسا." وكنا في عداد الالمان المدنيين الاوائل الذين اجتازوا الحدود بعد الجيوش الالمانية، اذ صادف أن كنا ذاهبين لقضاء عطلة في آرلبرغ النمسوية. وأيقظتنا أصوات باعة الصحف على ارصفة المحطة في مدينة أوغسبرغ البافارية. وتحرك القطار قبل أن يتاح لنا ارتداء ثيابنا والنزول منه. وكانت السكة الحديد من الحدود النمسوية الى الجنوب مكتظة بالحشود التي اصطفت على الجانبين تهتف وتضحك وترقص وتلوّح بالاعلام الالمانية. هكذا بدا "اغتصاب النمسا." كان الجميع يحتفلون! بادلنا الناس الذين كانوا يبتسمون لنا بالابتسام الفارغ وعدنا الى مقاعدنا واليأس جاثم على صدورنا. ووددنا لو أعفينا من دور المحررين النازيين الذي لبسناه لوجودنا مصادفة في القطار لحظة "التحرير."

في هذا الوقت كنا ننتظر مولوداً ثانياً وكان بيتر على وشك تقديم الامتحانات النهائية. وأدركنا أننا نعيش مشكلة مريبة. كان في وسعنا التكلم مع أصدقاء يفكرون مثلنا وابداء حيرتنا واشمئزازنا. لكننا بمقاطعتنا شيئاً لا نفهمه ولا نقرّه انحرفنا الى حياة منعزلة عن المجرى الرئيسي السائد.

ووافت ساعة الحقيقة عندما رجع بيتر ذات مساء بعد نهار أمضاه في قاعة المحكمة في هامبورغ يدافع عن عضو سابق في الحزب الاشتراكي الديموقراطي قبض عليه بتهمة توزيع مناشير غير قانونية. وكان نجح في اخلاء موكله وتصافحا خارج قاعة المحكمة. وبعدما مشى بيتر قليلا استدار ليلوح مودعاً، فرأى رجلين ببزات رسمية يدفعان موكله داخل حافلة خضراء ما لبثت أن اختفت في زحمة السير. ولم ينل هذا الحادث سوى لامبالاة في المحاكم وفي دوائر الشرطة. ألم يتبلغ بيتر أن هناك الآن، في سبيل حماية الامن، شيئاً يسمونه الحجز الاحتياطي؟ وكيفما كان الامر فان موكل بيتر اختفى من دون أن يعرف ماذا حلّ به. وباختفائه فقد بيتر كل رغبة في ممارسة مهنة المحاماة. وقال لي: "اذا كانت هذه هي ألمانيا الجديدة يا كريس فلا مكان فيها لنا ولاولادنا."

ان العالم واسع. وكنا في مقتبل العمر. وما لبثنا أن غرقنا في التخطيط للاقامة في أوستراليا ثم في كينيا ثم قر رأينا على ايرلندا. كنا غارقين في أحلامنا الى حد اننا لم نعِ الازمة التي أخذت تعصف بتشيكوسلوفاكيا. انما في أغسطس (آب) دعي بيتر الى الاستعداد للالتحاق بسلاح الجو خلال ٢٤ ساعة.

ثم حدث أمر مذهل غير متوقع. فقد نجح نيفيل تشمبرلين، وهو رجل فكتوري نحيف البنية كان في رأيي أبلد رؤساء الوزراء البريطانيين، في عقد اتفاق للسلام خلال اجتماعه بهتلر في ميونيخ مما أبعد شبح الحرب. تنفس الناس في ألمانيا الصعداء، لكن ارتياحهم لم يدم أكثر من أربعة أسابيع. فعلى أثر مقتل أحد موظفي السفارة الالمان في باريس على يد يهودي، تبدد الوهم لدى كل من اعتقد أن هتلر دُفع الى تغيير خططه في ميونيخ. وقامت أعمال عنف ضد اليهود فأحرقت معابدهم ودمرت متاجرهم ولم يقبض على أحد من مفتعلي الحوادث. ولم أرَ أياً من المارة يسرق شيئاً من المحلات المهدمة، بل تجمع الناس واجمين، قلقين، مذهولين، مشمئزين، حول أكشاك باعة الصحف. ولم يكن أحد من الذين تكلمت معهم راضياً عن العنف والتدمير.

ما لبث والد بيتر أن توفي، وكنت أكن له محبة كبيرة. وآساني أنه لم يعش ليرى كل القيم العزيزة لديه تتحطم وتتناثر هباء. ولو بقي على قيد الحياة لما رضي مطلقاً أن نذكر له عزمنا على الهجرة من البلاد.

وقبيل آخر السنة التقينا صديقاً راجعاً من الصين ولم نكن رأيناه منذ سنتين. وبعدما حدثه بيتر ألغى كل تفكير في مغادرة ألمانيا.

كان ذلك الصديق يدعى آدم فون ثروت زو سولتز. وكنت دائماً اعتبره مميزاً، ليس لحسن طلعته، ولا لنهجه في حمل كل من التقاهم على تصور أنهم أناس محترفون يلذ

التحدث اليهم، ولا لكفاحه على غرار بيتر لنيل شهادة المحاماة على رغم تقارير بعدم امكان الوثوق به سياسياً. لقد اعتبرته مميزاً لأنني لم ألتق رجلا نظيره قبلا.

كان آدم من عائلة تملك أراضي كثيرة، ومن تقاليدها امداد الدولة بموظفين حكوميين من درجة رفيعة.

وأمضى آدم سنتين في جامعة أوكسفورد بمنحة دراسية، وعاد الى المانيا عام ١٩٣٦. وهو اعتبر "الاشتراكية الوطنية" الالمانية داء عارضاً، وسلامة الحس في جوهر الناس كفيلة بالقضاء عليها. وبدا واثقاً بأن في كل أنحاء المانيا، كما في برلين، مجموعات من الناس - ومنهم في مراكز مهمة - مصممة على انهاء دور هتلر في وقت قريب. لهذا غادر "رايخ" هتلر في رحلة طويلة الى أمريكا والصين.

وغالبا ما تساءلنا ماذا عساه يكون رد فعله على الاحداث المتزاحمة علينا. وها هو قد عاد وفي كلامه من الثقة والانتشاء ما أقنع بيتر بخطأ التفكير في مغادرة المانيا. كان المد في انحسار، والأمور تتحول، اذ صارت أصوات المنشقين جوقة كبيرة، والجنرالات الذين يملكون السلاح الوحيد القادر على قلب النظام بدوا مستعدين للعمل، وتشكلت نواة حكومة مدنية قادرة على تسلم الحكم بعد القبض على هتلر.

كانت تلك أموراً مثيرة أوقدت فينا نشوة، فعدلنا عن كل قراراتنا السابقة وصممنا على الانتقال الى قلب الاحداث، الى برلين.

سجن مقلوب

لم تكن برلين مدينة جميلة، لكنها كانت مثيرة. انها العاصمة. وقد أخذنا بسحرها وبمناخها المنشط البهيج، ولكن سرعان ما تبين لنا أن خللا مخيفاً طرأ على السياسة، فقد غدت برلين هتلر مثل سجن انقلب داخله خارجه وتسلم المجرمون مراكز القيادة.

حين وصلنا الى برلين في فبراير (شباط) ١٩٣٩ كانت الاشاعات تتحدث عن استعداد هتلر للحرب في الخريف. فبعد اتفاق ميونيخ جرى احتلال تشيكوسلوفاكيا، وستتبعها بولونيا وأراضي أوكرانيا الزراعية الغنية. وكان شعاع الامل الوحيد النشاط المتنامي بين الجنرالات وقادة المعارضة المدنيين. وكان بيتر يعمل في وزارة الاقتصاد، وآدم في وزارة الخارجية. وهما انغمسا في هذه الحلبة بهمة لا تعرف الكلل. وأديت في هذا المجال دوراً صغيراً اذ سافرت الى بريطانيا حيث كان عمي اللورد روذرمير مالك صحيفة "ديلي مايل" وحاولت نشر الحدث.

وكان آدم يسافر الى بريطانيا، لكن سفراته كانت أكثر خطورة واثارة. كان يتعين منح المعارضة في ألمانيا دعماً واهتماماً كبيرين قبل أن يشن هتلر الحرب فيغيب هدفها في ضباب الاحداث المتعاظمة. تكلم آدم عن القضية مع وزير الخارجية اللورد هاليفاكس، كذلك مع تشمبرلين ومع أصدقاء وزملاء في أوكسفورد. لكنه كان على علم بالطبع الانكليزي. فقد أبدوا لامبالاة صامتة مصحوبة بالكياسة والحيرة.

وفي صيف ١٩٣٩ وجدت منزلا مع حديقة في منطقة داهلم في برلين. وكانت أبواق الدعاية تكيل الشتائم والاهانات لبولونيا. وأجريت تعبئة عسكرية جزئية ونشط المبعوثون غير الرسميين في السفر بين بريطانيا وألمانيا. واذا بآخر أمل لنا يتلاشى في ٣ سبتمبر (أيلول).

غرفة ضيقة

كادت الغرفة التي تكلم منها نيفيل تشمبرلين تضيق بصوته اذ راح يعلن: "أتكلم اليكم من مقر رئاسة الوزارة في ١٠ شارع داوننغ. في هذا الصباح سلّم السفير البريطاني في برلين الحكومة الالمانية انذاراً نهائياً بأنه ما لم نتبلغ منهم قبل الساعة الحادية عشرة أنهم مستعدون لسحب جيوشهم فوراً من بولونيا فستكون بيننا حال حرب. ويقتضي اعلامكم اننا لم نتسلم تعهداً بذلك. ولذا تكون هذه البلاد في حال حرب مع ألمانيا."

في الخارج قرع جرس داهلم الضعيف، فتنهد آدم وجلست وبيتر من دون حراك على الاريكة شابكي اليدين. قبل يومين فقط اتصلت بوالدي في بريطانيا، وكنا فرحين في حديثنا، وقال بيتر لأمي انه سيكون في مطار تمبلهوف لملاقاتها في نهاية الاسبوع التالي.

فجأة انتابني شعور بأن الغرفة تضيق بنا، فخرجت. وكانت رائحة أشجار الصنوبر من الغابة الخضراء عابقة في جو الحديقة وكان الظلام شديداً. وانبعث ضوء كهربائي أزرق من احد القطارات أضاء الجو المعتّم والستائر المتموّجة في الغرفة العليا حيث ينام نكي وجون. ومن خلال شق في الستائر شاهدت بيتر وآدم على الاريكة منحنيين الى الأمام يحدقان الى الموقد، وترتسم على وجهيهما أخيلة النار المضطرمة فتضيئهما. جفاني النوم في تلك الليلة، وخلتني أشبه بمن يعتلي سياجاً. كانت الحياة تطيب لي، ونعمت باقتناع راسخ بانتصار الخير على الشرّ في النهاية. (كان شعوري أن "الخير" يتمثل في الاشياء البريطانية و"الشرّ" في كل من خالفني هذا الرأي.) وعلى رغم اقتناعي وايماني أحسست أن الطريق أمامنا قد تكون موحشة قاسية.

في هذه الليلة من أكتوبر (تشرين الاول) كان الهواء منعشاً شديد البرودة. وكان شجر الزعرور البري مدهشاً بثمراته الحمر اللامعة التي ناء بها لوفرتها. وقيل ان هذه هي علامة شتاء بارد.

مضى من الحرب ستة أسابيع ولم يحدث شيء مما ارتقبناه. فقد تمزق الجيش البولوني، وقبع الفرنسيون وراء استحكاماتهم، وكان الجو على الجبهة الالمانية - الفرنسية يوحي تزاملا بين المتحاربين اكثر منه مواجهة أو قتالا.

وكان آدم ذاهباً الى أمريكا استجابة لبرقية تطلب السماح له بحضور مؤتمر "معهد العلاقات السلمية" السنوي في فيرجينيا بيتش. وكان على يقين أن البرقية أتت من

أصدقاء على قناعة بأن هناك ألمانيا أخرى خلف السياسة النازية الرسمية التي تدين لارادة رجل واحد. ورأى في ذلك مناسبة لشرح الوضع الالماني في الخارج. وغلب عليه الابتهاج تشوقاً الى هذه الفرصة المتاحة وانتقلت عدوى الابتهاج الينا جميعاً.

كان آدم على ثقة بأنه في حال تصميم هتلر فعلا على اشعال حرب شاملة لا يرى الجنرالات أملا بربحها، فان أشد المترددين بينهم قد ينقلبون عليه ويشاركون في الجهود لاسقاطه. وجل ما يحتاج اليه نجاح انقلاب يقوم به الجنرالات هو اعلان صريح من الحلفاء عن أهدافهم من الحرب، مما يمحو الى الابد شبح معاهدة فرساي ثانية وربما وضع أساساً عادلا لسلام أوروبي.

قبل مغادرته سألني آدم هل أرى احتمالا أن تعقد بريطانيا صلحاً مع هتلر نظراً الى انتهاء الحملة على بولونيا. فأجبته: "كلا، وحق حياتك الغالية!"

لكني بعد رحيله تساءلت عن الدليل الذي أملكه والذي جعلني أتفوه بتلك العبارة المفعمة بالثقة. لم أكن بالتأكيد متأثرة بمسلك بريطانيا الذي اقتصر على إلقاء منشورات دعائية من الطائرات، ولا بالبيانات السياسية الرسمية المبهمة التي تركت انطباعاً ان لدى بريطانيا متسعاً من الوقت لتسوية نزاعاتها مع هتلر.

رجع آدم في فبراير (شباط) مريضاً باليرقان، محطم النفس مكتئباً. ففي واشنطن استقبله السفير البريطاني، كذلك استقبل في وزارة الخارجية. وكان واثقاً بأن الرئيس روزفلت نفسه لن يرفض تمثيل دور صانع السلام بين المانيا والحلفاء حين تتخلص المانيا من هتلر. وتوالت الايام ولم يتلق أي جواب عن مذكرته الى الرئيس، مما دفعه الى الاعتقاد أنها اصطدمت بعراقيل في طريقها اليه أو أن رد فعل روزفلت كان سلبياً.

في ١٠ مايو (أيار) ١٩٤٠ عبرت جيوش هتلر حدود ألمانيا الغربية. وكانت تلك هي اللحظة المرتقبة التي انتظرناها، حين تتوقف تلك الجيوش الغازية امام خط "ماجينو" الفرنسي المنيع ويتلقى هتلر صفعة لهيبته لن يقوم له بعدها قائم. لكن هولندا وبلجيكا سقطتا في يده، وتراجعت القوة البريطانية عبر القنال، واستسلمت فرنسا في غضون ستة اسابيع، وأصبح الفوهرر سيد الموقف المنتصر الذي لا يقهر.

في عيد ميلادي في ١٨ يونيو (حزيران) كنت أستمع الى اذاعة "عدوة" فاذا بي أسمع ونستون تشرشل يتكلم عن أروع ساعات بريطانيا. فانهمرت الدموع من عينيّ.

في صيف ١٩٤٠ تزوج آدم. وفي برلين، حتى في أيام الحرب، احتفلنا بزواجه بمأدبة زينها القريدس (الجمبري).

وكنت عاكفة على تحضير الشطائر حين اتصلت احدى الصديقات وقالت لي انها كانت راجعة الى المدينة في قطار ريفي من دوبل - كليناماخنوف فشاهدت جنوداً يعملون على الخط بالقرب من المحطة، وفي امكانها التأكيد أنهم بريطانيون وأن الامر قد يهمني. تركت الشطائر واعتمرت قبعتي وأحسن ملابسي وخرجت. ولم ألبث أن نزلت من القطار في دوبل - كليناماخنوف كأني أنتظر لقاء الابن الضال.

كان الرجال يلبسون الكاكي في الجانب المقابل عبر خط السكة الحديد. وكانوا جنوداً

بريطانيين فعلا. وفي طريقي اليهم توقفت وساءلت نفسي لماذا أتيت. وقفت في أسفل درج الرصيف وغلب علي شعور بحماقتي. كان الجنود يعملون وهم أدنى مني قليلا، بقبعاتهم الكاكية وقلنسواتهم السوداء الصوفية الانيقة. وكان وراءهم حارسان يروحان ويجيئان وهما غارقان في الحديث.

رحت أخطر على رصيف المحطة تلاحقني غمزات الجنود وابتساماتهم فتزيد في ارتباكي. ولم يعد في وسعي تحمل المزيد، فعندما ابتعد الحارسان الى أقصى مدى ممكن خاطبت الجنود بما أتاني عفوياً، فقلت. "لم ننهزم بعد." فحدجني الجنود بنظراتهم. وكان عددهم بين ٣٠ و٤٠. وانبرى أحدهم، وهو قصير القامة أسمر اللون يلبس معطفاً ضخماً على رغم الحر وسألني: "وهل خطر لك مرة أننا هزمنا؟"

قلت: "كلا، كلا، أبداً، معاذ الله." ولم اكن أتعمد الكذب.

فأتاني الجواب: "حسنا، يا فتاتي العزيزة، انك على حق في هذا."

جيران طيبون

مضى وقت طويل قبل أن يتسنى لنا التعرف الى الجيران في الشقة الملاصقة. في الرايخ الثالث اقتضى اعتبار الجيران خطراً محتملا. ولم يتعمق تعارفنا الا لدى اكتشاف بيتر أن جارنا لم يكن سوى محام كان يستشيره من حين الى آخر. وفي ربيع ١٩٤١ دعينا الى العشاء عندهم، وعلمنا أن جارنا كارل لانغبيهن كان كشف مواقفه السياسية عام ١٩٣٣ بدفاعه الجريء عن أحد البرلمانيين الذي عيّن في وزارة هتلر الاولى وثبت أنه مصدر ازعاج، واذا به يواجه تهماً جنائية ملفقة.

مع ذلك ساد محادثاتنا تحفظ وعدم التزام للمواقف. لم يكن أحد منا ينتمي الى النازيين، ومع ذلك لزمنا جانب الحيطة والحذر.

وفي النهاية نقي الجو بيننا وبتنا قادرين على الجلوس مطمئنين وارتكاب "الخيانة العظمى." كنت أوزع سمعي بين ارمغارد زوجة كارل وبيتر الذي سمعته يخبر كارل عزمه ترك المحاماة وسبب مجيئنا الى برلين. وما لبثت ارمغارد أن توقفت عن محادثتي والاصغاء الى كارل في آن. وقالت لي معتذرة: "أنا أعيش في خوف دائم من تجاوز كارل الحد. ففي كل مرة يذهب الى مقر الغستابو (*) أتساءل هل سيعود الى البيت. ان هاتفنا مراقب ولأن كارل نجح في تعامله مع الغستابو، بات كل من رأى نفسه في مأزق...".

الى الجانب الآخر من المدفأة جلس كارل في كرسيه يتكلم عن هينريك هملر وفرق "الصاعقة" التي في امرته. لم يكن كبار النازيين هم الذين حكموا البلاد، بل فرق "صاعقة" هملر القادرون على تصفية كل من يعترض سبيلهم. مع ذلك كان هتلر هو الشخصية الرئيسية في نظر كارل لانغبيهن. وهو أخبرنا ان هتلر خال من نقاط الضعف

(*) الغستابو هي الشرطة السرية النازية.

الطبيعية. وكان الاعتقاد السائد انه متواضع ولا يهتم للجنس وليس نهماً ولا سكيراً. ولم يكن من سبيل الى التأثير فيه. كان مهووساً ماكراً نزّاعاً الى القتل، وقد أبقى جهاز الدولة كله متماسكاً بقوة شخصيته وسحره الغامض. وقال كارل وهو ينحني الى الامام وينقر ركبة بيتر: "تخلص منه فينهار البناء ويمسك الباقون بعضهم بخناق بعض."

اعترتني الرجفة من كلام لانغبيهن. فقد لمست فيه توتراً حيوياً كما في نمر متحفز للوثوب. لذا بت أدرك سبب مخاوف زوجته وتوتر أعصابها.

قال لانغبيهن وهو يبتسم لها: "يخامر امرأتي شعور بأنني أستمتع باللعبة. قد تكون على حق، فربما أصبح ذلك نوعاً من التحدي. وقد يكون كسباً آخر لحقوق الفرد. ولكن لا تنسَ يا بيتر أنها لعبة خطرة حقاً، ليس علينا فقط وانما على زوجتينا وأولادنا ايضاً. والوقت ينفد."

عزمت وبيتر على القيام بنزهة قبل العودة الى البيت. وكان الشارع مقفراً مظلماً وفي امكاننا التكلم وحدنا بحرية. لقد مضت سنوات عايشت فيها "الاشتراكية الوطنية" لكني لم أتمكن من سبر أبعاد شرها. وعلى رغم كل شيء بدت الحياة عادية، فما فتىء الناس يحبون ويطبخون. ولكن في لحظة يسفر الحجاب عما يخبىء ذلك النظام الجائر الآثم القذر، فترى رغبة الانسان الوحشية القاسية في التسلّط على أخيه الانسان.

حين صرنا الى بوابتنا تنهّد بيتر قائلا: "حسناً، اذا وقعت في مأزق فالذي أتطلع اليه ليساعدني هو كارل لانغبيهن." وتنهدت بدوري. لقد سرّنا أن نرى مملكتنا الصغيرة تجاوز حدود بيتنا وتمتد الى حدود جيراننا في الشقة المجاورة.

في أوائل ١٩٤٣ على أثر هزيمة ستالينغراد كانت الصحف تصدر منقطة بصلبان صغيرة سود تنبىء بموت الجنود في أبعاد روسيا. وأصدرت قسائم للامهات والأرامل لشراء ثياب حداد، فيما كان الاعلام الرسمي يطمئننا الى أنه على رغم كل شيء، تحقق الانتصار وحسم على الفولغا، وبعد ألف سنة سيتكلم الالمان عن المعركة برهبة واحترام. وكان أصدقاؤنا، آدم وكارل وغيرهم، يزوروننا بانتظام لا لتناول القهوة وانما لكون بيتنا ملجأ آنياً. كان الهدف التكلم بحرية، وكنا احدى الجماعات الصغيرة الكثيرة التي تلتقي في انحاء المانيا، يشد كلا منها الى الاخرى عضو يثق به الجميع. وكان يجذبنا تشوقنا الى سماع "أحدث" الاخبار السياسية، لان العقبة كانت دائماً قلة نشر "أحدث" المستجدات.

بعد هزيمة فرنسا بقليل ترك بيتر الخدمة المدنية وانخرط في الصناعات الخاصة. كان يعتقد أن الحرب ستنتهي بالهزيمة لكنها ستدوم طويلا. لم يكن قادراً على تخريب جهود الحرب الالمانية، لذلك قرر أن ينأى عن القتال أطول فترة ممكنة.

كان حرياً بي أن اكون سعيدة، على الاقل لبقاء بيتر خارج الجيش، لولا تعيينه لمهمة جديدة في شمال النروج. فعشت والاولاد حياة بداوة بين فترات كنا نقضيها في برلين حيث كان التوتر يزداد وغارات الطائرات البريطانية تكاد لا تنقطع كل ليلة. ذهبنا أولا

الى منتجع على شاطىء البلطيق حيث كان النازيون الموالون وألمان الفولغا، يحتلون الفنادق. وألمان الفولغا هم أولئك الذين أعيدوا الى وطنهم من روسيا بعد توقيع الاتفاق الروسي - الالماني عام ١٩٣٩، مع ما رافق اعادتهم من ابتهاج ومظاهر عاطفية لم تلبث أن تحطمت على واقعهم. فقد بدوا في حالهم الحاضرة لاجئين من روسيا، كئيبين، يعتمرون قبعات الفرو السميكة وتتأكل الحسرة قلوبهم وهم يعيشون حياة كسل وينفرون منهم السكان المحليين. ثم غادرنا الى النمسا حيث رحت أقوّم بعض آرائي القديمة. وبت لا أرى النمسويين أكثر تمدناً أو أقل تقبلا للايديولوجيا النازية من البروسيين التقليديين المخيفين. ربما كانوا أكثر جاذبية، لكن ذلك لم يغير واقع أن هتلر كان نمسوياً أو انه جند بعض أقذر أتباعه من جيران ألمانيا الضاحكين والمتهافتين على تقبيل الأيدي. انما خامرني شعور بأن النمسويين كانوا عاكفين على صوغ أسطورة هزيلة يدعون فيها أن "الأنشلوس" - أي الوحدة مع ألمانيا النازية - فرضت عليهم خلافاً لارادتهم. وأخيراً أقمنا في قلعة قديمة في سوابيا حيث كانت التسلية الوحيدة الاستماع الى نشرة الاخبار.

وعندما رجعنا الى برلين من سوابيا كنت والاولاد أتخمنا بحياة البداوة والتنقل. وبعد ولادة كريستوفر ونقل بيتر الى غرودنتز أدركت أن علينا التفتيش عن اقامة ثابتة.

لا شباب!

قضينا أول ليلة لنا في الغابة السوداء في مزرعة. وفي اليوم التالي اقتادنا هانس بوش الى نزل "آدلر" في روهرباخ. أعطتنا الآنسة موكلي، صاحبة الفندق الصغير، غرفة مجاورة للردهة لتكون لنا غرفة جلوس. وانتقلت من غرفة نومها فوقها وهيأت للاولاد غرفتي نوم صغيرتين عبر الممر. كان لغرفة الجلوس باب يفضي الى الشارع ويطل على عمق الوادي. وكان في احدى الزوايا، بجانب سلم ضيقة تقود الى غرفة نومي، موقد مكسو بالقرميد الاخضر. فأخذت به وأحببته للحال.

كان الشراب الذي يقدم في النزل من النوع الخفيف. ومع ذلك كان القرويون يجتمعون في الردهة كل يوم أحد وأحياناً في المساء. وعلمت أن أحد الخبازين هو العمدة وهو رجل يخاف الله ويقود قريته في أيام عصيبة. أما الكاتب فكان سيب كيرن الاسكاف، وهو رجل طيب القلب ذو قوة جسدية عظيمة. وطوال النهار، الا حين يساعد في توليد العجول أو جمع التبن قبل هبوب عاصفة، كان سيب يجلس في غرفة صغيرة يخيط الاحذية ويحرس جهاز الهاتف اليتيم في القرية. وفي المساء ينضم الى العمدة في مكتبه حيث يروح، تحت صورة زيتية للفوهرر، يطبع على آلة كاتبة ضخمة قديمة بطاقات اعاشة ووثائق ولادة ووفاة وأذونا لقطع الحطب. وحين زادت معرفتي به سألته عن رأيه في الحرب. فقال وهو يرمقني بلطافة من فوق نظارتيه: "مهما تكن الحال يا دكتورة، فلن تنقص كومة أحذيتي، أياً يكن الرابح."

والى ذلك كانت هناك السيدة موكلي وهي أرملة قوية صغيرة كانت تطعمنا وتعتني بنا. وما لبثت أن أصبحت صديقتي المخلصة. وحالما رجع ابنها الرّبيب إرنست من الحرب وتزوج، عزمت على الرجوع الى موطنها في هولندا. وفي غضون ذلك حكمت نزل "آدلر" باقتصاد وقلب دافىء، وكانت تارة تقسو على خادمتها الصغيرة مارتينا وتارة تعاملها كابنتها.

كانت مارتينا تعمل من السادسة صباحاً حتى العاشرة ليلا بلا انقطاع، ما خلا حين تجلسها السيدة موكلي الى طاولة المطبخ وتطعمها حساء البطاطا مع اللحم أو تسقيها ابريقاً من مخيض الحليب. وكانت مارتينا أيضاً تنتظر عودة إرنست، وحتى ذلك الموعد ستعمل باخلاص للسيدة موكلي وتريد بعد ذلك أن تنقطع عن الدنيا.

تلك كانت قرية روهرباخ، عالم صغير غير ذي شأن في الدولة ولكن محكوم عليه بأن يحمل ثقل أحلام فتوحات هتلر وعواقبها. لم يكن هناك شبان في ذلك الوادي. وكل يوم كانت الصحيفة المحلية تغطي صفحتها الاولى بانباء الانتصارات، وتنشر في الصفحة الخلفية الاخبار التي تهم القرويين ومعظمها عن وفيات الجنود في جبهات القتال.

سقط الثلج في نوفمبر (تشرين الثاني). وفي كل صباح كانت تمرِ تحت نوافذنا جرّافة ثلج يجرها ثمانية ثيران. وكان القرويون الراكبون الجرافة يلّوحون بأيديهم للأولاد.

وقفت في النافذة ذات يوم أبادل القرويين تحيتهم وأدركت، على اثر زيارة قصيرة لبرلين، مبلغ حماقتي حين أتذمّر مما أنا فيه. ففي تلك الزيارة لُقنّت درساً أستحقه. اذ علمت بنبأ القبض على كارل لانغبيهن. وكان بيتر مرهقاً ومتوتراً ومنزلنا في داهليم أصبح مأوى للاصدقاء واللاجئين. وحدثت ثلاث غارات جوية خلال الليالي الثلاث التي قضيتها في برلين، بقنابل جديدة أشد تدميراً، قنابل ضخمة شديدة الانفجار تدك التحصينات وقنابل محرقة وفوسفورية تنفجر وتجري أنهراً من النيران المشتعلة التي يصعب اخمادها والتي تنساب الى الاقبية عبر السلالم فتسد مخارج الملاجىء. وعلمت وأنا في برلين أن هذا القتل الجوي المجرد من أي شعور انساني لم يولد الخوف بمقدار ما ولد في نفوس الذين تنهمر عليهم القنابل ايماناً راسخاً بالقدر وتصميماً عنيداً على البقاء قيد الحياة.

ليلة رجعت الى روهرباخ كانت جدران النزل تئن تحت وطأة الريح. فاستقبلتني السيدة موكلي قائلة: "ليلة سعيدة يا دكتورة، عسى ان تنامي براحة."

فقلت: "وأنت أيضاً يا سيدة موكلي."

ثم انصرفت في دورتها الأخيرة على مملكتها. وخففت نور سراج الزيت في زاوية بعيدة في الردهة. فالتقنين شمل كل شيء.

شكراً، شكراً يا سيدة موكلي. لن تعرفي أبداً مبلغ امتناني لك.

حين حلّ الربيع بعد الشتاء ازداد قلقي. كانت الليالي هادئة والطعام جيداً. كان جديراً بي أن أكون سعيدة لعلمي أن بيتر لم يكن في روسيا وأن الاولاد في أمان وبصحة

جيدة في هذه القرية النائية الغارقة في الوادي. لكني كنت أشعر بوحدة قاتلة، وقر رأيي على الرحيل. فاتصلت ببيتر الذي أجاب نداء استغاثتي على الفور وحجز لي مقصورة في القطار المتوجه الى غرودنتز. وكان ينتظرني في المحطة في سيارة للشركة، وقضينا معاً ثلاثة أيام جميلة حتى اننا رسمنا خططاً للمستقبل. لم يكن من فائدة في الادعاء أن الأخبار حسنة. فكارل لا يزال في السجن، وقد اعتقل أصدقاء آخرون. وأخبرني بيتر عن عملية افرادية للمعارضة، لكنها منيت بسوء الحظ وبحسن طالع هتلر وحظه الذي لا يصدق في البقاء حياً. لم يعرف أحد نوع العملية ولم يحاول أحد معرفته، لأنه في حال الاعتقال كان من الأفضل معرفة أقل ما يمكن.

أنف وذنب

حين ركبت القطار الى الجنوب في نهاية الايام الثلاثة عرفت أنني لم أعد أبالي بما قد يحدث على الجبهة السياسية. لننتظر انتهاء الحرب ولنرَ ما يحدث آنذاك. ذلك كان نمط تفكيري. وامتنعت عن التساؤل عما اذا كنت وبيتر سنبقى أحياء حتى ذلك اليوم.

في رحلة العودة توقفت في برلين وذهبت الى شقة آدام الذي لم أره منذ سنة. كان ناحلا جداً وعلى وجهه تعبير غامض لم أستطع سبره. جلسنا للغداء، لكنه لم يمد يده الى الطعام. وتكلمنا عن النظريات الثاقبة التي توصل اليها في أوكسفورد. وفي الصين حول التوقعات المحتملة لالمانيا ما بعد الحرب. كان فقد كل أمل في اقناع الذين خارج ألمانيا بوجود ألمانيا اخرى. وقال: "هذا الفصل حُسم وانتهى يا كريس."

فتنهدت: "وهل يأتي يوم تنتهي فيه هذه الحرب يا آدم؟"

– نعم يا كريس. سينزل الحلفاء في وقت ما، وربما لن يتأخر ذلك النزول. وددت لو أقدر أن أزيدك علماً، ولكن ستعرفين قريباً ما فيه الكفاية. نحن لم نتقاعس عن العمل.

أخرج آدم دراجته من القبو ليرافقني الى دالهيم. وخارج بوابتنا استدار في الطريق وتقدم الى جانبي.

قال: "كريس، عليك أن تؤلفي يوماً كتاب عن الحياة بين البرابرة. ما رأيك؟"

أجبت: "اذا تسنى لي ذلك فسأجعل منك بطلا شجاعاً." ولم يسعني الا الضحك لمنظره وهو يعتلي دراجته ضاحكاً وقبعته الى الوراء وكأنه فتى صغير وسيم.

قال: "حسناً، انه رهان. اذا جعلت مني بطلا شجاعاً فسأقرأ كتابك النتن. ولكن لا، قد لا يكون نتناً الى هذا الحد يا كريس لاني بدأت أعتقد أنك تفهمين." وغابت عنه الابتسامة العريضة.

عندئذ فقط أدركت معنى التعبير الجديد في عيني آدم، فقد بدا انه يشعر بألم عميق.

وقبل أن يغيب عن نظري في المنعطف التفت الى الوراء ولوّح لي مبتهجاً ومودعاً. وكان ذلك آخر لقاء بيننا. فأنا لم أره بعد ذلك أبداً.

قال هانس بوش بعينيه الزرقاوين ونظرته الدافئة وفي بهجته إلحاح وهو يجيل نظره في الطريق صعوداً ونزولا: "دكتورة، عندي أمريكي!"

حاولت أن أظهر اهتماماً فقلت: "أمريكي يا هانس؟ رائع. هل هو طويل القامة؟"

نعم.

"أسمر اللون؟"

نعم.

"هل يلبس نظارة باطار عظمي ويدخن سيجاراً ثخيناً؟"

فاكمدّ وجه هانس: "كلا، انه يرتدي سروالا ذا جيوب على ركبتيه وجزمة مبطنة بالفرو. ومعه ساعة أيضاً، وأي ساعة! فيها ساعات صغيرة على مدار مينائها."

تطلعت الى هانس مفكرة: "أين وجدت هذا الامريكي يا هانس؟"

– وجدته مستلقياً على كومة الحطب. وهو الآن نائم في مطبخي.

رافقت هانس صعوداً في الطريق الى بيته الصغير في الجانب الآخر من الوادي. في المطبخ كان شاب ممدداً على مقعد خشبي، طويل القامة يرتدي لباس طيار ورأسه مسند على حذائه. وحالما نظرت اليه أدركت فجأة أن المانيا خسرت الحرب. والباعث لهذا الشعور كان صحته الوافرة وحسن العيش الذي بان عليه ونوعية قماشة بذلته وجزمته واللفاع الحريري المربوط الى خصره. واذا بي أرى نفسي هرمة رثة الثياب زرية محطمة. كان كل شيء يمت اليه أصيلا حقيقياً: صوف اصلي، جلد أصلي، حرير أصلي. والى ذاك بدا في مقتبل العمر. وبالمقارنة، بدوت أنا زائفة اصطناعية من قمة رأسي الى أخمص قدميّ، من الجلد الاصطناعي في حذائي الى القشّ الاصطناعي في قبعتي.

قلت وأنا أهز كتفه: "هاي!"

سألني: "من أنت؟"

قلت: "اسمي كريس بيلنبرغ. رآك بائع الحليب مستنداً الى كومة حطبه.".

اجاب بابتسامة ضعيفة وقد سرّني أن أسمع تشدّقه وهو يتكلم: "اظن أن هذا هو كل ما في الأمر. انني مسرور برؤيتك. لقد مشيت يومين ليلا ونهاراً. قفزنا من الطائرة فوق بلدة صغيرة وهبطنا في حقل."

قلت: "هل لديك فكرة من أين أتيت؟"

– لا يا سيدتي، نحن نطير، وطائراتنا تتبع بعضها بعضاً، كل واحدة منها يتبع رأسها ذنب الاخرى. ولست من الذين يعرفون الى أين نحن متجهون."

"حسناً، لا أظن أن لذلك أهمية كبرى الآن. انما ما يشغل بالي هو ماذا نعمل بك."

قال: "ان الحرب انتهت بالنسبة الي يا سيدتي." فعلمت انه مرهق وقد شارف الانهاك فقلت: "ابق جالساً حيث أنت وسأتصل بالعمدة."

كان العمدة الخباز فرغ من دوراته في توزيع الخبز واندفع نزولا يحث جواده بسرعة لم تُعهد به من قبل. انسحبنا الى غرفة مجلس القرية، فسألني العمدة: "ماذا ترين أن نفعل يا دكتورة؟" وتطلع بقلق الى صورة هتلر المعلقة خلف مكتبه.

فنظرت اليه والى الصورة مظهرة اكبر مقدار من الجدية والوقار: "لو كنت مكانك لاتصلت بالشرطة."

فبان الانفراج على وجه العمدة وقال: "سيب، الدكتورة مصيبة في رأيها. هيا، لنتصل بالشرطة."

اخترقنا الحشد المنتظر في دكان سيب الى الغرفة الصغيرة حيث يصلح سيب الاحذية ويحرس جهاز الهاتف. تكلم العمدة مع دائرة الشرطة النائية ثم استدار نحونا ونظّف حلقه وقال: "ليس في امكان الشرطة والعسكريين المجيء حالا. علينا أن نتكفل موقتاً أمر الاميركي. يجب أن نقفل عليه في القبو."

كان هناك قبو في كل قرية في الغابة السوداء في الايام الطيبة القديمة، يطرح فيه السكارى الى أن ينتعشوا ويستعيدوا وعيهم. ودهشت لاكتشافي ان الباب الصدىء المرصع بالحديد الى جانب بناء المدرسة يقود الى حظيرة مغلقة تملأها خيوط العنكبوت والقش العفن. فأصدر العمدة أوامره الى الجميع. بنات سيب لتنظيف القبو، ومدبرة منزل الكاهن لجلب الفراش والوسادات والشراشف، والسيدة موكلي لتحضير الطعام، وأنا للترجمة. ثم تقدمنا بكل تؤدة من منزل هانس بوش. فعرَّفت الامريكي الى العمدة وأضفت أنه يريد أن يطرح عليه بعض الاسئلة.

قال الامريكي: "تفضل، لكني لن أجيب."

قلت: "حسناً، ولكن لن يحصل أي ضرر اذا أعطيت اسمك ورقمك." ولم أضف ان السؤال الاكثر الحاحاً الذي يرغب العمدة في طرحه هو ماذا يحب ان يتناول غداء. ورأيتني فجأة ممتعضة من هذا الصبي الطويل القامة، الجاهل، الذي يطير بمقدم طائرته وراء ذيل الطائرة التي تتقدمه ويجهل في أي بلدة خلّف قوافل من القتلى والمحتضرين. وبدا عمدتنا الساذج البسيط بحذائه المربّع وملابسه الخشنة اليدوية الصنع وهو يلقي أسئلته على غير طائل وينتظر بثقة أن أعطيه جواباً، أفضل من الامريكي الى أبعد الحدود.

تجمع سكان القرية خارج منزل هانس ليشاهدوا موكبنا ينحدر الى نزل "آدلر." وكانت طاولة العمدة وسط الردهة مفروشة بغطاء ناصع البياض. وكانت السيدة موكلي تجاوزت طاقاتها فقدمت قطعة مشوية شهية من اللحم مع بطاطا مهروسة وفراولة (فريز) وزلابية متوجة بالسكر المحروق.

كان الامريكي في جوع شديد وقد رأيناه يلتهم حصص اعاشة لأسبوع كامل في جلسة واحدة قبل أن يحين اقتياده الى القبو الذي جرى فيه تغيير لافت. فقد نظف وكنس وفرشت قطعة سجادة على أرضه. ووضع فراش ضيق على مقعد في الداخل وغطاء أبيض مخرَّم فوق الوسادة المنتخفة. قالت مدبرة منزل الكاهن وهي تنظر بفخر واعتزاز الى عمل يديها: "انه يليق بملك." فتركنا الطيار هناك وأقفلنا الباب، ثم اختلسنا النظر فاذا به غرق لتوه في نوم عميق.

صباح اليوم التالي قدم رجلان متوسطا العمر ببزات رسمية لا تناسب مقياس

جسميهما، لتسلّم السجين. وانطلق الثلاثة الى المحطة فيما راح الامريكي يمشي متخطراً بخطوات كبيرة وحارساه ينسّقان خطواتهما ويندفعان بركضات قصيرة للحاق به.

رسالة من صديقة

كان ذلك في يوم صاف من خريف ١٩٤٤ وقد مضى شهران منذ ٢٠ يوليو (تموز) حين اندفعت زوجة سيب من كوخها صائحة: "لقد ألقوا قنبلة على هتلر!"

استمعت الى ذلك الصوت العذب المتزن على الراديو يعلن محاولة لاغتيال هتلر نفذتها مجموعة من الضباط، وأدركت للحال ان المحاولة فشلت. وفي وقت متقدم من تلك الليلة أعلن هتلر بصوت أجش أن العناية الالهية أنقذته لكي يكمّل عمله. ومنذ تلك اللحظة عشت كأني في حلم، اذ اتضح لي عمق الاحداث وما قد تتمخض عنه.

بعد ثلاثة أسابيع تلقيت بطاقة بريدية غير موقّعة من بيتر جاء فيها: "اعتقل آدم في ٢٥ يوليو (تموز). محبتي لكم جميعاً."

بعد ذلك لم يطرأ جديد لاربعة أسابيع كاملة. والآن قبل يومين فقط، نشرت أسماء المتآمرين المدنيين وكان آدم بينهم وهم يواجهون عقوبة الاعدام شنقاً.

تحول عصر النهار بارداً وأخذت ارتجف في طريق عودتي في الوادي الى النزل. كان نكي مكباً على دروسه حين فتحت باب الغرفة ورأيت الرسالة. كانت من احدى صديقاتي القدامى، مايبل، التي التجأت مع زوجها المحامي آنولد الى منزلنا في داهليم. وما جاء في الرسالة على غير ما توقعت: "عزيزتي كريس، اعتقل بيتر في غرودنتز في ٦ اغسطس (آب). سنعلمك بما يجد من أخبار حالما نتبلغها."

توقف نكي عن الكتابة وشخص الي وأمارات الارتياع على وجهه الذي بدا صغيراً وذاوياً.

وهمس: "هل مات أبي؟"

قلت: "لا، انه في السجن."

فانتصب فجأة وهتف: أبي في السجن؟ ولماذا؟"

ترددت لحظة في الاجابة مدركة أن علي التمسّك لاحقاً بالكذبة التي سأرويها له الآن. قلت: "حسناً، لوالدك عدو في غرودنتز لفق عنه أنواعاً من الاتهامات الباطلة وزجه في السجن."

- إذاً لماذا لم توقفه الشرطة؟ كانت ومضة من الشك تلتمع في عمق نظرة نكي الثابتة كأنها نظرة رجل بالغ. فقلت: "حسناً، عندما تكتشف الشرطة أن الاتهامات باطلة ستخلي سبيل والدك."

استدار نكي وانصرف غير مصدّق روايتي. مشيته واستقامة ظهره أوحيا لي ذلك. فقلت متصنعة بالخفة: "هذه هي روايتي يا نك، ولن أحيد عنها،" جاهدة في النفاذ وان

قليلا الى عمق ذلك الصغير المستوحش الواقف في النافذة. ومن غير أن يستدير انفجر صائحاً: "حالما تنتهي هذه الحرب أريد الرجوع الى بريطانيا. فهناك لا يقاد المرء الى السجن لذنب لم يرتكبه." وارتجف صوته وهو يتابع: "في بريطانيا تختلف الامور عن هنا."

فتقدمت الى جانبه، واذا بيده الصغيرة تمسك بيدي. ووقفنا شاخصين الى التلال المكسوة بالاشجار في الجانب الآخر من الوادي.

في تلك الليلة استمعت الى أخبار الراديو، فعلمت أن الحلفاء أخذوا في التحرك فعلا. فها هي دباباتهم تندفع الى بروكسيل وأنفير وفردان ولن يطول بهم الوقت حتى يقطعوا نهر الراين. وكم تمنيت أن أبلّغهم: "لا شيء يقف في طريقكم. نكاد لا نرى نازياً في هذه الايام. قد تحوّل أعداؤكم رجالا مسنين وأولاد مدارس. ثابروا على تقدمكم، انما أتيحوا لي فرصة أسبوعين للذهاب الى برلين والعودة منها!"

كانت الرسالة أيقظت همتي وحفزتني على العمل الجاد. ورأيتني فجأة أتّقد حيوية وتراودني خطط غامضة لم تكتمل لدي.

خطة قد تنجح

في ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤ توجهت الى برلين. وكان آرنولد اتصل بي وقال ان الغستابو رخصوا لي بزيارة بيتر في رافنزبروك وهو مخيم اعتقال بالقرب من برلين.

أيقظني منبّه السيدة موكلي في الثالثة صباحاً. فارتديت ملابسي الدافئة والتقطت حقيبتي وسترتي وجزمتي وتسللت الى البيت على رؤوس أصابعي. في غرفة الاولاد كان نك وجون ممددين وشعرهما كهالة حول رأسيهما. ولم يظهر من كريستوفر سوى خصلة من الشعر فوق وسادته الحمراء والبيضاء المحشوة بالزغب.

وقفت السيدة موكلي قرب الموقد في المطبخ وهي في ثياب النوم وقد ألقت شالا على كتفيها.

قلت: "لا يجوز أن تفعلي ذلك يا سيدة موكلي، لأن الوقوف في البرد مضرّ لمفاصلك الملتهبة."

قالت: "لن تذهبي في هذه الرحلة الطويلة من غير أن تأكلي شيئاً!"

ثم أخذت تكسر البيضة تلو البيضة وتلقيها في المقلاة، وتروح وتجيء وهي تعد المائدة وتتكلم فيما كنت أشد رباط جزمتي. كانت تحاول أن تظهر كأن المناسبة عادية، انما كانت كلتانا تعلم أننا قد لا نلتقي ثانية.

قلت: "هل تحتفظين برسالتي الى والديّ يا سيدة موكلي؟"

"نعم، بكل تأكيد، يا دكتورة، وهي في مخبأ أمين. واليك هذه الرزمة الصغيرة لتأخذيها معك. هي نقانق إرنست المفضّلة، قد يتسنى لك اعطاء الدكتور شيئاً منها." ورمقتني بنظرة وادعة بعينيها الذكيتين التعبتين وتابعت: "أنقلي اليه تحياتي

وأخبريه أنني امرأة عجوز وخجولة بهديتي التافهة."

وارتجف ذقنها وطفرت الدموع من عينيها. فنهضت وقبلتها قائلة: "أرجوك، لا تبكي يا عزيزتي، سأعود باذن الله. لا يسعني أن اشكرك كفاية لقبولك أن اترك الاولاد هنا لكي تعتني بهم."

عند المنعطف استدرت لألوح لها، فرأيتها في إطار الباب المضاء ويدها مرفوعة في ايماءة كأنها تستلهم بركة من الله.

كان الثلج يصرّ تحت قدميّ فيما تابعت الخطى نزولا في اتجاه المحطة. وشعرت في ذلك فرجاً لي اذ وجدت ما أعمله بعد أسابيع من القلق المضني الذي بددته رسالة موجزة بخط بيتر خضعت للرقابة في أحد سجون برلين ثم في رافينز بروك، يعلمني فيها أنه لا يزال قيد الحياة.

ولدى وصولي الى برلين عزمت على طلب مقابلة المستنطق لانغ صاحب النفوذ. كانت خطتي أن أقنع لانغ بأن الحرب مشرفة على الانتهاء. ونظراً الى اعتقاد الغستابو أن لدي أنسباء ذوي نفوذ في بريطانيا، فقد أعقد معه صفقة تتضمن مساعدته بعد الحرب في مقابل اسقاط التهم عن بيتر أو اتلاف ملفه. كان الأمل ضئيلا، لكنه يستحق المحاولة.

كان الظلام مخيما لدى وصولي الى منزلنا في داهليم. فنبشت من حقيبتي هداياي الفقيرة وناولتها الى مايبل وآرنولد. وكانت رغيف خبز من صنع البيت ونصف كيلوغرام من الزبدة وقطعة من اللحم المدخّن.

بعد التهام كل كسرة تطلعت الى آرنولد الذي قال: "أعلم، يا كريس. تكادين لا تقوين على الانتظار. حسناً، لم يحصل شيء حاسم. بيتر لم تكن له علاقة بمؤامرة ٢٠ يوليو (تموز) ولكن له أصدقاء غارقون حتى الاذنين. ليس للشرطة أي اثبات ضده، لكني أراهن على أنهم يكرهونه شخصياً. بحق السماء يا كريس، ان بيتر متعجرف ولن يسترحمهم. أتخيله وهو يعاملهم كقذرين. أليس هذا ما ترينه أيضاً؟ لكن ما يجعل الاستجوابات شاقة هو أنه على الارجح لا يدري أن تروت ولانغبيهن ماتا، وقد يحاول تغطيتهما."

لم أكن سمعت بموت كارل. ولم أعلم أن آدم ورفقاءه المتآمرين شنقوا ببطء معلقين بكلابات الجزارين وصوِّرا في فيلم وهم ينازعون. أحس أرنولد بالضيق الذي أطبق علي فقال معتذراً: "لم أكن لاروي لك هذه الاشياء يا كريس لو لم اكن على يقين منها. ولكن كما قلت لك، ربما كان بيتر يحاول حمايتهما. وهنا دورك. يمكنك التكلم معه لعشر دقائق فقط. وفي هذا الوقت عليك ابلاغه أن صديقيه توفيا ولن يقدرا على التكلم ضده، وأنهما أصبحا في ذمة الله وليسا في حاجة الى حمايته."

كانت محطة رافنزبروك الخشبية الصغيرة تئن تحت وطأة ريح باردة جليدية هبت من الشرق. أحنيت رأسي اتقاء للريح وسرت نحو المخيم مسافة طويلة الى أن بان سياج

تعلوه أسلاك شائكة وسط الثلج المتجمد. وانتهت الى حاجز مطلي بالاحمر والابيض والاسود، فأدخلت كوخاً خشبياً علق فيه الصليب المعقوف، شارة الحزب النازي. ثم قادني حارس الى كوخ خشبي ثان عبر ساحة في الجانب الآخر من المجمع الجليدي حيث تركت لوحدي. كان الكوخ مزداناً بصور هملر وآخرين ببزات "الصاعقة" ذات اللونين الاسود والفضيّ. فجلت على تلك الصور أرفع الواحدة بعد الاخرى وهي لا تزال عالقة بكلابتها، متظاهرة بأنني أرغب في قراءة اسم الرسام الذي رسمها. وكنت في الحقيقة استكشف وجود ميكروفونات تحتها. فلم أجد شيئاً. ثم أفرغت حافظة نقودي على الطاولة فسقطت منها بضع قطع على الارض. فجثوت على ركبتي لالتقاطها، واذا بي أرى الميكروفونات تحت المقعد مثبتة الى الجدار.

فتح الباب ودخل منه شاب أنيق عرّف بنفسه، انه مفوض التحقيق الجنائي. سألني عن الكتاب الذي في يدي، فقلت له انه كتاب صور فوتوغرافية. فسأل بأدب أن يطلع عليه، فناولته اياه مع رزمة نقانق السيدة موكلي. وبدأ يقلّب صفحات الكتاب وكأننا في غرفة الانتظار في عيادة طبيب أسنان.

فتح الباب ثانية. فدخل أولا حارس بدين وبعده شخص طويل القامة منتصب هو كل أملي وكل ما رغبت في رؤيته تلك اللحظة. وثبت على قدمي فيما تقدم مني بيتر ويداه ممدودتان. وقفنا متماسكين ولمحت في وجهه نظرة ملحة وأحسست انه يدفع بشيء صغير مربع في راحتي. أدرت ظهري للمفوض والحارس وذهبت الى الطاولة لألتقط كيس نقودي. وبذريعة التفتيش عن محرمتي لمسح عيني أسقطت ذلك الشيء في جيبي. كان علبة ثقاب.

أشار الحارس الى بيتر بالجلوس على المقعد المسند الى الجدار. فجلست الى جانبه وأمسكت بيده. الى الآن سار كل شيء على ما يرام. كان بيتر ناحلا جداً وكان وجهه منتفخاً مرمداً وقد فقد تلك النظرة الصبيانية الثابتة. فقد كانت عيناه حذرتين غامضتين لا يدرك مغزاهما.

كان علي ابلاغه رسالتي للحال. ولم أجد صعوبة في التكلم على أي شيء وكل شيء، شأني حين أكون متوترة الاعصاب: "هناك أشياء كثيرة أخبرك اياها، وأنا في حيرة بماذا أبدأ." قلت هذا وأنا أفك أزرار معطفي، واذ غطّت حاشيته يدينا المتشابكتين أخذت احدى أصابعه وضغطت موجهة اياها الى أسفل المقعد. فحدّق الي فجأة بعينيه الحذرتين المتوثبتين.

أدركت انه فهم قصدي بشأن الميكروفون المزروع تحت المقعد. فغمرتني موجة من الارتياح لعلمي أنه سيفهم رسالتي على حقيقتها. قال: "هناك أشياء كثيرة أيضاً أود أن أعرفها يا كريس، ولكن أخبريني أولا كيف حال الاولاد."

قلت: "انهم في حال ممتازة، وكريستوفر اكتسب لكنة الغابة السوداء." أمكنني عندئذ الاحساس بتيقظه وتفهمه لمناورتنا الكلامية.

قال: "والسيدة موكلي، هل هي بخير؟"

أجبت: "أوه، نعم،" اذ اتضح لي المسار الذي يجب أن أنتهجه. "هي وحدها لديها أنباء محزنة. أتذكر شقيقها؟ تلك التي لها ثلاثة أولاد في الجيش وآخر في سلاح الطيران؟ حسناً، الابن الاكبر كارل، والثالث أرنولد... أدولف... ماذا كان اسمه يا ترى؟" لم أجرؤ على القول: "آدم" لأنه اسم غير مألوف في المانيا. لكن بيتر ضغط يدي ففهمت أنه فهم قصدي.

قال: "أعتقد أن اسمه كان أدولف. ماذا حصل؟"

تابعت بعجلة: "حسناً، لقد قتلا على الجبهة الروسية."

- قتلا؟ أم أفيد أنهما مفقودان؟

"كلا، لقد قتلا حتماً؟"

تبعت ذلك لحظة صمت ثم تنهد بيتر وقال: "مسكينة والدتهما."

بعد دقائق أزاح المفوض كرسيه وانتصب على قدميه وقال: "آسف، لقد طالت مقابلتكما على ما هو مسموح به قانوناً." فتبسم لي بيتر وقال: "ليباركك الله يا عزيزتي." واتجه نحو الباب. ولاحظت أن حذاءه كان مربوطاً بخيطين قصيرين من القنّب. فأكبرت فيه حيلته وارتجاله لرباط الحذاء هذا مما عزز فيَّ الشجاعة، فلا قوة على الارض تقدر أن تجعل بيتر يجرّ قدميه!

حين خلوت بنفسي في القطار فتحت علبة عود الثقاب، فاذا فيها ورقة صغيرة ملفوفة كتب عليها بخط رفيع صف من الكلمات بدت للوهلة الاولى بلا معنى: "ذاتي غير سياسي لم أُدل بشيء آدم صديق حميم أيام هامبورغ لانغبيهن جار فقط كريس ايرلندية..." معلوماتٍ نتفة بعد نتفة. طويت الورقة وكدت أبتسم. كانت هذه رسالة بيتر الي في حال أُخضعت أنا أيضاً للاستجواب.

ولم أكن طلبت للاستجواب، انما لا يزال هناك احتمال بذلك. وبومضة خاطفة أدركت أن خطتي قد تنجح اذا طلبت من الرجل المكلّف قضية بيتر أن يستجوبني.

هايل هتلر!

وافق المحقق الجنائي لانغ على مقابلتي في الحادية عشرة صباحاً في ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٥. فانتقيت ملابسي بعناية لانه عُرف عن مسؤولي الغستابو أنهم من الطبقة المتوسطة وهم تقليديون يفضلون النظافة وحسن الهندام في نسائهم على الاناقة. فارتديت معطفي الاسود وقبعة سوداء عادية وثوبي الازرق الرمادي الذي بدا نظيفاً وأنيقاً على رغم كثرة ارتدائه، وآخر زوجين من الجوارب الخالية من اللفق، وحذائي الاسود الواطىء. كنت أنضح جدارة بالاحترام وبعداً عن التعامل في السوق السوداء. كان وجهي آرياً لا شك فيه، وغاب عني المظهر الصحي الصارخ.

كان المقر الرئيسي للغستابو في برلين بناء ضخماً قاتماً مدمراً جزئياً بفعل القنابل. ولدى وصولي الى مكتب لانغ في الطبقة الرابعة كانت ركبتاي تصطكان ويدي

ترتجف على الدرابزون الرخامي. قرعت الباب ففتحه أحد جنود "الصاعقة" وقال: "هايل هتلر! هل لديك موعد للمقابلة؟"

- نعم لدي موعد.

"ادخلي واجلسي من فضلك."

توجهت الى غرفة بثلاث نوافذ تشرف على بحر من الخراب. وحين نودي باسمي أدخلت عبر باب عالٍ الى غرفة صُعقت داخلها، اذ وجدتني عمياء كلياً لان أضواء قوية متوهجة كانت مسلّطة عليّ.

قلت: "هايل هتلر، سيدي المفوض. يسرّني لو سمحت لي بالجلوس في كرسي، لكني لا أجد واحداً. هل تتفضل باطفاء هذه الأضواء؟"

عقبت ذلك لحظة سكون سمعت بعدها طقة فانطفأت الاضواء.

دخل رجل قصير القامة ممتلىء البنية ورأسه شبيه بالاجاصة. كانت عيناه الزرقاوان متقاربتين جداً، باردتين، قاسيتين، تحدقان الي بفضول جامد من دون أن يرف لهما جفن. قلت: "سيدي المفوض، اني مدينة لك. لقد كانت لفتة كريمة منكم أن تسمحوا لي بمقابلة زوجي وتخصصوا لي جزءاً من وقتكم الثمين." واذ بدرت من رأسه حركة خفيفة أمسكت نفسي قائلة في داخلي: الحذر ثم الحذر. كانت لهجتي قوية النبرات الى حد العدوانية والصلف. فتابعت بلهجة استرضائية معربة عن سروري البالغ لكون قضية زوجي في يده لما يتمتع به من خبرة وحنكة.

- أنّى لك أن تعرفي قدراتي؟

"عرفت ذلك من اثنين من أصدقاء زوجي (ذكرت اسميهما) قالا لي لن تجدي افضل منه ولا أكثر معرفة لمعالجة قضية زوجك." وكأني استشففت استرخاء طفيفاً في موقفه فعللت نفسي بأمل ضئيل أن يكون فارغاً مزهواً بنفسه يتأثر بالاطراء.

تابعت: "سيدي المفوض، هناك شيء واحد ما زال يضايقني حيثما توجهت، وهو كوني أجنبية. هل يعقل أن يكون زواجه بي دليلا ضده؟ فلو حدث هذا في بريطانيا وكنت أنا ألمانية فقد يكون هذا هو الوضع..." وعلى رغم تحديقه الجامد الذي خلا من أي طرفة قدرت أن تلك هي اللحظة التي يجب أن أسلّط فيها من السحر ما تسمح به مؤهلاتي ورصانتي: "... سيكون ذلك عبئاً لا قدرة لي على تحمله. يا سيدي المفتش، اني أشعر دوماً بأن اتحادي بزوجي يتخطى الاعراف القومية والوطنية. فألمانيا هي الآن وطني، وقد تعلمت اللغة، وهنا أريد أن أربي أولادي. وحين أعلنت الحرب أصبنا بخيبة قاتلة. كنت أتتبع خطب الفوهرر، كل كلمة منها، حين كان مرة بعد مرة يحمل غصن الزيتون عارضاً السلام على شعبي فيقابل بالرفض. انني أؤكد لكم لو كان المسؤولون مثلي لكان بلدانا اليوم متحدين."

قال بالانكليزية: "كان ذلك كلاماً رائعاً يا سيدة بيلنبرغ، ومؤثراً جداً، انما أود أن أرى رجلا بريطانياً او امرأة بريطانية لا يشعران في أعماق قلبهما بخطأ بلادي." وكانت انكليزيته محطمة تكاد لا تفهم.

المختار

اربحوا ٣٣٪

يسر "المختار" ان تعرض على المشتركين الجدد فيها بين ١٩٨٩/٨/١ و١٩٩٠/٩/٣٠ اربعة اعداد اضافية مجاناً مع كل ١٢ عدداً. فالمشترك لمدة سنة (١٢ شهراً) يتلقى ١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً اي انه يربح ٣٣٪ فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار" الى عنوانكم، بادروا الى ملء هذه القسيمة وارسلوها مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ٤٥ دولاراً امريكياً، وارسلوا القسيمة والشيك بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين المذكورين خلف هذه القسيمة.

الاسم ________________

____

العنوان ________________

____

التاريخ ________________

التوقيع ________________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

قلت وقد علت وجهي ابتسامة مفعمة بالاعجاب: "انه تعبير رائع يا سيدي المفوض، لم أكن أعرف أنك ملم بالانكليزية." واذا بي أرى تغييرا غريباً يطرأ على وجهه المترهل. ربما كان هو أيضاً يحاول الابتسام.

قال: "أعلم أنك ابنة شقيق اللورد بايارفربروك."

لم أدر في بادىء الأمر من يعني هنا. كان اللورد بيفربروك أحد أعضاء وزارة تشرشل، واذا عرضت على لانغ مساعدته بعد انتهاء الحرب في مقابل إتلاف ملف بيتر فان اللورد يشكل رهاناً حسناً. من ناحية أخرى كان الرهان على عمي اللورد روذرمير جديراً بالاعتبار. ففي أوائل الثلاثينات كان متأثراً الى حد كبير بهتلر، وقاد صحيفة "ديلي مايل" في حملة حماسية خاطئة. قررت الرهان على روذرمير وسردت ملخصاً لانزلاق عمي في خطأ سياسي يتفق وصالح ألمانيا.

"ولكن يا سيدي المفوض، لا تدع هذا الامر يقلقك. أنا أعلم أنك تسعى الى كشف الحقيقة. لم يكن هناك من أسرار بين زوجي وبيني، وقضيته في غاية الوضوح. انه لم يكترث يوماً للسياسة، وشخصيته ليست معقدة الى حد الدخول في متاهاتها. ولكن تريث أرجوك. لقد خطرت لي فكرة، واني أتساءل... ما رأيك؟ لماذا لا تستجوبني أنا؟ ربما كان في ذلك فائدة."

رمقني بنظرة طويلة فاحصة متمعناً، ثم أخرج من أحد الأدراج ملفاً ضخماً وقال: "حسن جداً يا سيدة بيلنبرغ، انما في حال لم تكن أجوبتك صادقة فانك تجازفين في لعبة خطرة."

واذ بعينيه تتحولان فجأة الى الازرق القاسي. قال: "ان زوجك شخص أحمق مغفل أبله، فضح نفسه في كل خطوة. وليست هناك صفحة في هذا الملف لم

يرد فيها اثبات يدل على بلاهته وجرمه. في يدي هنا قائمة بأصدقائكما، وكل واحد منهم خائن: تروت، لانغبيهن..." وتعاقبت الاسماء. "لا أخالك مزمعة على ان تخبريني أنه لم يجر بينكما وبينهم مباحثات سياسية من أي نوع."

اجبته: "لكن هذا تماماً ما أردت أن أخبرك اياه. انا امرأة بسيطة ساذجة لا أستسيغ السياسة، والرجال والنساء الذين يتباحثون فيها يثيرون في الملل والتعب. ولزوجي الشعور ذاته. سألتني عن آدم فون تروت، حسناً، كان زوجي يعتبره أفضل صديق له، لكن هذا لا يمت بشيء الى السياسة. ربما وجد الرجال الاذكياء المثقفون ارتياحاً في الاجتماع بأناس بسطاء مثلنا."

- هل تعتقدين ان تروت كان ذكياً؟

"أوه، نعم، أعتقد ذلك."

- تروت كان خائناً يا سيدة بيلنبرغ.

أجبته بحزن: "هكذا يبدو. لم يخطر لي ذلك قط. ولكن عن أي غيره أردت أن تسألني؟ الدكتور كارل لانغبيهن؟ حسناً، بالطبع. آل لانغبيهن كانوا جيراننا في داهليم..."

وطالت المبارزة وامتدت الى أن خيم الليل وأضيئت أنوار الشارع التي أخذت تومض عبر الخراب. وفي النهاية انتصب لانغ واقفاً.

قال: "كانت افادتك ممتعة. لقد تطوعت في الجيش، لكني أعدك بأني سأعالج قضية زوجك قبل أن أذهب. لا يسعني إعلامك بالنتيجة، لكني سأعمل على اغلاق القضية نهائياً."

أكدت له أن هذا هو كل ما أطلبه، فأومأ برأسه وأدار ظهره. فتوجهت الى الباب. نظرت الى ساعتي في أسفل السلم فبان لي أني قضيت في ذلك البناء تسع ساعات كاملة. ولدى وصولي الى منزلنا كانت المدافع المضادة للطائرات في الجوار تمزق حجب الليل وتصم الآذان.

"دكتورة! دكتورة!"

كان الليل لا يزال مخيما حين انطلق صوت سيب من تحت نافذتي وتبعته كتلة من الثلج أصابت زجاجها: "تعالي انزلي! لدي أخبار سارة!" فهرولت خارجاً حيث الثلج.

أنار ضوء المطبخ وجه سيب الذي قال: "الدكتور اتصل في الليل. انه حر." سادت لحظة صمت. فاذا بنا نتعانق بجذل. وراح سيب يدق ظهري كما لو كنت ابتلعت حسكة.

خرجت مارتينا من الباب مطقطقة بحذائها ومعها رائحة حادة من زريبة البقر. ولم تندهش لرؤيتي خارجاً في مثل هذا الوقت الباكر.

قلت وكأني مصابة بدوار: "مارتينا، ان زوجي حر."

فأجابت عابسة، وتلك كانت علامة دالة على تأثرها: "لقد سمعت بذلك، وقد حان الوقت."

في اليومين التاليين تركزت كل أفكاري على قطار بين برلين وروهرباخ يقلّ بيتر. وفي مساء اليوم الثاني لم ترد أي اشارة من بيتر. فاستبد بي القلق وتملكني اهتياج عصبي. فماذا قال سيب يا ترى عن أن الرجال الاقوياء لا يقدرون على مغادرة برلين؟ الوقفة الاخيرة، وماذا بعد؟ كنت عاكفة على لفلفة الاولاد في الفراش حين جمدت، واندفعت ففتحت النافذة مصغية بكل جوارحي. ها هي الاغنية تنطلق من عمق الوادي، أغنية بيتر! وكم من مرة سمعت "ياهوو" صيحته البعيدة الجامحة وهو يندفع بسرعة خاطفة على منحدرات التزلج طافحاً فرحا بسرعته. أقفلت النافذة وعدت الى الغرفة.

قلت بأهدأ ما أمكنني: "يا أولاد، يخيل الي أني سمعت صيحة في الوادي، واعتقد أن والدكم هو الذي أطلقها."

في الساعة صباح اليوم التالي كنت وبيتر والاولاد لا نزال في غرفة النوم. واذا بالسيدة موكلي تأتي بركوة القهوة الكبيرة ومقلاة مهسهسة ألقت فيها عشر بيضات عائمة في كومة ضخمة من اللحم وابريق شراب لذيذ. لم يكن هذا الطعام ما يصفه طبيب لرجل أمضى أشهراً وهو نصف مائت جوعاً. لكن بيتر التهم معظم البيض واللحم. وكان أمضى بقية الليل يذرع الغرفة وهو يعرج قليلا ويتكلم من دون توقف. وكانت قصصه المتفرقة تنتهي الى قصة متماسكة واضحة.

حين علم أن آدم اعتقل واقتيد الى مقر الغستابو كل صباح لاستجوابه، بدا له ان هناك شيئاً واحداً واضحاً للعمل. كان مستودع الاسلحة في غرودنتز مليئاً بالرشاشات، ولدى بيتر خطة لتخليص آدم بهجوم مسلح من أيدي الغستابو، وأخذه الى توكلر هايدي وهو مستنقع كبير يعج بالأنصار البولونيين. حسب بيتر أن آدم سيتمكن من الصمود هناك لبضعة اسابيع على الأقل. فلا أحد كان يعتقد ان الحرب ستستمر أكثر من ذلك. لكنه قال لي: "لم يقدّر للعملية ان تتم كما خططتها."

لم يمض على رجوعه الى غرودنتز ربع ساعة حتى جاء الغستابو واقتادوه الى زنزانة بقي فيها لوحده عدة أسابيع.

قال: "ما لبثت أن اكتشفت أنهم يعرفون القليل جداً. سألوني عن آدم فأخبرتهم أنه

أحد أعز أصدقائي. فالى قول الحقيقة كانت هناك فرصة لشراء الوقت. كل شيء يهون في سبيل شراء الوقت."

وحدث أن بيتر نقل الى رافنزبروك. وأخبرني: "لانغ لم يكن حديث العهد بالاستنطاق، وقد أفدت كثيراً من دراستي للقانون، فصرفت ساعات أستعيد في ذاكرتي اسئلته وأجوبتي، لان أجوبتي كان يجب أن تكون ذاتها يوماً بعد يوم. لقد لجأوا الى التكتيك المعتاد: يوم ملاطفة وحصص طعام استثنائية يتبعه يوم معاملة قاسية مع خبز وماء فقط. اذا التقيت لانغ هذه الايام فسأقتله كما قتل الآخرين. اذ ان أولئك الذين أمكنهم الوقوف على أقدامهم بعد الخضوع لاستنطاقه كانوا يمشون عائدين الى زنزاناتهم. اما الآخرون فكانوا يُحملون ملفوفين بسجادات ويرمون كالجثث. على الاقل، في ما خصني، كنت أحظى بزيارات بعض الاصدقاء. زارني أرنولد أولا، ثم أمي. وبعد عيد الميلاد أتيت انت يا عزيزتي، وكنت اعتقدت أنك اعتقلت ايضاً. كنت أسعى دائماً الى الاحتفاظ بتلك القصاصة في حوزتي. كانت تلك مجازفة، لكنها أقل خطراً من رواية قصة مختلفة عن روايتي. يا الهي، لم يمر في خاطري أن تطلبي الخضوع للاستنطاق، لكن ذلك كان مفيداً. نعم، كان استنطاقك مفيداً جداً. وأظنه رجح كفة الميزان لمصلحتي. لقد كان تأثيرك هائلا على لانغ، فهو ذكر لي لاحقاً أنه يعجز عن التصور كيف أن شخصاً تافهاً مغفلا مثلي استطاع الاقتران بتلك الزوجة الذكية. وكان يعني كل كلمة قالها، لأنه كان يكره شخصي وكياني أشد الكره."

وبعد أسابيع قليلة حدثت المعجزة. أبلغ لانغ بيتر أنه يعتزم اطلاقه، ولكن لتسليمه الى "فرقة القصاص" في الجيش للعمل في تنظيف حقول الالغام وأعمال شاقة خطرة اخرى. لكنه بدلا من ذلك أطلق مزوداً حفنة من بطاقات الاعاشة واذنا بالسفر الى بيته. قال بيتر: "لست أعلم لماذا يا عزيزتي، ربما كان هذا مجرد خطأ ارتكبته الادارة." ثم توقف عن الخطو جيئة وذهاباً وفتح النافذة متيحاً دخول هبة باردة وقال: "وها أنا هنا الآن يا كريس."

فتوة ضائعة

خلال شهري مارس وابريل (آذار ونيسان) كانت الحرب تزداد اقتراباً كل يوم من روهرباخ. وكانت الصحيفة المحلية توقفت عن الصدور، لكن اذاعات الراديو ظلت تذكرنا بأن الحكومة الالمانية ما زالت تؤدي وظيفتها. وأبى المزارعون أن يسمحوا لدوامة القتال المتوجهة اليهم بأن تغير نمط حياتهم الثابت. فظلوا يحرثون الحقول ويحلبون البقر ويطعمون الماشية. فانتهى بهم الامر الى بقائهم العنصر الوحيد السليم العقل في عالم مجنون. وكانت قعقعة الجنود الراحلين بمعداتهم كأنها مسرحيات عابرة.

كان الجنود يرتمون يومياً في غرفة جلوسنا وينامون على الارض: أولاد منهكون في بزات فضفاضة تتجاوز قياسهم، مزودون أسلحة فتاكة لا يعرفون أن عليهم حملها

وامساكها بحذر. ذات ليلة انحنى ضابط رمادي الوجه أحمر العينين ليغطي أحد هؤلاء المحاربين النائمين بمعاطفهم الخارجية الكبيرة، وهمس لي فجأة: "ان هؤلاء الوحوش في المراتب العالية ارتكبوا جرائم كثيرة، انما ما من واحدة توازي بفظاعتها جريمة ارسال هؤلاء الاطفال الى ساحات القتال."

كان نزل "آدلر" حتى اللحظات الاخيرة مقراً لفرقة كاملة من الجيش مع جنرالاتها ودراجاتها النارية، يأتون مقعقعين بها ويرتحلون ثانية في مهمات مجهولة. وفي احدى الليالي بدأ التحرك. وفي الصباح كان سيل من الجنود بلباس القتال الرمادي يتجه في الطريق الى شونينباخ مصحوباً بالثيران والمدفعية الثقيلة والدراجات الهوائية والمزالج. وكانت كل سيارات النقل مقلوبة ومتروكة في الحقل لفقدان الوقود. وفي اللحظة الاخيرة دخل ضابط شاب ليودعني.

قال: "حظاً سعيداً يا سيدتي، ستكونين قريباً في بيتك."

فقلت: "أرجو لك أن تكون أنت أيضاً في بيتك."

تبسم لي الضابط بوجهه الفتيّ ابتسامة البالغين الذين عركهم الدهر وقال: "لا أظن ذلك، بعد هذه المهمة." ثم انصرف.

بعد أمسيتين، في ٢ مايو (أيار) ١٩٤٥، ذهبت الى غرفة المجلس لمقابلة سيب والعمدة اللذين اعتبراني واحدة من أهل القرية ولم يكونا أقل احتراماً لي من ذي قبل. وكانت على الجدار خلفهما رقعة مربعة فارغة، فلاحظ سيب والعمدة أنني احدق اليها فتظاهرا بانهماكهما بالاوراق الملقاة أمامهما.

سألتهما بعد صمت طويل: "أين هو؟"

لم يرفع سيب رأسه، لكنه أومأ برأسه نحو موقد حديد ضخم يهدر في الزاوية.

قلت: "أليس الوقت باكراً على هذه النار القوية؟"

فرد سيب: "كلا، اعتقدنا أنه غير باكر."

وتابع: "اوه، بالمناسبة، أخبرني أحدهم أنه سمع بالراديو أنه مات الليلة الفائتة وهو يقاتل، كما قالوا، حتى النفس الاخير. لقد كنت منشغلا جداً ففاتني الاستماع الى النبأ."

منشغلا جداً! لا شك في أنه كان منشغلا. فمثل سائر سكان القرية أمضى الثعلب العجوز ساعات يفكك شاحنات الجيش المتروكة في الحقول وينقل قطعها في عربة يد.

غلب علينا الضحك، وكأن داخلنا رفاصاً ظل مشدوداً سنوات ثم أرخي فجأة، فانطلقنا متهللين في تشنجات عاصفة من الضحك بلغت حد الهستيريا. وكنت لا أزال أمسح عيني وأنفي وأنا أنزل السلم المتداعية وأتوجه الى نزل "آدلر". ولكن في أعماق نفسي كنت أعرف أن في ذلك الضحك شيئاً أقرب الى ذرف الدموع.

كريستابل بيلنبرغ ■

ترجمة الياس عقل

تعيش كريستابل وبيتر بيلنبرغ في مقاطعة كارلو بايرلندا في مزرعة اشترياها بعد الحرب.

حديقة أفكار

- يفوّت الناس ما يمكنهم الحصول عليه، بتشديدهم على الكمال الذي يعجزون عن بلوغه، وبالبحث عن المبتغى حيث لن يجدوه أبداً.

إ.س.

- أطول رحلات الحياة، عند كثيرين، هي فترة الانتقال من التبعية الى الاستقلال.

ك.ج.

- ما تعلمت شيئاً قطّ وأنا أتكلم. أنا أتعلم فقط عندما أطرح أسئلة.

ل.هـ.

- الحب مثل الكمان. فالموسيقى قد تتوقف بين حين وآخر، لكنّ الاوتار تبقى الى الابد.

ج.م.

- الحظ الحسن يشبه شيئاً تستحقه.

ف.ك.

- الافكار الجيدة تحمل ثماراً طيبة، والافكار الرديئة تحمل ثماراً فاسدة. والانسان هو البستاني في حديقة أفكاره.

جايمس آلن

- يلزمنا وقت طويل لاكتساب صديق قديم.

ج.ل.

- الشعب الذي يضع امتيازاته فوق مبادئه سرعان ما يخسر الامرين.

دوايت ايزنهاور، رئيس أمريكي راحل

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

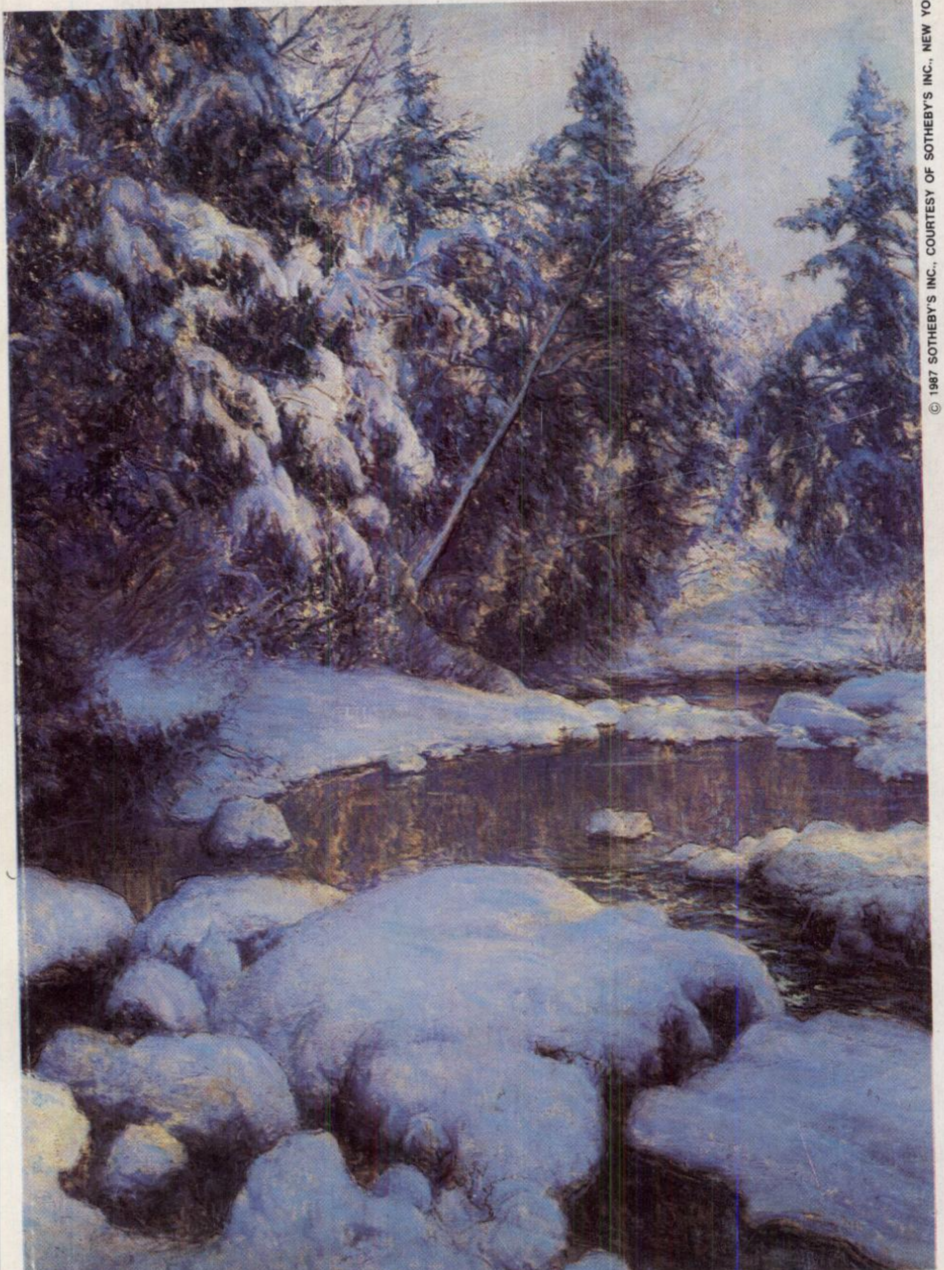

"جدول في الشتاء"، زيتية للفنان الامريكي والتر ل. بالمر

© 1987 SOTHEBY'S INC., COURTESY OF SOTHEBY'S INC., NEW YORK